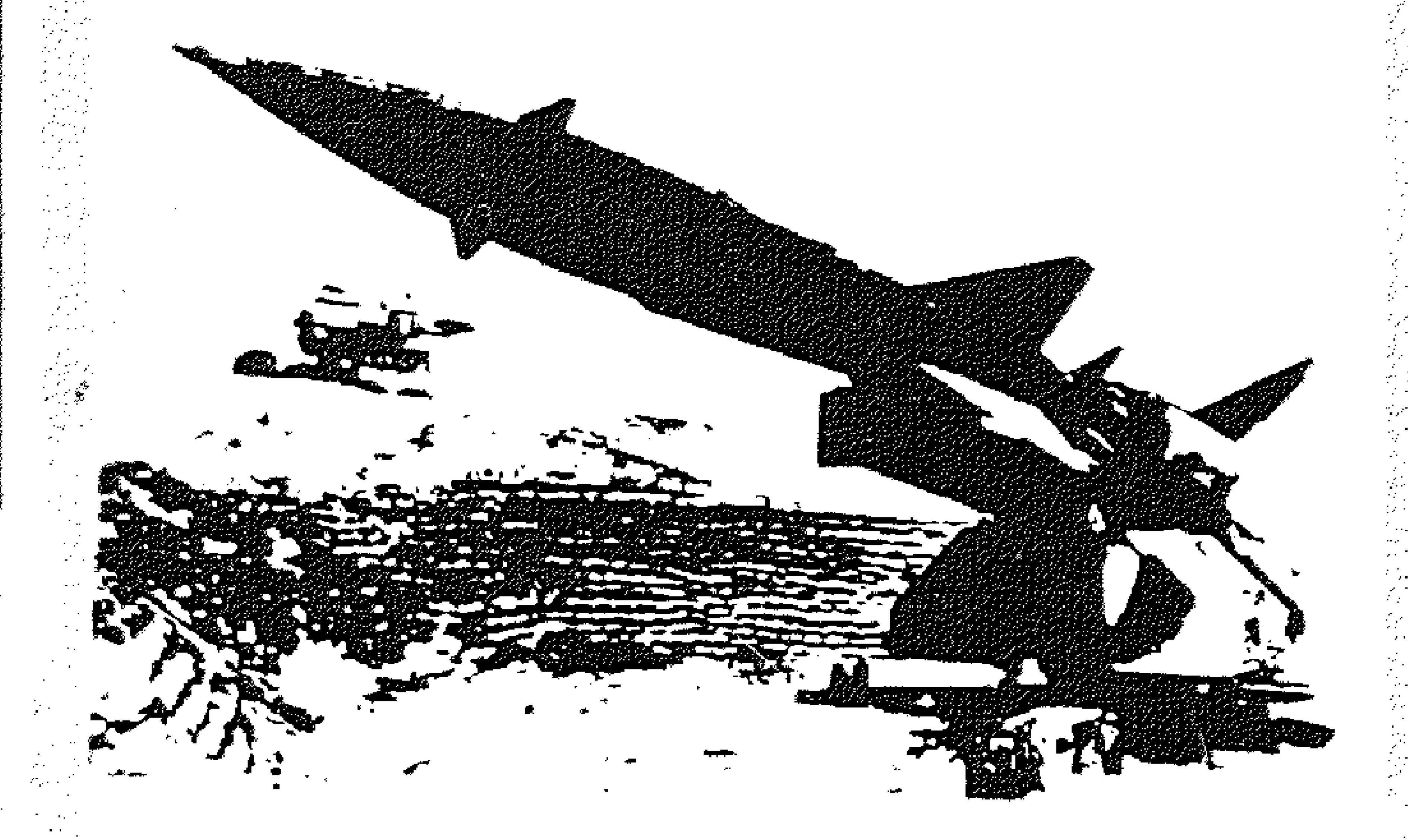
جمهورية مصر العربية
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة رقم ٧٣٥

The Electronic War in the Middle East 1968-70



EDGAR O BALLANCE

الحرب الالكترونية فى الشرق الأوسط

تأليف : ادجار أوبالانس

جمهورية مصر العربية
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة رقم ٧٣٥

الحرب الألكترونية في الشرق الأوسط ١٩٦٨ - ١٩٧٠

تأليف
أدجاراو بلانس

شكر وعرفان

لقد حصلت على معظم المعلومات التى استعنت بها فى هذا الكتاب خلال أحاديثى ، ومناقشاتى ، وزياراتى لجبهات المعركة وغيرها ..

وأود أن اتجه بالشكر بوجه خاص الى دينيس جرين لشرحه علم الالكترونات .. كما أننى وجدت عونا كبيرا فى تاريخ تسلسل الأحداث كما جاءت فيما نشرته صحيفة « الشرق الأوسط الجديد » تحت عنوان « ماذا حدث » ، كما أننى مدين أيضا لهذه الصحيفة لترجمتها للخطب والوثائق العبرية والعربية .. هذا ، وأود أن أذكر بالشكر والعرفان مؤلفى وجامعى وناشرى المؤلفات التالية التى قرأتها أو رجعت اليها فأفدت منها واستمتعت بها :

محمد حسنين هيكل : « جمال عبد الناصر » ـ دار النشر « دابلداى » نيويورك (١٩٧٢) .

جين : « الطائرات فى كل العالم » .

جين : أنظمة السلاح .

كيزنج : المحفوظات المعاصرة .

معهد الدراسات الاستراتيجية بلندن : التوازن العسكرى

معهد الدراسات الاستراتيجية بلندن : الدراسة الاستراتيجية .

مقدمة :

تعتبر حرب الاستنزاف التى شنها الرئيس عبد الناصر واستمرت ثلاث سنوات منذ يولية ١٩٦٧ حتى أغسطس ١٩٧٠ أول حرب الكترونية فى التاريخ ، وفيها تقاتلت دولتان عظميان هما أمريكا والاتحاد السوفيتى ولكن بطريق غير مباشر ، وقامت كلتاهما فى مواجهة الأخرى باختبار أسلحتها الحديثة المتطورة والاسلحة المضادة (وان كان القتال فى المقام الأول بين الاسرائيليين والمصريين) ٠٠ وأخذ « الصيف الالكترونى للحرب » يبدو وكأنه قصة علمية خيالية فقد كانت الطائرات فيها تروغ وتنحرف للافلات من الصواريخ ، بينما يحاول كل من الخصمين أن تكون له الغلبة والتفوق على الآخر ، حيث كان يتزود باطراد ببراعم الوسائل الالكترونية المضاد ومهمات الكشف بالرادار ، وفى هذا الميدان البالغ التخصص حرصت على أن أجعل المصطلحات الفنية الخاصة بالرادار والتوجيه بالرادار والتشويش والمحاورة مبسطة جدا حتى فى شرحها كى يتسنى للقارىء العادى ذى الدراية العلمية المحدودة أن يدرك ما كان يحدث آنذاك ٠

لابد أن هذه الحرب العلمية تبدو فى عين من بهرته وكأنها حرب سحر وشعوذة حيث كانت الالكترونيات فى أوج نشاطها ٠

وأوضحنا أنه اذا كانت المهمات تحتاج فى تشغيلها الى «أسلاك» كالمفتاح الكهربائى والاضاءة الكهربائية ، فانها مهمات كهربائية ـ أما اذا تم تشغيلها « بدون أسلاك » فهى « الكترونية » ٠ وربما كان هذا فراط فى التبسيط ، ولكنه قد يكون كافيا ٠٠ ولعل العقل ذو التركيب الفنى يريد المزيد من التفاصيل الدقيقة ، ولكن على أى حال لايزال الكثير من جوانب هذا الموضوع محظورا ، ومن ثم لن يكون من السهل اشباع رغبة السائلين تماما ٠

قد يقول البعض ان الحرب فى فيتنام كانت حربا « الكترونية » ولكنها لم تكن كذلك تماما ، حيث اشتركت فيا قوات برية ضخمة ٠ ولعبت الالكترونيات دورا طفيفا فقط وخاصة على جانب شمال فيتنام وفييت كونج ، ولكن الحرب لم تدر من حولهما ، بينما فوق قناة السويس وفى المراحل الأخيرة كانت الالكترونيات هى التى تسيطر على الحرب ٠ ففى الحرب الالكترونية لم تتصادم القوات البرية الرئيسية (ولو أنه كانت هناك غارات كثيرة من جانب الكوماندو فى كلا الجانبين) اذ وقفت قناة السويس حائلا بينهما ، ومن ثم كان دورها ثانويا الى حد ما ٠٠

لقد كانت أيضا حرب دعاية ، وحرب بيانات ، حيث كان من المستحيل التوفيق بين مزاعم وادعاءات المتحاربين ٠ كان الاسرائيليون أكثر دقة

وصدقا ، فكانوا يختارون فى اعلانهم عن الأرقام مايثبتون به نقطة معينة أو يدفعون بها بالحجة نقطة معينة بينما كان المصريون يبالغون الى أبعد مدى فى ادعاءاتهم مما قضى على معظم ما كان لهم من رصيد ثقة بأقوالهم ·
وقد حاولت أن أزيح جانبا أقنعه الدعاية الثقيلة ، ومن المحتمل جدا أن يكون ما رويته هنا هو ما حدث فعلا · ولم يكرس كل من الاسرائيليين والمصريين على السواء اهتمامهم الصادق ومواردهم للحرب·وكان الرئيس عبد الناصر، وهو أول مصرى يحكم مصر منذ نيف وألفى سنة مشغولا بمحاولة توحيد العرب ، أو على الأقل بتوحيد أكثر ما يمكن منهم تحت لوائه ، ولكن التواءهم وتعنتهم استنفزا الكثير من وقتـه وطاقته ، ثم كان الصراع بينـه وبين الفدائيين · وأن الانسان ليدهن الى حد ما من أن بيانة قد ساقه الى الحرب الالكترونية التى كان يخشاها كثيرا اعتقادا منه بأن الامريكيين قـد يبزون الروس ، وكذلك الاسرائيليون منهمكين فى جبهات أخرى ، ومع الفدائيين أيضـــا ·

كان الموقف غير مألوف فى التاريخ ، فالعرب المهزومون لايريدون أن يجلسوا على مائدة التفاوض مع الاسرائيليين كمـا جرت العادة مع المنتصر والمهزوم ، بل تجاهلوا ببساطة مجرد وجود الاسرائيليين ·· وهناك حقيقة أخرى لم تتأكد عموما ، وهي أن المصريين قد واجهوا مشكلة ضخمة ، وهى وجود ما يقرب من السبعمائة وخمسين الفـــا بلا مأوى ، أى ما يقرب من ثلاثة أرباع الفلسطينيين ، ولكن لم يتخذ منهم مأرب سياسى كالفلسطينيين، وكـان من السهل أن تمتصهم البـــلاد وأن يندمجوا ضـــمن الملايين الذين تزدحم بهم مصر ·

وجاء وقف اطلاق النار فى لحظة حيوية،عندما كان الطرفان يستعدان « للجولة الاخيرة » التى كان كل منهما يعتقد أنه سيكسبها ·· لقـد تم ابعاد السلاح الجوى الاسرائيلى عن سماء مصر بعد أن كان يحلق فوقهـــا بحرية لشهور طويلة ، وأصبح لايستطيع أن يغامر الا بالكاد بالتحليق على بعـــد ثلاثين كيلو مترا غربى القناة ·· وبالرغم من ثقة الاسرائيليين ، فانه ما كان لهم أن يتفوقوا كما كانوا يتوقعون ، اللهم الا اذا كان فى جعبتهم مايخفونه من الكترونيات مضـــادة ·

وبينما يتمتع الطيارون الاسرائيليون ، عن جدارة ، بسمعة حسنة من ناحية المهارة والشجاعة ، فان هذه الصفات ان وجدت فى المصريين كـــانت غالبا موضع التجاهل ، ولكن يجدر بنا أن نذكر أن الطيـــارين المصريين المهزومين ، وعديمى الخبرة ، كانوا دائما يهجمون على الطائرات الاسرائيلية رغم الأضرار والخسائر ، وأن رجال المدفعية فى مواقعهم بطول القناة كانوا يتشبثون بمدافعهم بالرغم من الهجمات المستمرة من جانب الطـــائرات أو المدفعية ، وأن الرجال الذين كانوا يعملون فى احتياج شديد لاصلاح قواعد

الصواريخ سام التي دمرت ليلا ، قد أظهروا شجاعة ومثابرة واصرارا منقطع النظير ·· وهناك نقطة خرى طالما أغفلت ، وهى أن القوات المصرية الخاصة « الكوماندو » كانت صلبة عنيدة وحسنة التدريب ، وكان نشاطها يثير قلق الاسرائيليين الى أبعد الحدود ·

وعند طبع هذا الكتاب نشبت الحرب الخامسة بين العرب واسرائيل وأخذت تتطور ، ومن ثم فان هذا التقرير سيعتبر بمثـابة المقدمة لصراع الكترونى أكثر تقدما ·

ادجار أوبالانس

١ ــ كتب البقاء للرئيس عبد الناصر

« الان وقد انتهت الحرب ، تبدأ المتاعب »

موشى ديان

من الخطأ أن يقال ان المصريين ، شأن بقية العرب ، قد صدموا من جراء الهزيمة المفاجأة وغير المتوقعة التي أنزلها بهم الاسرائيليون في الحـرب الثالثة القصيرة بين العرب واسرائيل التي استمرت من الخامس الى العاشر من يونية عام ١٩٦٧ والتي يعرفها الاسرائيليون باسم « حرب الايام الستة » ويسميها العرب « حرب يونيه » ٠٠ حقا لقد كان هناك وعد للمصريين لـم يشكوا فيه اطلاقا بأن النصر سيكون حليفهم ، ولم تكن تخطر على بالهـم فكرة التمزق لمأزق أو ورطة ، كمـا أنهم لم يتصوروا أنهـم سيتعرضون لكارثة وهزيمة كاملة ٠ وحجبت الرقابة الصارمة والدعاية الانبـاء السيئة عن الشعب ، الذى بدأ يشعر فقط وبصورة مبهمة أن الامور لا تسير عـلى ما يرام منذ اليوم الثالث من الحرب ، أى في السابع من يونيه ، عنـدما أوقفت اذاعة القاهرة البلاغات الحربية المثيرة واستبدلتها بتلاوة من القرآن٠

وفي الثامن من يونيه كانت الطوابير الاسرائيلية المدرعة تشق طريقها سريعا عبر صحراء سيناء واقتربت من قناة السويس حيث كان المصريون فى انسحاب كامل ٠٠ وعندئذ أدرك كبار القادة المصريين تماما كيف أصبح الموقف ميئوسا منه ٠ وفي مساء ذلـك اليوم اجتمع الرئيس عبد النـاصر ببعض كبار الضباط ومن بينهم المشير عبد الحكيم عامر ، نائب القـائد الأعلى (وكان عبد الناصر هو القائد الأعلى للقوات المسلحة) وقادة الجيش والطيران والبحرية ، وغيرهم من ضباط أركان حرب ٠٠ وخـلال مناقشات ومجادلات كثيرة ألح كبار ضباط على عبد الناصر أن يستقيل ، ولكنه صدهم ، وانهى المؤتمر بقوله انه سيفكر فى الأمر وأنه سيذيع على الشعب بيـانا فى اليوم التـالى ٠

وسرعان ما وصل الاسرائيليون الى الشاطىء الشرقى لقناة السويس عند عدة نقاط ، وفى الساعات الاولى من التاسع من يونيه بدأ تنفيـذ وقف اطلاق النار ، وأصبحت قناة السويس « فى الواقع » هى الحد الفاصل بـين الجيشين المتحاربين ٠ وكان معظم السلاح الجوى المصرى قد دمر فى ساعات قليلة ، وهزم الجيش المصرى فى سيناء وكان مؤلفا من تسعين ألف رجل ، وتم صده فى أربعة أيام ، وخسر فى هذه العملية فعلا معظم أسلحته وعرباته ومهماته الحديثة التى كان الاتحاد السوفيتى قد زوده بها مؤخرا ٠

وفى التاسع من يونيه ألقى الرئيس عبد الناصر خطاب « استقالته » المعروف وذلك عن طريق التليفزيون ، وفيه أعلن « أن اسرائيل قد وجهت ضربة أقوى مما كنا نتوقع » ٠٠ واستطرد يقول « لا يمكن أن نخفى على أنفسنا حقيقة أننا قد منينا بنكسة خطيرة فى الايام القليلة الماضية ٠٠ اننى على استعداد لتحمل المسئولية كاملة ٠٠ وقد قررت أن أتنحى عن كل منصب رسمي ومن كل دور سياسى وأن أعود الى صفوف الشعب ٠٠ وعين خليفة له رئيس الوزراء السابق زكريا محيي الدين صديق العمر ، ورفيق من الضباط الشبان الذين أطاحوا بالملك فاروق فى عام ١٩٥٢ ٠ وفى نفس اليوم استقال المشير عامر ، وكذلك شمس بدران ، وزير الدفاع ٠

وكان رد الفعل المباشر « لخطاب التنحي » أن احتشد الالاف من أبناء الشعب ، والكثير منهم فى بكاء ، فى شوارع القاهرة والمدن المصرية الأخرى وهم يهتفون معلنين تأييدهم لعبد الناصر ويطالبونه بأن يبقى رئيسا للدولة ٠٠ وفى مساء ذلك اليوم ، أصدر مجلس الأمة الذى لم تكن لديه فكرة عن فداحة الكارثة أكثر مما كان لدى الشعب ، أصدر قرارا أطالب فيه الرئيس عبد الناصر بالبقاء رئيسا للدولة ٠ ولم يتضح الموقف الا عندما عاد الاحياء فى غير نظام من سيناء وعاد أيضا أسرى الحرب ٠ ولم تقدر الأمة المصرية المدى الشامل للهزيمة تقديرا تاما بفضل الدعاية الماهرة والرقابة ٠ وقامت مؤسسات ومنظمات عديدة ، بما فيها القوات المسلحة وقسم الشباب فى الاتحاد الاشتراكى العربى (وهو الحزب السياسى الوحيد المسموح به) وكثيرون من الشخصيات البارزة ، بتوجيه نداءات الى عبد الناصر لكي يبقى ٠٠ ووجه زكريا محيي الدين نفسه اذاعة مقتضبة أعلن فيها أنه لا يمكنه أن يقبل الرئاسة وأن الرجل الوحيد الذى يجب أن يقود مصر هو جمال عبد الناصر فكان هذا حسما للأمر ، وفى اليوم التالى ، العاشر من يونيه أعلن عبد الناصر قراره بالبقاء فى منصبه «ازاء تصميم الشعب على رفض استقالتى» ٠٠ وشك المعلقون الساخرون فى تلقائية المظاهرات الموالية لعبد الناصر ، ورأى البعض أنها كانت مخططا سياسيا مدبرا واخراجا مسرحيا واثارة للمشاعر ٠٠ ولكن لم يظهر حتى الآن أى دليل مقنع يؤيد هذا التلميح ٠٠ ولا يمكن انكار أنه فى تلك اللحظات من الجهالة كانت شعبية عبد الناصر قد بلغت ذروتها لدى الجموع ٠

وما ان استقر للرئيس عبد الناصر مركز السيطرة والسلطة حتى شرع فى القضاء على أية معارضة ممكنة من جانب القوات المسلحة المهزومة الموجوعة والتى قد توجه اليه اللوم على هذه الكارثة وتحاول اقصاءه عن السلطة ٠ وفى الحادى عشر من يونيه انقلب على كبار الضباط الذين كانوا نصحوه قبل أربعة أيام بالاستقالة ، وفصل ثمانية منهم بما فيهم الفريق محسن مرتجى القائد السابق للقوات المصرية فى سيناء وأمير البحار سليمان عزت ، قائد البحرية ، أما الآخرون فهم بعض اللواءات فى المراكز الرئيسية ، كما أنه فصل أيضا أحمد سعيد المدير بالاذاعة ٠

وعين الفريق محمد فوزى ، رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة ، فى منصب القائد العام للقوات المسلحة خلفا للمشير عامر ٠

وكان عبد الناصر يعتبره كفؤا ولكن ليس على قــدر كبير من الدهاء السياسى ٠٠ وبهذا التعيين ألغى منصب المشير السابق كنائب للقائد الاعلى ٠٠ وعاد الفريق عبد المنعم رياض لتوه بعد هزيمته فى الاردن ليصبح رئيسا لهيئة أركان حرب القوات المسلحة ، كما عين أمير البحـــر فؤاد زكى قائدا للبحرية ٠٠ وهم جميعا من أوفى المؤيدين لعبد الناصر كانوا قادرين عـلى احباط أى عصيان مسلح محتمل من جانب الضباط المتذمرين ٠ واستهدفت عمليات الفصل داخل القوات المسلحة ، ومعاقبة من اخفقوا فى المعركة ٠

وفى التاسع عشر من يونيه ، شكل الرئيس عبد الناصر حكومة جديدة برئاسته ، كما تولى فى نفس الوقت منصب السكرتير العام للاتحاد الاشتراكى العربى ٠٠ وهكذا أمسك الى جانب الرئاسة المراكز الثلاثة الكبرى فى مصر ، وأصبحت السلطات السياسية والعسكرية والتنفيذية فى قبضة يده ٠٠ ومن المؤكد أن عبد الناصر قد كتب له البقاء سياسيا ٠ وعين محمد عبد الوهاب البشرى وزيرا للدفاع والانتاج الحربى ، ولكنه استبدل بعــد شهر أى فى الحادى والعشرين من يولية بأمين هويدى وكان سفيرا وضابطا سابقا بالجيش ٠

ومن ناحية أخرى كان الموقف العسكرى من أسوأ ما يكون ٠ لقــد تحطم الجزء الرئيسى من القوات المسلحة المصرية ، بما فى ذلك خسارة ثلثى طائراتها المقاتلة التى كانت تقــدر بأربعمائة وخمسين طـائرة ، وحوالى الثمانمائة من دباباتها التى كانت تبلغ الالف دبابة ، وكل المهمات التى كانت قد نقلتها الى سيناء ، وبددت فرقتان مدرعتان وخمس فرق مشاة واثنتـا عشرة وحدة مدفعية ، ولم تعد ذات فاعلية وأصبح كل ما تبقى لمصر فرقة مدرعة تحت التكوين ، واثنتى عشرة وحدة كوماندو صغيرة ، وبضعة مراكز تدريب ، وفصائل ادارية ٠ والوحدة العسكرية المنظمة الوحيدة كـانت هى القـوة المصرية الصغيرة الموجودة بعيدا فى اليمن ، وقد انخفض تعدادها الى ما يقرب من خمسة عشر الف رجل ، حيث أعيد لواءان منها الى مصر ويقدران بخمسة آلاف جندى ، فقد تم استدعاؤهما عندما نشبت حرب يونيه ٠٠ لقد كـانت لاسرائيل السيطرة التامة فى الجو ، وكانت مصر على حافة انهيار عسكرى ، ولم يكن هناك ما يحول دون عبور الاسرائيليين لقناة السويس والزحف الى القاهرة وقد قال عبد الناصر فيما بعد « لم يكن لدينا دفاع على الضفة الغربية من القناة ولم يقف جندى واحد بين العدو والعاصمة ٠٠ فقد كان الطريق الى القاهرة مفتوحا ٠٠ وكان المأزق المصرى شبيها بالمأزق البريطانى فى دنكرك »٠

ولمـا كانت مصر قد خسرت تلك الكميات الضخمة من السلاح والمهمات السوفيتية ، فقد ساور الحكومة المصرية الشك فيما اذا كان السوفييت فى صرامتهم قد يبعثون الى مصر بأى معدات أخرى ٠

ونظرا لما كان هناك من نفور سابق من مصر ازاء حكومات أمريكا وبريطانيا وفرنسا ، كان هناك يأس من هذه الحكومات ، ولو أنه لم يستمر طويلا ·· ومع ذلك فليس في هذه النقطة ما يدعو الى القلق · ففي الثامن عشر من يونية صرح وزير خارجية الكويت في اجتماع وزراء الخارجية العرب في الكويت أن الحكومة السوفيتية وعدت بومدين خلال زيارته الاخيرة لموسكو بتعويض كل خسائر العرب في حرب يونيه ·· وكان من دواعي الدهشة لدى الجميع ما تأكد من صدق هذا الوعد · ففي العشرين من يونية ، أي بعد أكثر من أسبوع منذ انتهاء حرب يونيه ، ظهر في القاهرة المارشال زخاروف ، رئيس أركان حرب الاتحاد السوفيتي ، وفي صحبته بعثة عسكرية سوفيتية كبيرة ·· والى جانب زيارتين قصيرتين لسوريا ، مكث في القاهرة أسبوعين·

ولكن الأمر الذي كان أكثر اثارة هو أن بودجورني ، رئيس الاتحاد السوفيتي وصل الى القاهرة في اليوم التالي ، أي في الحادي والعشرين من يونية ، حيث قضى ثلاثة أيام في محادثات مع عبد الناصر ·

وبالرغم من أن بودجورني كان يشعر بالقلق ازاء ما خسرته مصر من عتاد في حرب يونيه ، والاستخفاف الصارخ من جانب المصريين ازاء نصائح السوفييت فيما يتعلق بالاستراتيجية والتدريب والتكتيك ، فان بودجورني اختار مساندة عبد الناصر أكثر من مساندته لأي زعيم عربي آخر ، حيث أن الاتحاد السوفيتي كان يسعى الى التغلغل ومد نفوذه في الشرق الاوسط وافريقيا ·

وأكد بودجورني علانية تأييده لمصر ضد اسرائيل ، وذلك بموافقته على تقديم المساعدات المالية والاقتصادية والعسكرية ، ولكنه في هذه المرة اتجهت نية الاتحاد السوفيتي لأن يكون له اشراف أكثر دقة وتحكما على الاسلحة التي يبعث بها الى مصر · ونسب بعد ذلك الى بودجورني قوله : « سنحتفظ في أيدينا وفي كل مكان بمفتاح الاسلحة التي سنعطيها لهم(١)»· وفي العاشر من يوليه أقلع أسطول سوفيتي الى مينائي بور سعيد والاسكندرية تأكيدا لمساندة السوفييت لعبد الناصر ، وللمساعدة في ردع الاسرائيليين اذا كان هناك ما يغريهم بالتقدم غربا ·

كانت مهمة المارشال زخاروف تحديد كمية العتاد اللازم للدفاع المباشر عن مصر وتدبير شحنه اليها ، ووجود بعثة عسكرية سوفيتية مقيمة تساعد المصريين على استيعاب هذا العتاد والاشراف على استخدامه ·

وفي الخامس والعشرين من يونية وصلت الى مطار غربي القاهرة أول شحنة من الاسلحة عن طريق الجو ، وتلتها شحنات أخرى على فترات قصيرة ومستمرة · وخلال أسبوعين هبطت مصر مائتا طائرة نقل سوفيتية حيث أفرغت المهمات التي كانت في صناديقها ، ومعظمها ذات طابع دفاعي ، مثل مدافع الهاون وبنادق الميدان والطائرات المقاتلة ·· وكان من ضمن هذا العتاد عدد قليل من قاذفات القنابل والمدافع البعيدة المدى ·

وأستعادت مصر المعدات الحربية التي كانت لا تزال مغلقة في الصناديق والتي كانت قد سارعت بتخزينها في اليمن خلال حرب يونية حتى تكون في مأمن (٢) • وخلال أشهر الصيف وصلت الى الموانى المصرية أسبوعيا على الاقل سفينتا شحن سوفيتية لتفريغ مهمات عسكرية ••• ومن المسلم به عامة أنه حتى منتصف أكتوبر كان قد تم اســتعواض ستين في المائة من خسائر مصر في حرب يونية •

وقد أثار قرار اعــادة تســليح مصر دهشــة الكثيرين ، ولكنه فزع الاسرائيليين خاصة ، حيث لاحظت مدى السرعة والفاعلية التي تم بها ذلك •

وهكذا أخذ يسير برنامج أعادة التسليح ، واصبح عبد الناصر واثقا من نفسه ، فأخذ يلهو بشن الهجوم المضلل في اليمن • ففي أثناء حرب يونية ألح الملكيون ، الذين كانوا يحاربون الجمهوريين الذين تساندهم مصر ، أن يسحب عبد الناصر قوة جيشه الصغيرة ليستخدمها في حربه ضد الاسرائيليين بدلا من استخدامها ضد الملكيين ، مؤكدين انه لو فعل ذلك فانهم لن يهاجموا الجموريين في غيبة هذه القوات •• ولكن عبد الناصر لم يرد عليهــم ، بل قامت الطائرات المصرية في الخامس والسادس من يونية ، أي في اليومين الاولين من حرب يونية ، بقصف الملكيين تحذيرا لهم كي يلزموا حدودهم •• وشعر الملكيون الذين يتمتعون بمساندة السعودية بجرح كبريائهم فبدءوا هجوما حقق بعض النجاح • وما أن انتهت حرب يونية ، وأفاق عبد الناصر من خوفه ، وعادت الاسلحة السوفيتية تتدفق على مصر من جديد ، حتى تم تعزيز الحامية المصرية الى أن بلغ تعــدادها خمسة وعشرين ألف رجــل ، تساندهم الطائرات والمدفعية والمصفحات وتصاعدت العمليات ، ونجحت في استعادة معظم الاراضي التي كان الملكيون قد استولوا عليها •

كانت قناة السويس عاملا له أهميته الاستراتيجية الكبيرة • وبسبب التدخل المزعوم من جانب أمريكا وانجلترا في حرب يونية ، أغلق عبد الناصر القناة رسميا في وجه ســفن هاتين الدولتين وتلك التي تتعامل معهما •

والواقع أنها كانت غير صالحة للملاحة بالنسبة للجميع خلال حــرب يونيه بسبب تفوق الطيران الاسرائيلي ونشاطه • وفي الحادي عشر أعــلن رئيس هيئة قناة السويس أن القناة قد أغلقت حيث أن الاسرائيليين أغرقوا عدة مراكب فيها ولكنه رفض الافصاح عن أسماء هذه المراكب وجنسياتها • وواقع الأمر أن القناة أغلقت عمدا بناء على أوامر عبد الناصر ، حيث كانت هناك سفينتان « شبه غارقين » ، وهما من سفن الحجاج المصرية ، حمولة الواحدة منها ثمانية آلاف طن ، وذلك جنوبي بور سعيد ، كذلك كان هناك حوضان عائمان « نصف غارقين » وكانا مملوئين بالأسمنت بين الاسماعيلية والبحيرات المرة الكبرى ، ومركب صهريج مصرية حمولة خمسة الآف طن ، وكانت تسد مدخل القناة جزئيا بالقرب من مينــاء السويس (٢) •• والى جانب ذلك ، كانت هناك خمس عشرة سفينة أجنبية ، منها أربعة بريطانية ،

وأصبحت « حبيسه » في البحيرات المرة الكبرى ، ولكن تم اجـــلاء معظم ملاحيها على يد المصريين بمجرد انتهاء حرب يونية ولم يبق على ظهرها سوى عدد قليل من طاقمها ٠

وكان البترول أيضا عاملا استراتيجيا ذا أهمية كبرى ٠ ففي السادس من يونية فرضت دول البترول العربية حظرا على كل مبيعات البترول الى بريطانيا وأمريكا ، وظل هذا الحظر قائما حتى بعد حرب يونية ، ولكن ما كادت تمر بضعة أيام حتى بدأت تلك الدول تشعر بالضيق الاقتصادى ٠٠ وكانت السعودية أول من أبدى تذمره ، وكان ذلك في الثلاثين من يونيــة عندما سلم وزير البترول السعودى فى مؤتمر صحفى بأن الحظر قد أخر باقتصاد بلاده التى خسرت أحد عشر مليون جنيه فى أربعة وعشرين يوما ٠٠ وفى نفس اليوم قالت احدى الصحف الكويتية ان الالتزامات بتنفيذ هـذا الحظر قد تسبب فى هبوط داخل الحكومة بنسبة أربعين فى المائة ٠ وفى السابع من يولية صدر بيان للحكومة السعودية أعلنت فيه أنه لم يعد هناك داع للاستمرار فى حظر توريد البترول الى أمريكا وبريطانيا حيث قد ثبت الآن أنه لم يكن لهما دخل فى حرب يونية ٠٠ وأضاف البيان بطريقة لاذعة أن الدول العربية ليس هى المصدر الوحيد للبترول فى العـــالم ٠٠ ومع ذلك استمر الحظر قائما ، ويرجع ذلك بوجه خاص الى الضغط من جانب سوريا والجـــزائر ٠

فى الثانى عشر من يونية ، عندما أعلنت تونس تضامنها مع مصـر وعرضت ارسال قوات تونسية لمحاربة الاسرائيليين ، استؤنفت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين بعد أن ظلت مقطوعة منذ أكتوبر عام ١٩٦٦ ٠ وفى الخامس عشر من يونية طار الرئيس السورى الاتاسى الى القاهرة لمقابلة عبد الناصر ، وفى اليوم التالى سافر عبد الناصر الى الجزائر لاجراء محادثات مع بومدين ٠

وفى العاشر من يولية كان فى القاهرة كل من بومدين وحسين ملك الاردن لاجراء محادثات مع عبد النـــاصر ، وفى الحادى عشر لحق بهم عارف رئيس العراق ٠ وفى الثالث عشر وصل الى القاهرة رئيس وزراء ســـوريا لمقابلة عبد الناصر ، ولحق بهما اسماعيل الازهرى ، رئيس السودان ٠

وعاد جمال عبد الناصر ليتبوأ مركزه كسياسى رائد للشرق الاوسط٠

وانتهت هذه الجولة الأخيرة من محادثات القمة العربية فى السادس عشر من يولية ، واقتصر البيان على القول بأن رؤساء مصر وسوريا والعراق والجزائر والسودان اتفقوا على « الخطوات لازالة آثار العدوان الاسرائيلى ضد البـــلاد العربية » ٠٠ ولكن اتخذت الخطوات لعقد المزيد من الاجتماعات ، واقترح عقد اجتماع لوزراء الخارجية العرب بالخرطوم فى القريب العاجل ٠٠ وفى نفس الوقت كان المنتصرون ينتظرون عبثا أن يأتى المهزومون الى مائدة

المفاوضات لمناقشة تسوية ما بعد الحرب ٠٠ وكان رئيس وزراء اسرائيل ، أشكول ، قد صرح بأنه « مستعد لمقابلة الرئيس عبد الناصر والملك حسين والزعماء العرب الآخرين ، فى أى مكان وأى زمان ، من أجل اجراء محادثات السلام » ولكنهم لم يستجيبوا له ، بل آثروا أن يجتمعوا فيما بينهم ٠٠ كذلك كان موشى ديان ، وزير الدفاع الاسرائيلى ، ينتظر فى أمل ، وقد نسب اليه فيما بعد قوله « كنت أترقب أن يدق جرس التليفون فى أى وقت خلال الصيف ليحمل لى شروط الصلح من العرب » ٠

عقد وزراء الخارجية العرب اجتماعاتهم السرية فى الخرطوم من أول أغسطس الى السادس منه ، واختتموا اجتماعهم ببيان مقتضب أكدوا فيه تصميمهم على « استئصال كل آثار الامبريالية الصهيونية على الأرض العربية » ٠٠ وأكدت التقارير الصحفية معارضتهم لاية صورة من التفاوض مع اسرائيل ، ولكنهم لم يكونوا على مثل هذا الاتفاق بالنسبة للموضوعات الأخرى ، فقد كان معظمهم يعارضون المقترحات الجزائرية والسورية الخاصة بشن حرب عصابات ثورية ضد اسرائيل على غرار حرب فيتنام ٠ بينما اعترضت السعودية والكويت وليبيا على تشديد الحظر ضد أمريكا وبريطانيا وألمانيا الغربية ، وطالبت تونس بمزيد من المحاولات الدبلوماسية الفعالة والدعاية والاقلال من قحقحة السيوف والثرثرة ٠٠ وظل البترول عامل تفرقة بين العرب ، وسعيت الدول « الفقيرة » الى فرض وجهات نظرها على « الدول الغنية » ٠٠ وللتوصل الى سياسة مشتركة اجتمع وزراء المالية والبترول العرب فى بغداد من الخامس عشر الى العشرين من أغسطس ، ولكن يبدو أنهم لم يصلوا الى أى حل ، وكل ما جاء فى بيانهم دعواهم بأنهم « قد حققوا روح تضامن عربى » ٠٠ وظل البترول مقطوعا من الدول العربية عن الغرب ٠

وكان هناك موضوع آخر محل شيء من النزاع ، وهو استمرار اشتراك مصر ، ولو بصورة مصغرة ، فى اليمن لتأييد حكومة الجمهوريين ضد الملكيين الذين تساندهم السعودية ، فهى حرب دفعت اثنتين من أهم الدول العربية لأن تقف احداهما فى وجه الأخرى ، بل جعلتهما أيضا تتحاربان بصورة غير مباشرة ٠٠ وأخذ محجوب ، رئيس وزراء السودان ، على عاتقه دور رجل السلام ، فقام بزيارة كل من الرئيس عبد الناصر والملك فيصل ، وأعلن فى الرابع والعشرين من أغسطس أن كلا الزعيمين قد وافق على العمل من أجل تسوية على أساس « المشروع السودانى » ، ولكنه لم يكشف عن أية تفاصيل ٠ وقد فهم بوجه عام أن المشروع السودانى ينص على انسحاب مرحلى للقوات المصرية ، وانهاء المساندة المالية وغيرها للملكيين من جانب السعودية ، واجراء استفتاء لتقرير الصورة المستقبلة للحكم فى اليمن ٠

وبعد اجتماع تمهيدى لوزراء الخارجية لاعداد جدول الاعمال ، عقد بالخرطوم فى الثلاثين من أغسطس مؤتمر لمعظم الرؤساء العرب أو ممثليهم ،

وتخلف عن الحضـــور رئيس مهم ، هو بومدين ٠٠ كما ان رئيس وزراء سوريا حضر الى الخرطوم ممثلا بلاده ، ولكنه لم يشترك فى الجلسة الافتتاحية بل طار عائدا الى بلاده فى نفس اليوم ٠٠ لقد كانت كل من الجزائر وسوريا تناديان بحرب عصابات على غـــرار حـــرب فييتنام الامر الذى عارضه المعتدلون ٠٠

ولما عاد رئيس الوزراء السورى الى بلاده عقد حزب البعث الحـاكم اجتماعا طارئا وأصدر قرارا أعلن فيه « ان حرب التحرير الشـعبية هى الوسيلة الوحيدة لطرد القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية المحتلة » ٠

انتهى مؤتمر الخرطوم فى الثالث من سبتمبر ٠٠ وكـانت القرارات الأساسية هى ضرورة استئناف تدفق البترول الى الغـرب ، وان على دول البترول الغنية تقديم المعونة الى مصر والاردن نظير خسائرهما فى حـــرب يونيه ، والى مصر نظير الخسائر فى دخلها بسبب اغلاق قناة السويس ٠٠ كما يجب اتخاذ جميع الخطوات لتعزيز القـــوة العسكرية العربية ٠ وعلى سبيل المثال ، بلغت قيمة العائد من قناة السويس فى عام ١٩٦٦ أربعـة وسبعين مليونا من الجنيهات ، وثلاثة أرباع هذا المبلغ هى من رسوم مرور البترول ٠٠ وما يقرب من الثمانية والعشرين مليونا مقـــابل الخدمات والمساعدات ٠ وبلغ عدد السفن التى مرت بالقناة خلال هذا العام ٠

ولكن لعل ما كان أكثر أهمية وأبعد أثرا هى المبادىء الثـلاثة التى أعلنت ، وهى « لا اعتراف ، ولا مفاوضات ، ولا صلح مع اسرائيل » ٠

ولم يذكر أى شىء رسمى عن اليمن ، ولكن المعتقد أن عبد الناصر قـد وافق على سياسة الانسحاب التام حيث فقد فجأة اهتمامه بهذه البلاد بعد مؤتمر الخرطوم ٠٠

وفى الثـــالث من الشهر أعلنت اذاعة القاهرة أن قنـــاة السويس ستظل مغلقة ، طالما أن مصر ستتلقى من السعودية والكويت وليبيا المساعدة التى وعدت بها ٠ وقد سبق للجنرال أود بول ، رئيس لجنة الأمم المتحدة للاشراف على الهدنة أن أعلن فى السادس والعشرين من أغسطس أن كـلا من اسرائيل ومصر قد وافقت على عقد اتفاق بالامتناع عن الملاحة عبر القناة ، وذلك الى أجل غير محدود ، ويستثنى من ذلك مرور الزوارق المصرية لنقل الامدادات الى السفن الاجنبية الجانحة فى البحيرات المرة الكبرى ٠

وفى الثالث من سبتمبر ، أصدر رئيس وزراء اسرائيل ، أشكول ، بيانا يبدى فيه أسفه لقرارات مؤتمر الخرطوم التى أثبتت أنه وان كـان عبد الناصر قـد خسر الحرب فان سرعان ما كسب السـلام ٠ ان الموقف العنيد الذى يتمثل فى المبادىء الثلاثة ، أى « لا اعتراف » ، ولا مفاوضات ، ولا صلح ، قد أقنع الاسرائيليين بأن عليهم أن يتخذوا تدابير أكثر شـدة لاجبار العرب على احترام وقف اطلاق النار ، وهذا يعنى التخلى من جانب

اسرائيل عن سياسة السكوت وعدم التحرك التى حاولت أن تنتهجها وتتبع سياسة الأخذ بالثأر والانتقام · وظهـــر موقف أشـــد صرامة عندما صرح أبا ايبان ، وزير خارجية اسرائيل ، فى الرابع عشر من سبتمبر بأن خريطة الشرق الأوســـط لما قبل الخامس من يونيه ١٩٦٧ قد مزقت بلا رجعـة ، وان البديل الوحيد لخطوط وقف اطلاق النار الحالية هو حدود جديدة يتم التفاوض حولها بحرية ، تضمن السلام والأمن فى المنطقة · ولكن العرب لا يزالون ممتنعين عن الاستجابة لذلك · وفى العـاشر من الشـــهر أعلنت الحكومة الاسرائيلية أنه ما لم تنشأ محادثات مباشرة للسلام خلال اجتماع الأمم المتحدة (المقرر بدؤه فى الثانى والعشرين) فان اسرائيل سـتبقى فى المواقع التى احتلتها منذ وقف اطلاق النار بانتهاء حرب يونيه ·

وعلى أية حال ، فان عبد الناصر لم ينته بعد من اعادة التنظيم الداخلى ، وتبين له أن حلقة من الساخطين الخطرين بدأت تحـــوم وتلتف من حـول المشير عامر ، حيث قام بعض الضباط المفصولين بزيارته فى داره التى تقع باحدى ضواحى القاهرة ، أما الضباط فى القوات المسلحة فكانوا بوجه عام يشعرون بالألم من جراء هزيمتهم ، وسرعان ما انهارت هيبتهم وكان الكثيرون منهم يخجلون من ارتداء زيهم العسكرى علانية فى العاصمة ·· كان معظـم الضباط يكنون الاحترام العميق للمشير عامر الذى كان على سبيل المثال ، قـد قاد حملة رمضان الرائعة فى اليمن فى مستهل عام ٦٣ والتى أدت الى وضع ما يزيد على نصف هذ البلاد تحت سيطرة الجمهوريين · وفى الرابع من سبتمبر أعلن فجأة فى صحيفة الأهرام أنه قـد تم اعتقال المشير عامر ونحو الخمسين من الضباط والمدنيين ، ومن بينهـــم شمس بدران وزير الدفاع السابق ، وذلك لتآمرهم للسيطرة على القوات المسلحة والاهـــرام صحيفة قاهرية ، يرأس تحريرها محمد حسنين هيكل ، وهو صديق لعبد الناصر وموضع ثقته ، وكان يسود الاعتقاد أن وجهات النظر والآراء التى تنشرها الصحيفة تعكس وجهات نظـــر وآراء الرئيس ، الأمر الذى جعـل الاهرام تبدو وكأنها صحيفة شبه رسمية ·

وفى الخامس من الشـــهر فصـــل الكولونيل « صلاح نصر » ، مدير المخابرات ، وتولى وزير الدفاع ، أمين هويدى ، المسئولية أثناء التحقيق مع الادارة وبدأت تفاصيل أخرى تتوالى تدريجيا فى الاعداد الملاحقة من الاهرام ·· ففى الثالث عشر من الشهر اذاعت أنه قد تم أيضا اعتقال نصر وعباس رضوان الذى كان وزيرا للداخلية عند نشوب حرب يونيه ·· وقيل بأنهما مع المشير عامر وشمس الدين بدران كانا يحاولان تشكيل « مجلس شورى » بهدف تعيين بدران رئيسا للوزراء واعادة عامر الى منصبه الأول ، فاذا ما رفض عبد الناصر هذه المطالب كان على المشير عامر أن يزحف بلواء مدرع الى القاهرة ·· ولكن تم اعتقاله فى اليوم السابق على تنفيذ هذا المخطط الذى كان مقررا تنفيذه كما قالت الاهرام – فى الســـادس والعشرين من أغسطس ·

وفى الخامس عشر ، أعلنت اذاعة القاهرة أن المشير عامر قد انتحر فى اليوم السابق ، وأوضحت أنه عندما قام الفريق محمد فوزى وعبد المنعم رياض بزيارة المشير عامر فى منزله فى الثالث عشر من الشهر ، استأذنهما ودخل الى الحمام ، وتناول سما لم ينج منه · وسرعان ما قامت الشكوك أنه قد أجبر على قتل نفسه ، ولكن الحكومة والأهرام وصفتا بالتفصيل تسلسل الحادث وطريقته ·· وفى التاسع عشر ، ذكرت الأهرام أن مائة وتسعة وأربعين شخصا قد أعتقلوا بتهمة اشتراكهم فى مؤامرة عامر للسيطرة على القوات المسلحة ··

والى جانب ذلك ، أخذ عبد الناصر يتصرف مع المسئولين عن الهزيمة المصرية فى الميدان وأعلن فى الخامس والعشرين من سبتمبر أنه ستتم محاكمتهم بعد التحقيق معهم أمام لجنة خاصة ، وكان أربعة منهم قد مثلوا أمام محكمة عسكرية فى الثلاثين من أكتوبر · وكان جميعهم من كبار ضباط سلاح الطيران ، وهم محمد محمود صدقى ، القائد السابق للسلاح جمال عفيفى ، رئيس هيئة أركان حرب السابق ، عبد الحميد الدغيدى ، القائد السابق للمنطقة الشرقية ، واسماعيل لبيب ، المدير السابق للدفاع الجوى ·· ولم تعلن جوانب الاتهام حيث ان المعلومات التى تتضمنها ــ كما قيل وقتئذ ــ قد تفيد العدو ، وتمت الموافقة على طلب جعل المحاكمات سرية ·

وأصبحت قناة السويس هى الحاجز الواضح بين القوات البرية المتقاتلة وذلك باستثناء مثلث من المستنقعات والبحيرات الملحة حول بور فؤاد عند الطرف الشمالى على الضفة الشرقية ، والتى كانت فى قبضة المصريين ، ولو أن التحرك كان مقيدا الى أقصى حد بسبب طبيعة الأرض ·· كان الاسرائيليون موجودين بالضفة الشرقية ، والمصريون على الضفة الغربية بطولها · ولم يمض غير قليل حتى بدأ الاحتكاك المسلح ·· ووقع أول صدام فى اليوم الاول من يوليه ، غير أن التفاصيل لم تكن دقيقة حيث تضاربت الروايات من كلا الجانبين ، فقد ادعى الاسرائيليون أن قرابة المائة والعشرين من المصريين قد عبروا بالزوارق قناة السويس بالقرب من رأس العش بين القنطرة وبورفؤاد وأطلقوا النار على المواقع الاسرائيلية بطول شاطىء القناة فأصابوا عدة جنود بجراح · وقال المصريون : أن الاسرائيليين قد حاولوا الزحف شطر بور فؤاد ، أى الى المثلث الذى يرابط به المصريون ، ولكن المصريين صدوهم ودمروا لهم ست دبابات وفى الثالث من يوليه سلم الاسرائيليون بوقوع أول عمل تخريبى فى سيناء حيث خرج فيه قطار عن خطه الحديدى · وفى الخامس منه قتل ضابطان اسرائيليان نتيجة قصف بمدافع الهاون من الضفة الاخرى للقناة ، وفى الثامن من يوليه ، عندما قصف المصريون المواقع الاسرائيلية بالقرب من القنطرة اعترف الاسرائيليون بمقتل خمسة وجرح واحد وثلاثين ، وكان على سلاح الطيران الاسرائيلى أن يتدخل ضد المدافع المصرية ·

أما البحرية الاسرائيلية التى لم تتح لها فرص كثيرة لاثبات مجدها في حرب يونيه ، فقد أثبتت وجودها في الثاني عشر من يوليه ، فقد حدث ان هاجم اثنان من زوارق الطوربيد المصرية زورقي طوربيد اسرائيليين بالقرب من خليج روماني عند الشاطيء الشمالى لسيناء ، وعندئذ تحركت المدمرة الاسرائيلية ايلات التى كانت على مقربة من المكان ، وأغرقت الزورقين المصريين ، ولم تصب السفينة الاسرائيلية بأضرار ، ولكن الاسرائيليين اعترفوا بأن ثمانية من البحارة قد أصيبوا بجراح ٠٠ والتزم المصريون الصمت حول هذا الحادث ٠

لقد تولد الاحتكاك نتيجة قيام كلا الطرفين باحضار أسلحته الى حافة القناة ليقصف الطرف الآخر الذى كان على مرمى قريب منه ٠٠ ووقع أعنف قتال منذ حرب يونيه فى الرابع عشر من يوليه عندما فتحت المدافع الهاون نيرانها عبر الممر المائى فى عدة مواقع وخاصة بالقرب من القنطرة والفردان والاسماعيلية وميناء السويس ٠٠ واتهم كل منهما الآخر بأنه هو الذى بدأ الضرب ، وأخذت الادعاءات تتضارب ٠٠ وقال المصريون انه بالرغم من أن الاسرائيليين قتلوا اثنين من المدنيين وجرحوا آخرين بالاسماعيلية ، فان المصريون دمروا لهم ست عشرة دبابة وخمس عشرة عربة مصفحة ٠٠ وقال الاسرائيليون ان المصريين قتلوا خمسة من جنودهم وأصابوا عشرين آخرين بجراح ، وأن الطائرات الاسرائيلية اسكتت المدافع المصرية عند بور ابراهيم جنوبى ميناء السويس ، وفند الاسرائيليون ما ادعاه المصريون من أنهم أسقطوا خمس طائرات اسرائيلية ٠٠ والى جانب ذلك احتدمت حرب البيانات والبلاغات ٠٠

ونظرا للشكاوى التى قدمتها كل من مصر واسرائيل الى الامم المتحدة عن الاحداث بطول قناة السويس ، أصدر مجلس الأمن تعليماته الى الجنرال أود بول ، رئيس لجنة مراقبة الهدنة ، كى يتخذ الترتيبات اللازمة مع كلا البلدين لتمكين مراقبى الأمم المتحدة من أن يرابطوا فى نقاط بطول القناة ٠٠وفى العاشر من يوليه ، وافقت مصر ، وكذلك فعلت اسرائيل فى اليوم التالى ٠٠ وتمت الموافقة على أن يبدأ تنفيذ وقف اطلاق النار فى الساعة ٢١٠٠ بالتوقيت المحلى من الخامس عشر من يوليه ، أى فى اليوم التالى لليوم الذى شهد القصف العنيف ٠٠ كما اتفق أيضا على أن يحتل مراقبوا الأمم المتحدة مواقعهم فى اليوم التالى ، ولكن كان هناك تأخير لفترة قصيرة والواقع أن اطلاق النار كان توقف بالفعل ، وكان هناك هدوء مؤقت نسبيا لبعض الوقت ٠٠ وكان سبب التأخير هو مشكلة الاتصالات بين مراقبى الامم المتحدة على كلتا الضفتين ، حيث كان الاسرائيليون يريدون أن يتم ذلك عن طريق اللاسلكى العادى للميدان ، ولكن مصر اعترضت على الاتصال المباشر وطالبت بالعودة الى الطرق المعتادة ــ الامم المتحدة ــ أى أن يتم التبليغ عن طريق نيويورك وتم الاتفاق على أن يقوم مراقبوا الامم المتحدة بالتبليغات الى مقر قيادة الجنرال أود بول فى القدس ٠

وفى السابع عشر من يولية بدأ أربعة مراقبين مهمتهم على كلتا الضفتين، ثلاثة فى مواقع على ضفة القنـــاة والرابع على المقر الأمامى للقيـــادة فى الاسماعيلية بالنسبة للجانب المصرى ، والقنطرة بالنسبة للجانب الاسرائيلى ·· وأخذ هذا العدد يتزايد ببـــطء فى الأسابيع اللاحقة · وظلت مشكلة الملاحة بالقناة بدون حل ، ولو أن مصر قد وافقت فى الثالث من أغسطس على أن يمتنع الطرفان عن استخدام القناة ، وهو اقتراح كانت اسرائيل قد وافقت عليه من قبل وذلـــك باستثناء القوارب التى تحمـــل المئون للسفن الأجنبية المحتجزة فى البحيرات المرة الكبرى ·· وآرادت اسرائيل أن يكون وسط القناة هو خط وقف اطلاق النـــار ، ولكن مصر تمسكت بملكيتها للقنـــاة بأكملها ·

وبالرغم من وجود مراقبى الأمم المتحدة ، تعدد اطلاق النار عبر القناة خلال شهر سبتمبر ، وكان يتوقف عادة عندما كان مراقبوا الامم المتحـدة ينجحون فى وقف اطلاق النار محليا ·· وعلى سبيل المثـال ، أعلنت اذاعة القاهرة فى العشرين من سبتمبر أن أحد المدنيين المصريين قتـــل وأصيب ثمانية بجراح عندما قصف الاسرائيليون مينـــاء السويس وبورتوفيق ، بذلك يصبح عدد القتلى أربعة وأربعين والمصابين مائة وسبعين فى منطقـــة القناة منذ حرب يونيه · وأنكر الاسرائيليون أنهم قصفوا هذه المواقع وقالوا أن مدافعهم أطلقت نيرانها فقط على الزوارق المصرية ناقلة الجنود عنـــدما حاولت استخدام القناة · ووافق الاسرائيليون على قيام المصريين باختيـــار الجزء الجنوبى من القناة للتأكد من اذا كان من الممكن ابحار الخمس عشرة سفينة الاجنبية ، ولكن عندما بدأ المصريون يتحركون شـمالى الاسماعيلية فتح الاسرائيليون نيرانهم وتسببوا فى اصـــابة اثنى عشر شـــخصا · وفى اليوم التالى حدث اطلاق النيران من المدفعية عبر الممر المائى عنـــد القنطرة وسلم الاسرائيليون بمقتل أربعة جنود واصابة ستة آخرين بجراح ، ولكنهم ادعوا أنهم أحدثوا بالمصريين اصابات · وفى السابع والعشرين تجدد القصف بنشاط جنوبى بالقنطرة حتى مدينة السويس ، ولم يستطع مراقبو الامم المتحدة من فرض وقف اطلاق النار الا بعد عدة ساعات ·· وتبادل الطرفان الاتهام ببدء الاحداث ، وادعى كل منهما بأنه أوقع بالآخر الخسائر ·

وكثرت الادعاءات التى لم يكن هناك دائما دليل على صحتها ، وذلـــك كلما ازدادت حرب الدعاية · وعلى سبيل المثـــال ، ادعى الاسرائيليون فى الرابع من سبتمبر أنهم أغرقوا أحد زوارق الطوربيد المصرية بعد تبـــادل اطلاق النار بالقرب من بور توفيق ، ولكن لم يكن هناك ما يؤيد ذلـــك ·· كذلك لم يكن هناك مايؤيد ادعاءات المصريين بأنهم دمروا عـــدة دبابات اسرائيلية وعربة مصفحة فى اليوم التالى ·· ومن وقت لآخر كان الطيران المصرى يقوم بطلعات متواضعة قصـــيرة ·· وفى السادس والعشرين من أغسطس ادعى الاسرائيليون أن مدفعيتهم المضادة للطائرات ســقطت احدى الطائرات بالقرب من بير جفجافة على أربعين ميلا تقريبا شرقى القناة ، بينما

قامت المقاتلات الاسرائيلية فى الحادى عشر من أكتوبر باسقاط طـــائرة مصرية « ميج - ٢١ » على مسافة عشرة أميال تقريبا شرقى البحيرات المرة الكبرى وباستمرار هذه الأحداث عين عبد الناصر فى أول أكتوبر على صبرى وهو أحد النواب الأربعة لرئيس الوزراء ، وزيرا مقيما بمنطقة قناة السويس وكانت مهمته هى أن « يتولى الخط الامامى » وخولت له سلطة الاشراف على الاهالى وعلى الموارد بالمنطقة .

وطوال معظم نهار الحادى والعشرين من أكتوبر ظلت المدمرة الاسرائيلية ايلات تقوم بمناورات فى منطقة خليج رومانى وكأنهـا تتحدى فى ازدراء استعدادات الدفاع في بور سعيد ، ولكن الرادار المصرى كان يتتبعها طوال هذا الوقت ، وفى المساء هاجمتها سفينتنا صواريخ من طـــراز « كومار » وأغرقناها بصواريخ « ستايكس » .. وبلغ عدد المفقودين سبعة وأربعين من طاقمها البالغ عدده مائتين واثنين ، وبلغ عدد الجرحى واحدا وتسعين .. وأخذت طائرات الهليكوبتر الاسرائيلية تحاول انقـاذ البحارة وانتشالهم من الماء مستعينة في ذلك بأضواء المشاعل .. وتضاربت التقـارير حول غرق المدمرة .. فقد أعلن القبطان أيرول ، من البحرية الاسرائيلية ، أمام مؤتمر صحفى أن أربعة صواريخ أطلقت على ايلات في الساعة ١٧٫٣٠ عندما كانت على بعد ثلاثة عشر ميلا من الشواطىء المصرية ، أصاب اثنان منها السفينة مما جعلها تميل على جانبها ، ولكن عندما رؤى بعد ساعتين أن السفينة لـم تغرق بل انها مالت فقط أطلق عليها صاروخان آخران من طراز ستايكس اصاب أحدهما السفينة وأغرقها ، بينما انفجر الآخر بين الذين كانوا على قيد الحياة وسط الماء .. أما الرواية المصرية كما صرح بها اللواء مصطفى كمال، من هيئة أركان حرب القيادة العامة ، فتقول ان ايلات كانت على مســـافة عشرة أميال فقط من بور سعيد (والمياه الاقليمية المصرية تمتد الى اثنى عشر ميلا) وأنها غرقت فى نفس المكان الذى وجهت اليها فيه أول ضربة بالصواريخ وهى داخل المياه المصرية .. ورفض أن يذكر المدى الذى أطلقت عليه الصواريخ ، ولكنه صرح بأنه لا يوجد أجانب في القوات المسلحة المصرية ويعنى بذلك أنه لم يكن هناك سوفييت على السفينة المصرية . وكانت ايلات هى المدمرة البريطانية « زيلوس » حمولة ١٧١٠ من الاطنان واستخدمت خلال الحرب العالمية الثانية قبل أن تباع للاسرائيليين فى عام ١٩٥٦ . أما سفن الصواريخ حمولة مائة طن ، والسوفيتية الصنع (طراز طومار) فتبلغ سرعتها نحو أربعين عقدة ، وتحمل زوجا من قاذفات الصـــواريخ ، ويبلغ مـدى « ستايكس » نحو العشرين ميلا .

وجاء انتقام الاسرائيليين فى الرابع والعشرين .. فبدءوا بقليل من القصف على مدينة السويس والميناء ، ثم تحول القصف الى ستار من الهاون الثقيل لم يخطىء أهدافه ، ووجه القصف أولا الى معامل تكرير البترول التى تبعد نحو الميلين من الشاطىء ثم الى العمل الثانى ويبعد عن الاول نحـــو الميل الى الداخل ، وبعد ذلك الى مصنع للســـماد بالقرب منه ، وتجـاهل

الاسرائيليون نداء الأمم المتحـــدة للتوقف واستمر القصف حوالى ثلاث ساعات وعندما انتهى الضرب كان معملا التكرير قد دمرا ، وظلت صهاريج البترول مشتعلة ، وشوهد الدخان على مسافة خمسة وعشرين ميـــلا ، وأصيب مصنع السماد بأضرار جسيمة كما تعطلت مرافق الميناء . وكان معملا التكرير ينتجان حـــوالى خمسة ملايين طن من استهلاك مصر من البتـرول المكرر (ويقدر بستة ملايين ونصف المليون) ، أما الكمية البــــاقية ، أى أى المليون ونصف المليـــون فيتم تكريرها بالاسكندرية . ومن الأدلة عـلى قسوة هذه الضربة الاقتصادية أن بدأ توزيع الكيروسين بالبطاقات منـــذ السابع من نوفمبر ، والمعروف أن الكيروســين بالنسبة للسواد الأعظـم من الاهالى خارج المدن يعتبر ضروريا للطهى .

كذلك قام الطيران الاسرائيلى بماجمة سفن الصواريخ المصرية (كومار وأوزا) فى مينائى الاسكندرية وبور سعيد كانت بعض السفن البحـــرية السوفيتية تقوم بزيارة ودية لهذين الميناءين قبل ذلك بأيام قليلة .. كانت النتيجة أن سارعت السفن السوفيتية بالعودة اليها ، ومنذ ذلك الوقت لم يخل الميناءان وغيرهما من الموانى المصرية من وجود السفن السوفيتية فكان فى ذلك رادعا للاسرائيليين الذين كانوا يخشون من أن يتورطوا علانية مع الاتحاد السوفيتى .

وفى اليوم التالى ، أى فى الخامس والعشرين ، صرح يوثانت بأن فى نيته تعزيز هيئة مراقبة الهدنة بزيادة عدد مراقبى الامم المتحـدة من ثلاثة وأربعين الى تسعين ، ومضاعفة عدد نقاط المراقبة من تسع الى ثمانى عشرة على كلى جانبى القناة ، مع توفير أربع زوارق داورية ليستخدمها أفراد الأمـم المتحدة على الممر المائى ، وكذلك أربع طائرات هيليكوبتر .. ولكن كان رد الفعل بطيئا ازاء هذه المقترحات .

وما حل آخر أكتوبر حتى تلاشى سريعا شعور اللامبالاة وفقدان الحس اللذين كان المصريون يشعرون بهما بعد حرب يونيه ، وأخـذوا يفيقـون من صدمة هزيمتهم ، ويردون بتعنت على الحـــوادث الاسرائيلية ويبـدءون نشاطهم العسكرى من تلقاء ذاتهم .. وازداد التوتر ، وكثـــرت الاضرار ، وتزايد القصف وتزايدت معه الخسائر .

أضف الى ذلك أن مصر أخذت الان تواجه مشكلة اللاجئين ، فقد قيل انه تم بالفعل اجلاء ثلاث مائة وخمسين ألفا من الاهالى من المدن والقـــرى الواقعة على مقربة من الضفة الغربية للقناة . وأصبحت الاسماعيلية التى كان يسكنها حول المائة ألف ، خالية من المدنيين ، كما قيل بأن النية اتجهت الى اجلاء نصف أهالى بور ســـعيد على الاقل ، ويبلغ عددهم خمسمائة الف نسمة وذلك بسبب القصف الاخير . وهكذا أضـــافت اسرائيل الى مشكلة اللاجئين الفلسطينيين مشكلة أخرى قد تقل عنها ذيوعا ولكنها لا تقل عنها واقعا .. وهى مشكلة اللاجئين المصرية .

٢ ـ الاستعداد العسكرى

« ليست هناك من وجود أفضل من قناة السويس »

رئيس الوزراء أشكول

الآن وقد تصدى الرئيس عبد الناصر والمصريون لآثار كارثة الهزيمة ، وتم لهم تعزيز موقفهم بالمزيد من الاسلحة السوفيتية والمساندة السوفيتية كذلك ، بدءوا يطورون رد فعلهم العدوانى • وفي الثانى والعشرين من نوفمبر ١٩٦٧ • وافقت الامم المتحدة بالاجماع على مشروع قرار بريطانى « باقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الاوسط»ويطالب فى جوهره بانسحاب القوات الاسرائيلية من مناطق احتلتها منذ حرب يونيه ، ويطالب العرب بالاعتراف بوجود اسرائيل وبتسوية عادلة لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، واقامة مناطق منزوعة السلاح •• وكثيرا ما يشار الى هذا القرار بعبارة « قرار نوفمبر » أو « بالقرار رقم ٢٤٢ » وهو رقمه المسلسل •• وسرعان ما أصبح نقطة نقاش مثيرة للجدل والخلاف • وهكذا ظل حتى يومنا هذا •

لقد طالب « قرار نوفمبر » بتعيين ممثل خاص للأمم المتحدة ليذهب الى الشرق الاوسط وللاتصال برؤساء الدول وغيرهم للحث على الاتفاق ومساعدة الجهود للتوصل الى تسوية سليمة ومقبولة • وبادر يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة ، بتعيين جونار يارنج ، سفير السويد لدى موسكو وقتئذ ، ولكن التسوية المقبولة كانت مبعثا للحيرة ، وأمضى يارنج الأسابيع والشهور ، دون أية ثمرة ، متنقلا من بلد لآخر ومن عاصمةلأخرى•

وكان رد الفعل المباشر من جانب عبد الناصر هو أول خطاب له نزعته الحربية منذ حرب يونيه ، وهو الذى ألقاه أمام مجلس الأمة فى اليوم التالى ، أى فى الثالث والعشرين • وأكد عبد الناصر مبادىء الخرطوم الثلاثة ، وهى عدم الاعتراف وعدم التفاوض وعدم الصلح مع اسرائيل وأضاف مبدأ رابعا هو « عدم التدخل فى المشكلة الفلسطينية التى هى القضية الشرعية للشعب الفلسطينى » •• وقال أن المصريين لن يسمحوا بمرور السفن الاسرائيلية عبر قناة السويس •• واستطرد يقول فى زهو وتفاخر : « اننا بحاجة الى وقت لاستكمال استعدادنا العسكرى » •• فى وسعنا الان أن ندافع عن أنفسنا •• وأذا حان الوقت للقيام بعمل عسكرى فلن نكون فى موقف الدفاع •• علينا نحن نختار الوقت والمكان » •• وادعى ان الجيش المصرى أقوى مما كان عليه قبل يونيه ١٩٦٧ ، وأن الوقت أصبح فى صالح مصر وتلا تقريرا عن العملية الحربية الاخيرة التى أغرقت فيها المدمرة ايلات مشيرا الى أنها نذير بما سيحدث من أمور •

وكان رد الفعل الاسرائيلي ازاء قرار نوفمبر وخطاب عبد الناصر يتسم بالفزع ، فقد بدأت تتلاشى ثمار النصر العسكرى ، ولكن الموقف الاسرائيلى كان أيضا عنيدا متصلبا ٠٠ وطلب الاسرائيليون بمفاوضات مباشرة مع العرب ٠٠ وكان رئيس الوزراء أشكول قد صرح أمام الكنيست فى الثانى عشر من يونيه وفى الثلاثين من أكتوبر ١٩٦٧ ٠ أنه لن تكون هناك عودة الى الاحوال التى كانت قائمة قبل الخامس من يونيه ١٩٦٧ ، وأنه لن تتم التسوية السلمية الا بالمفاوضات المباشرة مع الدول العربية المعينة وأنها يجب أن تتضمن بعض الموضوعات مثل حرية مرور السفن الاسرائيلية عبر مضايق تيران وقناة السويس ٠ وتمسك الاسرائيليون بأن الحدود الآمنة لا يمكن أن تتحقق الا فى طار تسوية سلمية ٠٠ لقد كانت اسرائيل ومصر على حافة الاصطدام ، وكانت كلتاهما تعتمد على قواتها المسلحة التى كانت تجهزها ٠

وبانتهاء عام ١٩٦٧ استطاعت مصر اعادة بناء تشكيلاتها العسكرية الممزقة وأعادت تزويدها على نطاق واسع بالأسلحة والمعدات السوفيتية الحديثة ٠٠ ووفقا لأصح تقدير ، استعوضت مصر ستين فى المئة من خسائرها فى حرب يونيه ، والتى قدرت (فى فبراير ١٩٦٨) اربعمائة وخمسين دبابة متوسطة ، ومائتين وخمسين مدفعا ثقيلا ، وثلاثمائة مدفع ميدان وهاون ٠٠ وبحساب تقريبى ، أصبح لدى مصر ما يقرب من خمسمائة وخمسين دبابة معظمها من طراز « ت ٥٥ » وثلاثمائة مدفع ثقيل ، وأربعمائة مدفع ميدان ، ومائتى هاون من مختلف الانواع وحوالى الثمانمائة عربة مصفحة من بينها عربات مصفحة لنقل القوات ٠٠ وكان هذا كافيا لأن يوفر للمصريين المقدرة والثقة فى الحفاظ على خط قناة السويس وأن يقاوموا أية محاولة اسرائيلية للعبور ، ولكن لم يكن كافيا لأن يسمح للمصريين بأن يشقوا طريقهم ثانيا الى سيناء ٠

وأعيد تشكيل عنصر المشاة فى ست فرق ، احتلت ثلاث منها مواقع متقدمة على طول القناة ، وكذلك معظم المدفعية ، وتم كذلك اعادة تكوين البطاريات فور وصول المدافع السوفيتية ، أما الفرق المدرعة الثلاث والتى تضم كل منها وقتئذ لوائين مدرعين فقط فى هذه المرحلة ، فكانت ترابط وراء الضفة الغربية للقناة من خلف الفرق المشاة المدرعة ٠٠ واتجه الميل الى ادماج فرق المظلات والصاعقة معا ليطلق عليها بعد ذلك «القوات الخاصة» وكانت خمس عشرة وحدة كوماندو صغيرة عند بدء حرب يونيه ٠

يبلغ تعداد المصريين زهاء الثلاثين مليونا ، ويزيد هذا العدد بمعدل ثلاثة أرباع المليون سنويا ، ومدة التجنيد الالزامى ثلاث سنوات ٠٠ لذلك لم تكن لدى عبد الناصر مشكلة فيما يتعلق باليد العاملة وعندما بدأت حرب يونيه بلغ عدد القوات المسلحة المصرية مائة وتسعين ألفا ، ولكن هذا الرقم يتضمن نسبة ـ قد تصل الى الثلث ـ من الاحتياطى وكان تعداد

الجيش مائة وستين ألفا ، من بينهم عشرون ألفا كانوا لا يزالون باليمن أو عائدين من اليمن ، وأرسل تسعون ألفا عبر القناة الى سيناء ، ولم يبــق بمصر سوى خمسين ألف جندى تقريبا .

وبعد حرب يونيه مباشرة كانت مصر بلا دفاع. وكان من وراء القوات المسلحة ستون ألفا من الحرس الوطنى لمهام الامن الداخلى ، ولذلــك فان اجمالى عدد من كانوا يعملون طوال الوقت فى أداء الواجبات العسكرية لم يكونوا يزيدون عن المائتين وخمسين ألفا ، وهذا عدد بسيط بالنسبة لدولة تعدادها ثلاثون مليون نسمة .

لم تكن الخسائر فى حرب يونيه جسيمة،ووفقا لتصريحات عبد الناصر كانت خسارة مصر عشرة آلاف جندى وألفا وخمسمائة ضابط .. وبلغ عدد الأسرى خمسة آلاف جندى وخمسمائة ضابط .. وتميل أرقام الخسائر الى الاختلاف والتعدد ، ويبدو أنها ظلت غامضة ومبهمة عن عمد .. كانت المعنويات هى العامل المجهول فى هذه اللحظة واحتجزت القوات العائدة فى معسكرات بالصحراء الى أن تم « تكييفها » قبل عودتهم الى وحدتهم أو الحاقهم بوحدات جديدة .. وبعد حرب يونية تم استدعاء الـكثيرين الاحتياطيين ، كما تم أيضا تجنيد الكثيرين حتى بلغ اجمالى عدد القوات بالجيش مائة وتسعين ألفا بل قد يزيد .

وحاول الجيش المصرى تركيز التفكير على اعادة تنظيم نفسه ، ولكن حالت دون ذلك ، الى حد ما ، عمليات التطهير ، حيث تم فصل أو اعتقال ما يزيد على الثمانمائة ضابط ، معظمهم من الضباط العظام ، الى جانب الالفى ضابط الذين فقدتهم مصر فى حرب يونيه .

كما حدث تباطؤ فى الأفراج عن الاسرى وتبادلهم .. وأخذت تساعد الجيش المصرى بعثة عسكرية سوفيتية موسعة بلغ تعــدادها مع مستهل عام ١٩٦٨ الجديد ما يزيد على الالفى شــخص .. وانتشر المستشــارون السوفييت داخل الجيش حتى مستوى الوحــــدات .. ووجـد المدربون السوفيتيون صعوبة فى التعامل مع المصريين الذين لم يكن لديهم من الصبر ما يمكنهم معه تقدير الاساليب السوفيتية التى كانت بطيئة ومنهجيــــة وتتطلب الكثير من الجهد .. كان دور السوفييت فى بداية الامر استشاريا فقط .. وعندما لاحظ عبد النــــاصر الاسترخاء والتقاعس بين صـفوف الضباط طلب الى السوفييت أن يقوموا بدور أكبـــر فى اعادة التنظيـم والتدريب ، ثم أمر جميع الضباط المصريين باطاعة المستشارين السوفييت ولو كانوا دونهم فى الرتبة .. وقد شكا بعض هؤلاء الضباط ، ولكنهــم رضخوا تحت الحاح عبد الناصر .. وقد أثار ذلك احتـكاكا بين المصريين والروس .. فقد تمسك الضباط السوفييت بتدريب أقصى وأطول وأكثـر تنوعا وبالتطوير المطرد من مجرد التدريب الفردى لأطقم الأسلحة الى جعله متلاحما فى وحدات متماسكة التى تسود كل منهما روح التضامن والجماعة

•• ومن وقت لآخر كان بعض كبار الضباط السوفييت يزورون القــوات المسلحة المصرية ، كما كان بعض كبار الضباط المصريين يوفدون الى الاتحاد السوفيتى لتقديم التقارير أو للالتحاق بدراسات تدريبية •• وعلى سبيل المثال ، حضر الى مصر فى مارس ١٩٦٨ المارشال جريتشكو ، رئيس هيئة أركان حرب الجيش السوفيتى ، فى زيارة لتقصى الحقــائق استغرقت خمسة أيام •

لقد كان كل من الفريق فوزى ، القائد العام ، والفريق رياض رئيس أركان الحرب ، يتسم بالكفاءة والواقعية •• وعندما قاما بعمليــة اعادة توزيع مناصب القيادات والمراكز كانا موفقين فى الاختيار • انه وان لم يكن الضابط المصرى ، وخاصة ضابط الفرقة ، بنفس الكفــاءة وتكريس الذات كنظيره الاسرائيلى ، الا أنه لم يكن سيئا كما حاولت أن تصوره الدعاية الغربية والاسرائيلية المعادية • وقبل حرب يونيه كان الضــباط يتمتعون بمكانة كبيرة ، ومن ثم كثر عدد من أرادوا الالتحــاق بالجيش ، ولم يكن يحظى بذلك الا من هم أفضلهم • وبعد الحرب جردوا من كثير من المزايا ، وكان عليهم أن يقضوا وقتهم مع فرقهم ويعملون بكل جهد ، فلم تعد هنــاك عطلات نهاية الاسبوع الطويلة فى القاهرة • وكانت تلك من العادات التى كادت أن تصبح تقليدا •• لقد أحسوا بشعور الالم القاسى والندم ، وسرعان ماتلاشى ليحل محله العزم على اثبات جدارتهم • كمــا استجاب الضــباط المصريون لالحاح السوفييت فى العمل والتدريب القاسى ، كذلك استجاب الجنود لضباطهم ، واكتشف كثيرون من الضباط المصريين لاول مرة كيف يمكن أن يصبح الفلاح المصرى جنديا صالحا متى أحسن توجيهه وتشجيعه • وبناء على الحاح السوفييت أقصى عن الجيش بعض الضباط الذين يتحدرون من أسر ثرية أو من كانت لهــم خلفية من الرخاء واليسر ، واستبدل بهــم ضباط أصغر سنا وأكثر تعاطفا مع المثل والاساليب السوفييتية • وبنــاء على الحاح السوفييت أيضا أعيد الى الجيش عدد من كبــار الضباط الذين كان قد فصلهم عبد الناصر ، ولكنهم أبدوا تفــوقا فى الفصول الدراسية بالاتحاد السوفيتى ، أو ممن لاحظت الهيئة العسكرية السوفيتية ما هم عليه من كفاءة •• وقد انطبق هذا على كبار الضباط حيث كان الجيش المصرى يفتقر الى الأكفاء ذوى الخبرة فى القادة وضباط أركان حرب •

لقد كان الجندى المصرى صلب العود لا يعرف الاستسلام •• ومــع توافر اليد العاملة كان من الممكن اختيار احسن العناصر • وفى الحقيقة فان الكثيرين من الجنود المصريين حاربوا فى حرب يونيه وكانوا فى قتالهم ممتازين الى أقصى الحدود كما تشهد بذلك خسائرهم الجسيمة ، وذلك الى أن صدرت اليهم الاوامر بالانسحاب • وكانت هناك فكرة خاطئة شائعة أن المســتوى الجسمانى فيهم كان هابطا ، والمعروف أن الجيش المصرى كان يركز على اللياقة البدنية وذلك بالنسبة للجنود ولم يكن هذا متبعا دائما بالنسبة للضباط ••

وبينما كان الضباط يتمتعون بالنفوذ والاحترام فان هذا لم يكن من نصيب الجنود ، وكان الفلاحون الذين هم عادة مبعدون عن الحرب ، مقتنعين بأنه لا علاقة لهم بالجيش ، وما لم يتصادف التحاق أولادهم به فانهم يحـــاولون تجاهله .

وبعد مؤتمر الخرطوم ، طرح الجيش المصرى جانبا ما كان له من قبل من قابلية مزدوجة للزحف على اسرائيل وان يقوم فى نفس الوقت بدور ارسال الحملات ، واضطر لأن يختار دورا جديدا ، هو الدفاع عن مصر . وكان عبد الناصر من انصار القدرة على ارسال الحملات ، وهذا ما مارسه فعلا فى اليمن تعزيزا لسياسته ، وكان يلقى دائما المعارضة فى ذلك من جانب المشير عامر الذى كان ينصح باستمرار بان يكون للجيش المصرى هدف واحد وهو الزحف شرقا لتدمير اسرائيل .. وتغير الموقف الان بصورة عنيفة ، وبالرغم من أن الملق والولاء الكلامى الكاذب كانا يركزان على تنمية القدرة على الزحف فى سيناء ومهاجمة اسرائيل ، الأمر الذى كانت البعثة العسكرية السوفيتية تشجعه بكل قوة فقد تحولت كل الجهود الى الدفاع ، وأخذ المصريون يشبهون انفسهم فى الايام التالية لحرب يونية بالبريطانيين بعد دنكرك ، ويضربون الامثلة والمقارنات لتدعيم معنوياتهم وثباتهم وجلدهم .

كان من هدف السياسة السوفيتية بوجود اسطول سوفيتى فى البحر المتوسط لتعارض به الاسطول الامريكى ، ان أتاح لمصر أن تكون لها بحرية أكثر اتساعا مما يسمح به خطها الساحلى ومواردها . وعلى سبيل المثال ، بنى السوفييت ترسانة بحرية فسيحة بالاسكندرية وبديهى أنها ستستخدم فى اصلاح سفن الاســطول السوفيتى ، كما أقاموا مرافق بحرية فى الموانى المصرية الأخــرى ، وطبيعى أن البحــرية المصرية ستستفيد منها أيضا . وارتفعت أسهم البحرية المصرية تصادفيا على نحو لم يكن متوقعا وذلك عندما أغرقت « ايلات » .. وارتفعت معنوياتها بذلك . والبحرية المصرية ، شأن البحرية الاسرائيلية ، لم يكن لها حظ كبير لتحقيق المجد أثناء حرب يونية ، والواقع أنه كان عليها أن تنسحب على عجل من بور سعيد الى الاسكندرية حتى تفلت من الطيران الاسرائيلى . ويبلغ تعداد البحرية المصرية اثنى عشر رجل تقريبا ، وتتألف أساسا من ست مدمرات ، واحدى وعشرين غواصة ، وستة وأربعين من زوارق الطوربيد ، واثنين وثلاثين سفينة دوريات وحراسة ، واحدى وعشرين سفينة انزال وثمانى كاسحات الغام . وكانت أحدث وأقوى وحداتها البحــرية ثمانى عشرة صواريخ سوفيتية عشرة منها من طــراز « أوزا » وثمان من طــراز « كومار » وكلها تحمل صواريخ « ستايكس » سطح / سطح ، وهو السلاح القياسى على سفن الراوريات السريعة . وكان لطراز « أوزا » حمولة مائة وستين طنا زوجان من قاذفات الصواريخ ، أما طراز « كومار » فكان له زوج واحد فقط ، وتبلغ سرعة كليهما أربعين عقدة .

أن الاقتصاد القومى المصرى الذى لم يكن أبدا متينا قد أصيب بكبوة قاسية بعد حرب يونيه • فقد كانت قناة السويس مغلقة مما خسرت معه البلاد قرابة الأربعة والسبعين مليون جنيه سنويا • وكانت آبار البترول الصغيرة على الشاطئ الغربى جنوبى سيناء فى أيدى الاسرائيليين ، كما نضب المعين السياحى ، كما أن محصول القطن الذى يعتبر دعامة أساسية فى الاقتصاد لم يكن بالمحصول الناجح فى عام ١٩٦٧ ، حيث أصابت الدودة جانبا منه ، كما ان معظمه على أى حال كان مرهونا للاتحاد السوفيتى مقابل ما قدمه لمصر من عتاد وفى ميزانية يوليه زيدت الضرائب ، وازدادت الادخارات العمالية الاجبارية بنسبة خمسين فى المائة ، وفرضت رسوم اضافية على السلع الكمالية المستوردة •• ويشجعون المصرين الآن ، على سبيل المثال ، على تناول « المكرونة » بدلا من الارز الذى كان من المنتظر أن يزيد من النقد والارصدة لقد كانت تصرفات الاتحاد السوفيتى متناقضة ظاهريا : فقد عالج الهزيمة بفيض من الأسلحة الحديثة التى أخذت تتدفق على مصر ، وفى نفس الوقت بدأ اغلاق قناة السويس ، ولو لفترة معينة ، الأمر الذى يعنى أن مساعدته العسكرية لفيتنام يجب أن يتم شحنها الى هناك عن طريق رأس الرجاء الصالح الى هايفونج ، وهى رحلة بحرية طوالها أربعة عشر ألف ميل بدلا من سبعة آلاف ، حيث أن الحكومة الصينية لم تكن لتسمح بارسال العتاد السوفيتى عبر أراضيها • وظل الاتحاد السوفيتى لعدة شهور يظهر القليل من الاهتمام بتسوية الشرق الأوسط ، وبالرغم من أنه لم يكن بحاجة الى البترول فى الشرق الأوسط الا أنه كان مهتما بحرمان الدول الغربية منه • وازداد الوجود البحرى السوفيتى فى البحر المتوسط بدرجة أنه كان فيه للسوفييت فى يناير ١٩٦٨ قرابة الخمسين سفينة سوفيتية تغطى على قطع الأسطول السادس الأمريكى •

كانت اسرائيل دولة أصغر بكثير من مصر سواء فى الحجم أم فى تعداد السكان ، اذ تتكون من ٧٩٩٢ ميلا مربعا قبل حرب يونيه ، وكان تعدادها يقدر نحو ٢ر٣ مليون يهودى (بالاضافة الى حوالى الثلاثمائة ألف عربى يقيمون باسرائيل) • وعلى النقيض من الشعب المصرى ، تم اعداد وتكييف الشعب الاسرائيلى للحرب ، وظل على ذلك لعدة سنوات •• وكان من الممكن تعبئة قرابة المائتين وأربعة وستين ألفا فى القوات المسلحة خلال اثنين وسبعين ساعة، وكانت نسبة النساء من بينهم ثلاثين فى المائة لقد ولدت اسرائيل وسط العناء والمتاعب ، وظهرت الى عالم الوجود كدولة فى عام ١٩٤٨ •• وهزمت جنود العرب مرة ثانية فى عام ١٩٥٦ • كذلك هزمت اسرائيل الجنود المصريين فى سيناء • ولما كانت اسرائيل أصغر وأضيق من أن تستطيع أى دفاع فى العمق ، كانت سياستها الدفاعية تقوم على الهجوم ونقل الحرب الى الدولة العادية ، وهذا ما نجحت فيه كثيرا • وكانت قابلية التحرك والسرعة والضربة المسلحة هى العوامل الاساسية فى الاستراتيجية الحربية الاسرائيلية

التى كانت قد خططتها وأشرفت على توجيهها هيئة أركان الحرب الاسرائيلية الناشئة ولكنها أيضا على كفاءة ودراية وسلامة تفكير . لقد أضافت حرب يونيه الى اسرائيل ستة وعشرين الف ميل مربع من الاراضى ، كما أضافت اليهـا مليون عربى تحت ادارتها . أصبح لاسرائيل الآن مجال أفسح لتقوم فيه بمناورتها ، وكانت سيناء ذات قيمه خاصة بالنسـبة لها .. كذلك كانت خطوط وقف النار أقصر عدة أميال عن حدود ما قبـل حرب يونيه ، وأضيق وأكثر امكانية فى الدفاع .. والمثال على ذلك قناة السويس .

وأحتفظت اسرائيل بنظام الأولوية كتشكيل ميدانى أساسى ، وكان هناك واحد وثلاثون لواء فى حالة تعبئه كاملة ، من بينها اثنان وعشرون لواء مشاه (منها اثنان لهما مقدرة فرق المظلات) وثمانيه ألوية مدرعة ، ولـواء مظلات .. وكانت مهمات الجيش الاسرائيلى متنوعة ، والكثير منها قديم حيث أنه قد تم جمعها حيثما أمكن ، لأهواء واتجاهات الموقف السياسى العالمى الراهن وقبل حرب يونيه كانت اسرائيل تمتلك حوالى الثمانمائة دبابه ومائتين وخمسين مدفع ذاتى الحركة وثلاثمائه عربة من الطراز الامريكى « م ــ ٣ » .

أما العتاد الذى خسرته فى حرب يونيه فكان قليـلا جدا ، وتم لها تعويض معظمه بما اسـتولت عليه من عتـاد مصرى أو بذلك الذى تركه المصريون وراءهم .

ويرجع كثير من الفضل فى نجاح اسرائيل فى حرب يونيه الى الجنرال رابين ، رئيس هيئة أركان الحرب ، والى أسلافه والى هيئة أركان الحرب الذين جعلوا من قوات الدفاع الاسرائيلية تلك الأداة الرائعة التى أثبتت كفاءتها .. وكانت لهيئة أركان الحرب سيطرتها على القوات الجوية وكذلك على كل من البحرية والجيش .. أما وزير الدفاع ، موشى ديان ، والذى كان من قبل رئيسا لهيئة أركان حرب ، والذى يعتبر شخصية لامعة ، فأنه لم يظهر من جديد على المسرح الحربى الا عشية قيام الحرب .. ولكن قيادته ونزعته للمعركة غرسـتا فى الاسرائيليين الجرأة والثقة سواء منهم العسكريين أم المدنيين ، وذلك فى الوقت المناسب . وأما رئيس الوزراء ، ليفى اشكول ، فقد حجبته الظلال ، وكان موضوع اللوم والاستخفاف ، لأنه وان كانت تعوزه القدرة على البت فى الأمور عندما كانت الطوارىء تتطلب مثل هذا البت ، بل كان يشجع اجماع الرأى قبل أى شىء ، فقد كان داهية كرجل دولة وكسياسى عمل الكثير من أجل اسرائيل وخاصة عندما كان وزيرا للمالية .

وفى الثالث من ديسمبر تخلى الجنرال رابين عن منصبه كرئيس لهيئة أركان حرب بعد أن أدى رسالته فيها لفترة طويلة ، وعين سفيرا لاسرائيل فى أمريكا . وحل محله الجنرال حاييم بارليف ، نائب رئيس هيئة أركان حرب ولما كان سنه وقتئذ ثلاثة وأربعين عاماً ، فقد اعتبر تعيينه استمرارا لتـولى الشباب مثل هذا المنصب . والجنرال بارليف مولـود فى النمسا ، وتلقى

تعليمه في يوجوسلافيا ، وجاء في فلسطين في عام ١٩٣٩ ، وخدم في (الهاجانا) قبل أن ينضم الى قوات الدفاع الاسرائيلي بعد أن تكونت لأول مرة في حرب ١٩٤٨ · وكان يتولى قيادة لواء مدرع في حرب ١٩٥٦ ، كما كان أيضا مديرا للعمليات ، وهذا يعني اشتراكه لعدة أعوام في فريق التخطيط وبذلك كان هناك استمرار لسياسة الاستراتيجية الأسرائيلية والتخطيط ·· وفي أول يوليه ١٩٦٨ عين ايجال ألون نائبا لرئيس الوزراء ، وكان من قبل قائدا للواء بالماخ المعروف في عام ١٩٤٨ ، وكان لهذا التعيين مغزاه لدى كل من الروس والعرب ، حيث كانوا يشعرون بأنه على المرعى الطويل يعتبر ألون أشد خطورة عليهم من موسى ديان رغم أن آلون يمتاز عن زميله بالهدوء والحرص على مشاعر الغير ·

وفي فبراير ١٩٦٨ أعلنت في مصر أحكام المحكمة العسكرية التي كانت تحاكم ضباط الطيران الأربعة ، وفيها صدر الحكم على محمد محمود صدقي القائد السابق ، بالسجن خمس عشرة سنة ، وعلى زميله اسماعيل لبيب بالسجن عشر سنوات ، بينما حكمت ببراءة جمال عفيفي ، الرئيس السابق لهيئة أركان الحرب الطيران ، وعبد الحميد دغيدي قائد المنطقة الشرقية السابق ·

وفي أذهان الشعب لم يعد عبد الناصر مرتبطا مباشرة بالهزيمة العسكرية وأصبح الشعور السائد الآن في مصر أن القوات المسلحة قد أغرقت البلاد · وبعد أيام قليلة ، أي في الحادي والعشرين ، تظاهر عمال المصانع بحلوان (على بعد ١٥ ميلا جنوبي القاهرة) ·· وحدث بعد ذلك في عطلة الأسبوع في يومي ٢٤ ، ٢٥ فبراير أن وقعت اضطرابات في القاهرة ، ومعظمها من جانب الطلبة ، احتجاجا على ما ظهر من تساهل من جانب المحكمة العسكرية وانتهز بعض الطلبة هذه الفرصة ليطالبوا بالعودة الى الحكم البرلماني ، وحرية الكلمة ، وبالمزيد من المشروعات الخاصة · وكان لايزال هناك كثيرون في مصر يريدون اعادة توجيه السياسة المصرية بعيدا عن الوحدة العربية الى وحدة لوادي النيل · وقد أصيب ستون من رجال الشرطة وعشرون من الطلبة ، واعتقل ـ الكثيرون من الطلبة ، وأغلقت بعض الجامعات ·· ولم يرد الا النذر اليسير من أنباء هذه الاضطرابات في الصحافة المصرية الخاضعة للرقابة ··

أثارت هذه المظاهرات قلق الحكومة · وبعد اجتماع لمجلس الوزراء في السادس والعشرين من فبراير ، قرر الفريق فوزي ، الذي تولى وزارة الدفاع خلفا لأمين هويدي ، عدم التصديق على الأحكام ، بل أمر باعادة المحاكمة ، وبديهي أن هذا القرار قد جاء نتيجة لضغط الرأي العام ·

وفي الثالث من مارس ، خطب عبد الناصر في اجتماع للعمال بحلوان وقال ان المظاهرات الاخيرة انما ترجع الى الكثير من سوء الفهم · وقال أيضا أن هناك حزبا مناهضا للثورة ومنظما يترقب الفرصة للوصول الى السلطة ··

ولما كان مصنع حلــوان يعد نموذجا للمجموعات الصــناعية لذلك كانت المظاهرات أو القلاقل فيه مدعاة لمضاعفة قلق الحكومة ..

وفي العشرين من مارس أعاد عبد الناصر تشكيل الحكومة ، مستبعدا منا عدة ضباط من بينهم زكريا محي الدين الذى كانت له آراؤه اليمينية المتطرفة ، وعلى صبرى المعروف بآرائه اليســارية المتطرفة ، وأدخل فى الوزارة أربعة عشرة من المدنيين من بينهم مهندسون ومثقفون ورجال بنوك ومهنيون وهكذا أصبح للوزارة الجديدة طابع تغلب فيه « التكنوقراطية » على « العسكرية » ..

وفي السادس والعشرين من اغسطس فقط أعلنت مرة أخرى بعض أحكام المحكمة العسكرية ، وتضمنت السجن المؤبد لخمسة أشخاص والسجن لأشخاص عديدين ، وتبرئة خمسة عشر شخصا . أما عن كبار ضباط الطيران الأربعة ، فقد زيدت مدة السجن ـ بالنسبة الى صدقي ولبيب ، وأعيدت تبرئه كل من عفيفي ودغيدى . وفي هذا الوقت كانت قد انقشع الاهتيــاج عن الموقف ، ولم يقابل اعلان الأحكام باحتياج عام او بأى رد فعل آخر .

وجه عبد الناصر اهتمامه الى الاتحاد الاشتراكى العربى ، وهو الحزب السياسي الوحيد المسموح به في مصر . وفي الثلاثين من مارس ١٩٦٨ أعلن أنه يتعين اعادة تشكيله بحيث تكون جذوره قائمة على أساس اقتراع شعبى ، وأن يجرى استفتاء حول مقترحاته في مايو . وعهد الى على صبرى باعــادة التنظيم ، وكان الهدف منه رسميا حشد جميع القوى العسكرية والاقتصادية والأيديولوجية ضد العدو ، ولتعبئة جموع الشعب وامكانياته وطاقاته . وفي الثاني من مايو كانت نتيجة الاستفتاء ٩ر٩٩ فى المائة من الأصوات المؤيدة . ولكن كان القول الذى يتردد هو أنه لن تجــرى انتخــابات الا بعد هزيمة الاسرائيليين .

ظلت مصر دولة ذات حزب واحد ، وأخذ عبد الناصر يحشد العرب ضد اسرائيل ، وفي الثلاثين من أبريل أعيد اللواء طلعب حسن رئيسا لهيئة اركان حرب القيادة العليا العربية الموحدة ، وهي هيئة عليا تهدف الى تعبئة وتوجيه الجهود الحربية لمائة وعشرة مليون عربى ضد اسرائيل . وقد ظل هذا المنصب شاغرا منذ حرب يونيه .

وبالرغم من وصول بعض شحنات من صواريخ « سام ٢٨ » الى مصر ، فان تدفق الاسلحة السوفيتية قد تباطأ الى حد كاد يكون توقف ، ممـــا دعا عبد الناصر للقيام بزيارة للاتحاد السوفيتى فى يوليه حيث أجرى محادثات مع الزعماء ـ السوفييت ، وطلب مزيدا من الأسلحة الثقيلة بالقدر الذى يكفل له التفوق على الاسرائيلين ، ولكن الروس رفضوا بحجة أنه لم يكن قد أستوعب بعد ما سبق ارساله اليه من أسلحة .. وبعد عودته بوقت قليل الى مصر طار ثانية الى الاتحاد السوفييتى الى جورجيا ـ للعلاج الطبى حيث

مكث هناك أسبوعين · لقد سانده الزعماء السوفييت بالكلام ، وأن كانوا ترددوا في ارسال الأسلحة اليه · ولكن ما لبثوا أن رقت قلوبهم ولكن الى حد ما ·· وفي أكتوبر قيل أن بعض صواريخ سام قد أرسلت الى مصر مع بعض المشرفين الفنيين ، وبعض المدافع المضادة للطائرات عيار ٥٧ مم يتم توجيهها بالرادار ، وبعض مدافع للطائرات وبعض الصواريخ أرض أرض ·

وخلال النصف الأول من العام ١٩٦٨ كانت جبهة قناة السويس بكامل طولها هادئة رغم ما يكتنفها من جو التوتر ، فلم يكن هناك سوى القليل من العمليات الى جانب القصف المتقطع · ولكن القصف الثقيل في يوليه وسبتمبر وأكتوبر أدى الى أعمـال الثأر · ففى الثامن من يوليه وقعت أول معـركة بالمدفعية بمنطقة مدينة السـويس ، وأدعى المصريون أن ثلاثة وأربعين من المدنيين لقوا مصرعهم وأن سبعين أصيبوا بجراح الى جانب تدمير مائة وخمسين منزلا · وادعى الاسرائيليون أن المصريين هم الذين بدءوا باطلاق النار وأنهم اضطروا للرد عليهم ، غير أن المصريين نفوا ذلك ·

ووقع تبادل القصف الثقيل الثانى فى الثامن من سبتمبر واستمر حوالى أربع ساعات وامتد بطول معظم الجزء الجنوبى من القناة ، وغالبا ما كانت القذائف تصيب أهدافها في مواقع كلا الجانبين ، وكان القذف قد بدأ على أثر كمين نصبه « الكوماندو » المصريون لدوريه اسرائيلية ، وبلغ عدد القذائف التي أطلقت (وفقا للتقديرات ـ الأسرائيلية) اثنتى عشرة الف قذيفة على جبهة طولها عشرون ميلا على الجانبين · وفى هذه المرة أدعى المصريون أن خسائرهم كانت عشرة قتلى منهم خمسة جنود من المدنيين ، الى جانب ثلاثين من الجرحى ، بينما وقف أضرار جسيمة للمنازل والمنشآت بمينـاء السويس وبور توفيق · وقالوا أنهم الحقوا أضرار بالمواقع والمهمات الاسرائيلية ودمروا أربعة عشر دبابة وعربة مصفحة · وأعترف الاسرائيليون بأن قتل من رجالهم عشرة وأصيب ثمانية عشر بجراح · وفى العاشر من الشهر قيل (وفقا لتقديرات اسرائيـل أن المصريين أطلقـوا عشرة آلاف قذيفة على المواقع الاسرئيلية بطول لضفة الشرقية · وشعر الاسرائيليون بالذعر (ازاء كميـة الذخيرة التى أطلقت عليهم من حيث كونها بمثابة مقدمة للعبور بالقوة ، ومن ثم استدعت اسرائيل المزيد من الاحتياطي ودفعت بلواء آخر الى منطقة متلا·

وخلال الصيف حاول المصريون بعض العمليات القليلة لعبور القنـاة ، وتم معظمها ليلا وبمجموعات صغيرة ، وكان هدفها الأساسى بث الألغـام والعودة فورا الى مواقعها على الجانب الآخر من الممر المائى على طريقة الفدائيين الذين كانوا يقيمون بتكتيك مماثل فى اسرائيل عن طريق الأردن · وبعد ذلك حاول المصريون نصب كمائن صغيرة ادعوا أنهم حققوا فيها بعض النجـاح ولكن كان من الصعب تقدير مدى هذا النجاح وظل الاسرائيليون يلتزمون الصمت لعدة أسابيع حول هذه الناحية رغبة منهم فى عدم اثارة القلق بين قوتهم الأمامية · وعلى أية حال ، اعترفوا فى السادس والعشرين من أغسطس

بحادث كمين وقع فى الجانب الذى يحتلونه من الضفة الأخرى بالقناة على مقربة ثلاثة أميال جنوبي البحيرات المرة الكبرى ، حيث نصب المصريون كمينا لأحدى سيارات الجيب أسفر عن مقتل جنديين و « اختطاف جندى آخر » ٠

وفى ساعة متأخرة من بعد ظهر السادس والعشرين من أكتوبر بدأ تبادل القصف بالمدفعية من جديد عبر القناة ، وكان أعنف ما شهدته المنطقة ، وامتد القصف كاندلاع النيران بين القنطرة وميناء السويس واستخدمت أيضا فى هذه المناسبة صواريخ « كاتيوشا » ٠ وأخذ الاسرائيليون على غرة ، وقتل بعض الجنود بينما كانوا يلعبون كرة القدم وراء مواقعهم ٠ وكان الاسرائيليون هم الذين بدءوا وقف اطلاق النار بعد أن خسروا ثلاثة عشرةقتيلا وأربعة وثلاثون جريحا ٠ وتلك هى أفدح خسارة لحقت بهم منذ اغراق المدمرة ايلات وقال المصريون أنهم فقدوا اثنى عشر قتيلا ، وأن الكثير من المنازل قد دمر وأصيب بالاضرار ، ولكنهم ادعوا أن خسائر اسرائيل تضمنت عشر دبابات ، وأربعة عشر عربة ، وعشر مواقع للصواريخ وثمانية وعشرين موقعا للمدافع الرشاشة ، وستة عشر مركزا للمراقبة ، وثلاثة مواقع قيادة ، وستة مستودعات للوقود والذخيرة ، وثلاثة مدافع ١٠٦ مم ٠ واشتعلت النيران فى ثلاث مستودعات لتخزين البترول فى السويس حيث سبق أن اشتعلت النيران فى أكتوبر ١٩٦٧ فى احدى معملى التكرير وقام الروس باعادة بنائه ٠ وحتى هذه اللحظة لم يحاول الاسرائيليون اطلاق قذائف عليه خشية أن يلحقوا بالسوفييت أية خسائر ٠ وجاء بعد ذلك فى تقرير للأمم المتحدة (بتاريخ ٢٨ أكتوبر) أن المصريين هم الذين بدءوا الهجوم وأنهم رفضوا ثلاث مرات الاستجابة لطلب الأمم المتحدة بوقف اطلاق النار ٠

وتحت ستار اطلاق النار الذى استمر عدة ساعات عبرت مجموعة صغيرة من المصريين القناة بالقرب من الاسماعيلية وتغلغلوا على طول الطريق الى متلاحيث قاموا قرب منتصف الليل بنصيب كمين لعربيتى جيب اسرائيليتين وأصابوا أحد الجنود بجراح قبل انسحابهم ليعبروا القناة عائدين الى مواقعهم قبل الفجر ٠ وشعر المصريون بالزهو وهم يشيرون الى هذا الحادث ويسمونه « عملية ممر متلا » ، وشعرو بأنهم قادرون على تكثيف القصف بالمدفعية وبأنهم ـ وهذا هو الأهم ـ قادرون أيضا على أن يعودوا الى عبور القناة ٠ وهذا عمل هجومى استشعروا به صلاحيتهم ، كما أنه رفع من معنويتهم ٠٠

وهنا كانت الغلبة للمصريين الذين أخذوا الاسرائيليين على غرة وأصابوهم بهزة وقدرت هيئة أركان الحرب الاسرائيلية أن المصريين استخدموا فى هذه العملية ستمائة مدفع وبعض الصواريخ ٠ ولم يستخدم الاسرائيليون سوى لوائين من المشاة تعدادها حوالى العشرة آلاف موزعين على جبهة طولها مائة وعشرة من الأميال ٠ تتخللها مواقع دفاعية بطول الضفة ، وكانت الدوريات هى التى تتولى الخفارة ، بين راجل وراكب ، مع الاعتماد على مجموعات ـ صغيرة متنقلة من اللوائين المدرعين المرابطين على بعد يتراوح بين

العشرين والثلاثين ميلا على حافة التلال المنخفضة ، وذلك لصد أية عمليات انزال للعدو • وعندما تطلب الموقف تدخل المدفعية المضادة دفعت اسرائيل الى القناة بمدافعها التي كانت معظمها « هويتزر » ذاتي الحركة • عيار ١٥٥ مم مثبتة على شاسيهات شيرمان « م ــ ٤ » الأمريكية ودبابات « أ ــ م ــ أكس » المزودة بمدافع هويتزر عيار ١٠٥ • وكانت كلها تغير مواقعها باستمرار بعد اطلاق النار ، حتى اذا انتهت من عملها أعيدت الى مسافة عدة اميال حيث تظل مغطاة في نتظار القيام بمهمة أخرى •

وكان الرد الاسرائيلي في الثلاثين من أكتوبر ليلا بغارة عميقة داخل مصر بقوات تنقلها طائرات الهليكوبتر تستهدف تعطيل المنشآت في نجع حمادى وبالقرب منها ، (ويبلغ تعداد سكانها حول العشرين ألفا) وتقع على نهر النيل على مسافة ١٤٠ ميلا من البحر الأحمر ، حيث نسفوا محطة المحولات التي تتحكم في كابلات الضغط العالي بين القاهرة وأسوان • وكان من الأهداف الأخرى قناطر نجع حمادى وقناطر قنا (ويبلغ تعدادها حول الأربعين ألفا) وأهوسة الرى المجاورة ، وتم تدمير معظمها تدميرا جزئيا • وتقع مدينة قنا على مفترق الطرق الممتدة من منطقة البحر الأحمر والممتدة من الشمال الى الجنوب بوادى النيل •• وأعلنت اسرائيل أن جميع قواتها عادت سالمة ، ونشرت صورا للأضرار التي أحدثتها ، وأكد أن الهدف من الغارة كان « اظهار قدرة القوات الاسرائيلية على الرد على العدوان المصرى وردعه » • واعترف الاسرائيليون بعد ذلك أنه قد استخدمت في هذه العملية السفن وطائرات الهليكوبتر وسيارات الجيب •

وكان من المعروف أن لدى اسرائيل على الأقل ثلاث طائرات ــ هيليكوبتر فرنسية « سوبر فريلون » في مقدرتها حمل ما يقرب من الثلاثين جنديا مدججين بكامل سلاحهم وتصل الى مدى ٣٠٠ ميل تقريبا ، وعدد قليل من طائرات سيكورسكى « يو ــ هـ ــ ٣٤ » التي يمكنها أن تحمل ثمانية عشر جنديا بكامل مهماتهم الى مدى ١٤٠ ميلا • وقد استخدمت في الغارة طائرات « سوبر فريلون » وكانت كل واحدة تحمل مجموعة من الكوماندوز الاسرائيليين ممن تم اختيارهم ليتعاملوا كل مع واحد من الأهداف ••

وصدمت هيئة أركان حرب المصرية من جراء هذه الغارة التي تغلغلت الى العمق ، وأبت التسليم بأن القوات الاسرائيلية نزلت داخل البلاد ، وأصرت على أن الأضرار وقعت نتيجة لقصف جوى ونيران الصواريخ ومن بواعث القلق أيضا أن الأهداف كانت على خط المواصلات من الشمال الى الجنوب بين القاهرة وأسوان ، والمسافة بينهما تقرب من الخمسمائة والستين ميلا على طوال وادى النيل • وكثيرا ما يتحدث المصريون عن السد العالي بقولهم « أنه مستقبلنا » • وهو السد الذى تعتمد عليه مصر كثيرا والذى قد تم أنجازه ستة وتسعين في المائة منه • وكان من المتوقع بانجازه زيادة الرقعة الخصبة في أعالى وادى النيل بما يقرب من مليون ونصف المليون هكتار مع

مضاعفة المحصول في أربعة ملايين أخرى · وفي الثالث من نوفمبر أعلن أنه سيتم تكوين جيش دفاع شعبي على غرار الحرس الوطني الذي كان قد أنشيء في بريطانيا خلال الحرب ، وذلك لحماية المنشآت والمرافق ··

وبعد غارة نجع حمادى ، خفت وطأة المصريين على جبهة قناة السويس ، ومرت خمسة أشهر قبل وقوع قصف جديد بالمدفعية بالغ العنف ··

وبالرغم من كفاءة المخابرات الاسرائيلية فقد صدمت أيضا كل من هيئة أركان حرب الاسرائيلية والحكومة عندما أصبح واضحا لها أن ـ المصريين قد تلقوا وحشدوا على طول القناة مزيدا من المدافع ومعظمها من عيار ثقيل ، بل وأكثر بكثير مما كانوا يتوقعون ، ومن ثم أخذ الاسرائيليون يعملون في همة ونشاط « لتقوية » دفاعهم الأمامية في القناة · لقد أظهرت غارة نجع حمادى المدى الذي يمكن للاسرائيليين أن يصلوا اليه ، وفي الوقت نفسه جعلت هيئة أركان الحرب المصرية أقل اقداما · ولو أنها على العكس ، سلكت موقفا أكثر جرأة وبسالة وواصلت قصفها للاسرائيليين الذين لم تكن لديهم الوقاية الكافية على الضفة الشرقية وأمطرتهم وابلا بالقصف المستمر بالمدافع لكان من المحتمل جدا أن تجبر الاسرائيليين على الانسحاب بعيدا عن مرمى المدفعية المصرية · ولو كان حدث ذلك لأصبح هناك حزام عرضه حوالى العشرين ميلا على طول الضفة الشرقية من القناة ، ولكان من المجازفة أن يتبقى به القوات الاسرائيلية لفترة طويلة وبأى عدد كان · وبذلك يكون من من السهل جدا على الكوماندوز المصريين القيام بعمليات الانزال أو الهجوم · لقد أخفق المصريون في استغلال مثل هذه الميزة التكتيكية ، وبالتالى أضاعوا احدى فرصهم الكبرى في هذه الحرب عبر قناة السويس عندما كانت في مراحلها الاولى ·

كان الاتحاد السوفيتى قد عوض وقتئذ ما يقرب من الثمانين في المائة من العتاد الذي خسرته مصر في حرب يونيه · وبتوزيع الأسلحة الجديدة وباعادة تشكيل الوحدات وتدريبها بدأت تسرى في الجيش روح جديدة من الثقة التي أخذت تخول الى روح عدوانية ·

وبينما كان من المسلم به ضمنا أن المصريين قد لايكونوا مستعدين لمواجهة الاسرائيليين فوق ميدان المعركة قبل عام ١٩٧٠ ، اذا بالجيش الذي كان قد منى بهزيمة ساحقة قبل ذلك بستة عشر شهرا فقط قد أصبح الآن يتحدى الجيش الاسرائيلى طلقة بطلقة ، وأصبحت له الغلبة وأخذ يستشعر الزهو والفخار من جديد ··

وكل هذا القتال عبر قناة السويس يتعين علينا أن ننظر اليه من منطلق أكثر اتساعا في الشرق الأوسط · لقد أخذ الفدائيون يصعدون من جديد حيث بدأ نشاطهم في حرب العصابات ومن ورائهم المساندة والمؤازرة السورية · لقد فشلت أول محاولة لهم للتسلل الى الضفة الشرقية التي

أصبحت الآن تحت الاحتلال الاسرائيلي والتي كان الاسرائيليون قد استأصلوا فيها الفدائيين الفلسطينيين منذ أواخر عام ١٩٦٧ • وكان في ذلك ما اضطر معه الفدائيون الى القيام باغارات فدائية والتسلل داخل اسرائيل عن طريق الاردن مما أثار عمليات الانتقام من جانب اسرائيل وقام الاسرائيليون بغارة انتقامية كبيرة على « الكرامة » ، وهى قرية أردنية بالقرب من خط وقف اطلاق النار الاسرائيلي ، وكان قد استقر بها في مارس ١٩٦٨ قرابة الثلاثة آلاف من الفدائيين معظمهم تحت التدريب ، غير أن هذه الغارة الانتقامية لم تحقق سوى نجاحا جزئيا ، فهى اذ أجبرت الفدائيين على الانسحاب الى بضعة أميال بعيدا عن متناول الاسرائيليين ليتجنبوا انتقامهم ، كانت في الوقت نفسه بمثابة نصر للفدائيين عن طريق الدعاية لهم •

وخلال بقية عام ١٩٦٨ اجتاحت العالم العربى موجة من الحماس للنشاط الفدائى وبانتهاء هذا العام كانت « فتح » وهى أكبر منظمة فدائية، تضم مايربو على العشرين ألف فدائى ، بينما تدفقت عليها الأموال والاسلحة من كافة المصادر ، لقد كانت فترة سجلت توسعا سريعا للمنظمات الفدائية التى تضاعفت عددها فأصبح حول العشرين منظمة ، كل مستقلة عن اخرى، وكانت لمعظمها أهداف وايديولوجيات متباينة ، ولكنها كرست نفسها جميعا لهدف واحد هو اسقاط اسرائيل •

كانت الحدود الاسرائيلية مع لبنان هادئة ، كذلك كانت حدودها مع سوريا التى رفضت أن تسمح لنفسها بأن تكون قاعدة انطلاق للعمليات الفدائية ضد اسرائيل حتى تتفادى انتقامها ، ولكن حدود اسرائيل مع الاردن كانت تتسم بالتوتر حيث استغل الفدائيون ما كان عليه الموقف فى الاردن من ضعف ، عسكريا وسياسيا ، وسرعان ما اصطدم الفدائيون فى الاردن بجنود الملك حسين فى شوارع عمان ، حيث كان الفدائيون يسيرون بملابسهم الرسمية وحاملين أسلحتهم ، لقد اعتقد الفدائيون أنهم محررون من أية قيود وطنية ، وطالبوا بحرية الحركة وبالمساعدات،وبعد الاصطدامات التى وقعت بينهم وبين قوات الأمن الاردنية وقف الرأى العام العربى الى جانب الفدائيين ، مؤيدا لأفكارهم ، مما حدا بالملك حسين لأن يعقد معهم « اتفاق نوفمبر » ، والواقع أنه كان اتفاق يتمثل فى مبدأ « أن تعيش وتترك غيرك يعيش كما أنه لم يكن ليمنحهم أى شىء الا ما وجد نفسه مجبرا على منحه ، وذلك بدلا من استخدام القوة لاخضاعهم • وفى مصر سعى الرئيس عبد الناصر الى جمع الزعامات الفدائية المختلفة والسيطرة عليها ، والى أن يجعل من القاهرة مركزا للقيادات العامة لمناورات الفدائيين ، ولكنه ما كان ليسمح لهم بأن يقوموا بعمليتهم من الارض المصرية أو أن يمنحهم ذلك النوع من الحرية التى كانوا يحاولون الحصول عليها عنوة فى البلاد العربية الأخرى •

٣ ـ البحث عن الأسلحة

« الحرب هى الفرصة الوحيدة الباقية » .

محمد حسنين هيكل ـ رئيس تحرير الاهرام

بعد الغارة على نجع حمادى فى أكتوبر ١٩٦٨ ، خمد الاحتكاك بطول خط قناة السويس لعدة أسابيع ، مما أتاح لكل من مصر واسرائيل مواصلة الاستعدادات الحربية ومحاولة الحصول على مزيد من الاسلحة .

ولكن كانت لدى كل من البلدين مشاكله السياسية التى كان عليه ان يعمل للتغلب عليها ، ففى مصر تفجرت فى الحادى والعشرين من نوفمبر أعمال الشغب من جانب الطلاب فى المنصورة بالدلتا .. وقد بدأها طلبة المدارس العليا وسرعان ما انضم اليهم طلبة الجامعة وكان على الشرطة أن تتدخل بالقوة ، وانتهى اليوم بمقتل أربعة أشخاص واصابة مايزيد على الأربعين .. وطالب المتظاهرون باصلاح التعليم ، والغاء «البوليس السرى» والرقابة ، وبمزيد من الديمقراطية البرلمانية .. وامتد رد الفعل سريعا الى جامعة الاسكندرية حيث تم استدعاء الشرطة للتعامل مع الطلبة الذين « اعتصموا » بالجامعة ومع غيرهم من المتظاهرين . وفى الرابع والعشرين أغلقت كل الجامعات فى مصر وكذلك المعاهد الدراسية العليا وعددها أربعة عشر ، وذلك الى حين صدور تعليمات أخرى ، وفى الخامس والعشرين انتقلت الاضطرابات من جامعة الاسكندرية الى الشوارع ، حيث انضم العمال الى الطلبة ، وقبل أن يهدأ الموقف كان عدد الضحايا قد بلغ ستة عشر قتيلا وما يزيد على المائة جريح .

وفى اليوم التالى ، أى فى السادس والعشرين ، أخذت الطائرات الحربية وطائرات الهليكوبتر تحلق على ارتفاع منخفض فوق القاهرة فى استعراض للقوة لارهاب من تحدثه نفسه بالشغب ، كما فرضت الرقابة على الأنباء الصحفية المرسلة الى الخارج .. وصرح محمود رياض ، وزير الخارجية ، فى حديث صحفى بأن اضطرابات المنصورة والاسكندرية انما هى جزء من وباء عالمى لم يؤثر فى بقية أنحاء مصر ، بينما قام هيكل رئيس تحرير الاهرام فحذر المصريين فى صحيفته من الاستخفاف أكثر من اللازم بهذه الاضطرابات . واجتمعت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى لبحث ما تنطوى عليه .

وفى الثانى من ديسمبر ألقى الرئيس عبد الناصر خطابا أمام مؤتمر الاتحاد الاشتراكى العربى فى اجتماعه الذى عقده خصيصا لذلك ، وفيه أعرب عن دهشته لتصرفات الطلبة وألقى باللائمة على الانتهازيين والعناصر

غير الوطنية ، وعلى « العميل الاسرائيلي » الذى تسلل الى صفوف الطلبة .. وبعد يومين صرح أمام نفس المؤتمر أن التسوية السياسية تعني أن اسرائيل لن تبقى على شبر واحد من الارض فى أى قطر عربى . وفى الثامن من الشهر أعلن أن مصر قد تكون مستعدة للموافقة على وجود قوات أخرى من الأمم المتحدة فى اطار تسوية عامة فى الشرق الاوسط .

لم يكن المصريون قلقين كثيرا ازاء موقف روسيا ، ولكنهم كانوا فى حيرة أمام موقف أمريكا فيما يتعلق بالشرق الاوسط . وان الذى أمكن استخلاصه على ضوء مقالات الصحفي هيكل ، والتى كانت تعتبر بوجه عام أنها تعكس أفكار عبد الناصر الخاصة ، هو أن النفوذ السياسي الامريكي فى الشرق الاوسط قد أخذ يتضاءل ، وأن الوجود السوفيتي المتزايد قد أخذ يحدق بحلف الاطلنطي فى وقت أدرك فيه الغرب مدى ضعفه بعد غزو السوفيت لتشيكوسلوفاكيا فى الصيف .. وكتب هيكل ، وهو يستخلص استحالة تسوية سياسية مع اسرائيل ، وضرورة أن تكون الاولوية المطلقة لاعادة بناء القوات المسلحة المصرية ، فقال « فى مارس ١٩٦٨ ، كانت المواجهة العسكرية مع اسرائيل لتحرير الاراضى واحدا من العديد من الحلول البديلة .. وفى سبتمبر ١٩٦٨ كانت هى الامكانية الوحيدة الباقية » .

وكان عبد الناصر وقتئذ مؤمنا بأن ضغطا مشتركا من جانب كل من السوفيت والعرب قد اقنع أمريكا باعادة النظر فى برنامج مساعدتها لاسرائيل وهو رأى شجعه رفض الرئيس جونسون امداد اسرائيل بطائرات الفانتوم .

وفى أكتوبر ، جرت فى الاتحاد الاشتراكي العربى الانتخابات على مستوى لجنة عليا ، وذلك كمرحلة تالية فيما قام به عبد الناصر من اعادة التنظيم السياسى للاتحاد ، وتم انتخاب أنور السادات سكرتيرا سياسيا فقط ، بينما انتخب على صبرى مجرد سكرتير لاحدى اللجان التنظيمية الفرعية .. ورغم أن السادات ، وبالتأكيد أيضا صبرى ، من الأوفياء لعبد الناصر ، فان ذلك لم يكن تماما ما كان يريده ، ولذلك عمل على تأجيل الانتخابات التنفيذية الاخرى ، الأمر الذى أبقى على السلطة فى يد على صبرى .. غير أن صبرى تعرض بعد ذلك بقليل لأزمة قلبية مما اضطره لأن يتوارى لفترة عن المسرح السياسى .

وفى الثامن من يناير ١٩٦٩ توجه المصريون الى صناديق الانتخابات لمجلس أمة جديد وتلك هى المرحلة الختامية فيما وعد به عبد الناصر من اصلاح سياسى .. وفى العشرين من الشهر ، ألقى خطابا أمام الأعضاء الجدد قال فيه ان الحل السياسى للنزاع العربى الاسرائيلى مستحيل ما لم يدرك العدو أن فى امكان العرب اجباره على الانسحاب بالقتال وكان عبد الناصر يعتقد بأن أى زعيم عربى قد يحاول فى هذه المرحلة عقد صلح مع اسرائيل سيلقى لا محالة نفس المصير الذى لاقاه عبد الله ملك الاردن ، الذى قتل فى عام ١٩٥١ عندما نسب اليه أنه حاول التوصل الى اتفاق مع

اسرائيل ٠٠ ان عبد الناصر بتمسكه بهذا الموقف الصلب استطاع أن يقنع الشعب المصرى بأنه ليست لدى الاسرائيليين النية فى الجلاء عن الاراضى المحتلة • وتناول عبد الناصر فى خطابه أمام مجلس الامة الجديد « الجبهة الداخلية » فقال ان التقدم مستمر فى الزراعة والصناعة ، وأكد ما سيحققه السد العالى من فوائد ، وأشار الى ضرورة تنمية الصناعة البترولية فى مصر وكانت احدى الشركات الامريكية قد استأجرت حقل بترول أمام شاطىء خليج السويس يقدر أحتياطيه ببليون برميل ، بينما كانت احدى الشركات الاخرى تقوم فعلا بضخ ما يقرب من أربعين ألف برميل يوميا من الآبار قرب العلمين ٠٠ وقيل ان انتاج البترول فى مصر سيصل فى عام ١٩٧٠ الى حوالى الاربعمائة وخمسين ألف برميل فى اليوم •

وفى الثامن من أكتوبر ، قدم الاسرائيليون الى هيئة الامم المتحدة مشروعهم للسلام ، ولكنه قوبل بالنفور من جانب العرب لا بسبب المضمون بقدر ما هو بسبب ما فيه من حذف أو اغفال ، وذلك الى جانب أن الاسرائيليين لم يحددوا نواياهم المستقبلة ٠٠ وفى اليوم التالى رفضه وزير الخارجية رياض رسميا ، وطالب من جديد بانسحاب الاسرائيليين أولا من الاراضى المحتلة • ولكن فى الرابع عشر من نوفمبر علق موشى ديان بقوله : ان الاسرائيليين مستعدون لأن يدفعوا ثمنا غاليا للسلام الذى قد يتضمن عودة الأراضى المحتلة ٠٠ وهنا ظن العرب أنهم لو ثبتوا على موقفهم فان من المحتمل أن يتراجع الاسرائيليون وكان من نتيجة الشكاوى من كلا الجانبين تعددت المناقشات فى الامم المتحدة طوال عام ١٩٦٨ ، ولكن لم يتم حل أى شىء وأخذ جونار يارنج يتنقل بين عاصمة وأخرى ولكن دون جدوى •

وفى نفس الوقت ، أخذ نشاط الفدائيين يهز الشرق الاوسط •

ففى السادس والعشرين من ديسمبر ١٩٦٨ هاجم اثنان من الفدائيين الفلسطينيين احدى طائرات (العال) فى مطار أثينا ، فقتل أحد ركابها وأصيبت مضيفة جوية ٠٠ وادعى الفدائيون أن الطائرة كانت تقل طيارين اسرائيليين عائدين الى بلادهم بعد أن تلقوا تدريبا على قيادة طائرات الفانتوم فى أمريكا ٠٠ وفى الثامن والعشرين من ديسمبر قام « الكوماندوز » الاسرائيليون تحملهم طائرات الهيليوكوبتر بالاغارة على مطار بيروت حيث دمروا فى خمس وأربعين دقيقة اثنى عشرة طائرة عربية كانت رابضة بالمطار وألحقوا أضراراً تقدر بأربعين مليون جنيه ٠٠ وعللوا ذلك بأن الفدائيين الفلسطينيين كانوا يتخذون من لبنان مقرا لقيادتهم العامة ، كما أنهم يتلقون تدريبهم هناك ٠٠

كان عبد الناصر يعطى دائما للفدائيين « تأييدا شفويا » رغم أنه كان يقيد فى حزم أى نشاط لهم فى مصر ، وظلت القاهرة مكانا لاجتماع منظمة التحرير الفلسطينية التى كانت ترعى جيش التحرير الفلسطينى الذى كان أربعة آلاف من رجاله موجودين بمصر فى قناة السويس.وفى الرابع من فبراير

١٩٦٩ أصبح ياسر عرفات ، تلك الشخصية الفدائية البارزة رئيسا لمنظمة التحرير الفلسطينية مع احتفاظه رئيسا « لفتح » ، وبعد ذلك كثرت اتصالاته بعبد الناصر حيث كان كل منهما يحاول التأثير فى الآخر ٠

وسرعان ما أخذ عرفات يجاوز الحدود ، حيث أعلن فى العاشر من فبراير نقل لواء جيش تحرير فلسطين من مصر الى الاردن ٠٠ ويغلب الظن أن هذا المشروع قد تم بالاتفاق مع عبد الناصر ، ولكن دون استشارة حسين ملك الاردن ، وبدأ الرأى العام العربى يبدى ارتيابه ٠ ومن المؤكد أن الملك حسين لم يكن يريد مزيدا من الفدائيين فى بلاده في ذلك الوقت ، حيث كان لديه بالفعل كثر مما كان في وسعه التعامل معهم ٠٠ وبعد أيام قليلة عدل عن الفكرة مع نفى النبأ الأصلى ، وبقى لواء جيش تحرير فلسطين في مصر ٠

كانت الحكومة في اسرائيل ائتلافية منذ قيام دولتها ولما كان التمثيل فيها نسبيا تعددت فيها الاحزاب السياسية ولكل منها عدد مختلف من ممثليه فى الكنيست ٠٠ وكانت هناك محاولات كثيرة فى الماضى من أجل الاندماج لاتاحة الفرصة لحزب واحد للحصول على اغلبية مؤثرة ٠ وفى العشرين من يناير ١٩٦٩ عقد ميثاق تحالف بين حزب العمل الاسرائيلى والحزب اليسارى « مابام » ٠

وكان من شأن هذا الاندماج الجديد أن أصبح لحزب العمل الاسرائيلى اثنان وستون مقعدا من مقاعد الكنيست وعددها مائة وعشرون ٠

وكان حزب العمل قد ظهر الى عالم الوجود فى العام السابق (٢١ يناير ١٩٦٨) كنتيجة لاندماج أحزاب « مابام » و « أهدوتأفودا » و«رافى» ٠٠ وفى العشرين من فبراير أحيط اقتراح بعدم الثقة « برئيس الوزراء أشكول فى الكنيست ، وذلك على أثر النزاع حول حديث صحفى كان قد أدلى به لأحد الصحفيين قال فيه أنه لا مصلحة لاسرائيل فى أية منطقة مأهولة من مناطق الضفة الغربية ، وأنه لايهمها سوى وجود عسكرى صغير بطول نهر الاردن والقدس وشرم الشيخ ٠٠ وكان فى اسرائيل اتجاه قوى جدا يؤيد الاحتفاظ بجزء كبير من الاراضى المحتلة واستيطانها ٠

وفى السادس والعشرين من فبراير توفى رئيس الوزراء أشكول متأثرا بأزمة قلبية ، ورأس الحكومة ، نائب رئيس الوزراء ، بصفة مؤقتة الى أن انتخبت اللجنة المركزية لحزب العمل الاسرائيلى السيدة جولدا مائير لتخلفه فى رئاسة الحكومة ٠٠ وهى من مؤسسى حزب ما باى وتبلغ من العمر احدى وسبعين سنة ولدت فى روسيا ، وانتقلت وهى فتاة صغيرة الى أمريكا حيث أصبحت مدرسة قبل أن تهاجر الى فلسطين عام ١٩٢١ وخلال فترة الانتداب كان لها نشاطها السياسى فى الوكالة اليهودية ٠ وعندما نشبت الحرب العربية الاسرائيلية الاولى عام ١٩٤٨ تنكرت فى زى

امرأة عربية ودخلت أرض الاعداء لتجرى محادثات مع عبد الله ملك شرق الاردن ..

وكانت أول سفير لاسرائيل لدى الاتحاد السوفيتي بعد هذه الحرب ، وبعدها تولت بعض المناصب الرئيسية من بينها وزارة الخارجية .. وكانت هناك بعض الشكوك فيما اذا كان موشى ديان ـ من حزب رافى قد ينضم الى حكومتها اذا طلب منه ذلك ، أم أنه سيعارضها بل قد يعمل أيضا على اقناع حزبه بالخروج من التحالف السياسى .. ولكنه قبل أن يبقى بالوزارة كوزير للدفاع ، وهذا يعنى الاستمرار فى سياسة الدفاع . وفى التاسع عشر من مارس أكدت رئيسة الوزراء مائير عدم استعداد اسرائيل لقبول أية قوات للأمم المتحدة فوق أرض اسرائيل .

وكان من أهم بواعث القلق لدى اسرائيل هو أن تعرف على وجه الدقة ما الذى يريده الروس فى الشرق الاوسط وعن مدى استعدادهم للسعى فى تحقيق مايريدون . والى جانب ذلك لم تكن الزعامة الاسرائيلية لتشق فى عبد الناصر ، ومن ثم كان على اسرائيل أن تظل فى حالة استعداد عسكرى الى أقصى الحدود ، وكان هذا عبئا ثقيلا على البلاد يستوعب حوالى العشرين فى المائة من اجمالى انتاجها الوطنى ونحو الخمسة والعشرين من انتاجها الصناعى . كذلك كانت الضرائب على الافراد ثقيلة ، الى جانب ما كانت تأخذه من ميزانية الماهيات والأجور من أجل الدفاع .. ومع ذلك لم يكن هناك سوى القليل من التذمر حيث كان معظم الاهالى يقدرون مدى الحاجة الى ذلك .

كانت اسرائيل مقيدة بالقيود السياسية الدولية وبالقيود المالية ومن ثم كانت لديها صعوبة مستمرة فى الحصول على كمية وأنواع الاسلحة التى كانت ترى أنها بحاجة اليها للدفاع عن نفسها على النحو الملائم .. لقد ظلت لعدة سنوات تكافح من أجل اقامة صناعة محلية للاسلحة ، ولكن حال دون ذلك افتقارها الى المعدات والمساعدة والتشجيع من جانب الدول الكبرى التى كانت ترتاب فى أنها قد تغلب فكرة هذه الدول عن التوازن العسكرى السليم فى الشرق الاوسط .. ولكن بالرغم من ذلك نجحت اسرائيل فى انتاج كثير من أنواع الاسلحة من بينها الاسلحة الصغيرة والهاون والذخيرة وقطع الغيار والمهمات الشخصية ، وفى تجميع سيارات النقل والجيب .. وظل المدفع الرشاش « أوزى » مستخدما فى قوات الدفاع الاسرائيلية لعدة سنوات ، وهو سلاح تم تصميمه وانتاجه بمعرفة الاسرئيليين ، واشترت بعض الجيوش الاخرى كميات صغيرة منه ، وكان من شأن الحظر الذى فرضته فرنسا على الاسلحة فى حرب يونيه أن خشيت اسرائيل من أن يوصد فى وجهها مصدرها الوحيد لتزويدها بالاسلحة الحديثة ، لذلك جددوا محاولاتهم لتطوير صناعة أسلحتهم المحلية .

ويشير أول تقرير عن التقدم فى هذا المضمار فى يناير ١٩٦٩ الى أن ما يزيد على العشرين مصنعا تضم زهاء الخمسة آلاف شخص كانت تنتج

من المعدات ما تقدر قيمته باثنين واربعين مليون جنيه سنويا ، وتتضمن الذخيرة للمدافع ولمدافع الطائرات ومهمات الكترونية ومهمات للمواصلات ومجموعة كبيرة من قطع الغيار للأسلحة والعربات ، كما أخذوا في تطوير دبابة سريعة ذات تصميم متقدم ويبلغ مداها ثلاثمائة ميل وتعرف باسم « شوت كول » مأخوذه عن الطراز الامريكي « م ـ ٤٨ » ومزودة بمحرك ديزل ومدفع ١٠٥ مم • وكانوا ينتجون أيضا صاروخا موجها بالتليفزيون جو / أرض ، ومدفعا ٩٠ مم مضاد للدبابات يثبت على عربة نصف نقل (وهو الطراز الامريكي القديم م ـ ٣) وبندقية جديدة •• وكانت البحرية الاسرائيلية تستخدم الصاروخ «جبرييل» سطح سطح • وأحرزت اسرائيل تقدما أيضا في ميدان الاجهزة الحاسبة التي يوجد منها بالبلاد حوالى المائة نوع ومنذ ذلك الوقت لم يعرف سوى القليل من التفاصيل ولكن اذا أخذنا في الاعتبار ما تلقته اسرائيل مؤخرا من مساعدات فنية أمريكية فانه من المعتقد أن القاعدة الصناعية للأسلحة الاسرائيلية لابد أن تكون قد اتسعت بصورة كبيرة •

والان وقد عاد الاتحاد السوفيتي الى مصر فانه كان شديد الاهتمام بايجاد الوسائل التي يتحكم بها في الكميات الضخمة من الاسلحة التي كان يبعث بها الى مصر ، وبالاطمئنان الى أن المدافع كانت مصوبة الى هدفها الصحيح أي ضد الامبريالية الغربية • وفي أوائل أكتوبر من عام ١٩٦٨ قام المارشال ياكوبوفسكي رئيس أركان حرب السوفيتي بزيارة لمصر والتفتيش على المواقع في منطقة قناة السويس وبعث بتقريره الى اجتماع لوزراء الدفاع لدول حلف وارسو الذى عقد في موسكو في التاسع والعشرين من أكتوبر • وعاد المارشال ياكوبوفسكي الى مصر في الثاني من نوفمبر ، وكان مجيئه هذه المرة لمراقبة التمرينات العسكرية •

وفي الخامس من الشهر اقترح الاتحاد السوفيتي صورة من الاتحاد العربي المشترك بين مصر وسوريا والعراق ، وهي البلاد التي كان الاتحاد السوفيتي يمدها بالاسلحة وبين منظمة حلف وارسو ، غير أن العرب تلقوا هذا الاقتراح وهم متشككون فيه •

وفي الحادي والعشرين وصل وزير الخارجية السوفيتي الى القاهرة في زيارة تستغرق ثلاثة أيام يجرى خلالها محادثات مع الرئيس عبد الناصر ووزير الخارجية رياض •

وكان الرئيس الامريكي جونسون يميل الى أن يترك كلا الجانبين يسويان خلافاتهما فيما بينهما ، وسحب نفسه قدر الامكان من مشاكل الشرق الاوسط الامر الذى أتاح للاتحاد السوفيتي أن يبدو وكأنه أصبح مطلق اليدين في الدول العربية • ولما تولت حكومة نيكسون السلطة في يناير ١٩٦٩ سلكت موقفا مغايرا ، وحثت على اجراء حلقة من المحادثات التي شجعت على احياء اهتمام الدول الاربع الكبرى • وفي السادس

والعشرين من مارس ، عندما نادى الرئيس السورى حافظ الاسد بوحـــدة فيدرالية بين سوريا ومصر والعراق لم يرد أى ذكر أو تفكير فى أى اتصال أو تحالف مع حلف وارسو ٠٠ وهكذا لم تحقق الفكرة السوفيتية ٠

وفى السادس عشر من نوفمبر ١٩٦٨ انشأت الحكومة المصرية مجلس دفاع وطنى برئاسة عبد الناصر ، لاعداد البلاد للحرب ٠ وفى اليوم التـالى للغارات الاسرائيلية الثقيلة على مخيمات الفدائيين فى ســوريا فى الرابع والعشرين من فبراير ١٩٦٩ ، أعلنت حالة الطوارىء فى مصر وكان ذلـك يعنى اعلان أقصى حالات الاســـتعداد بين جيش الدفاع الشعبى والشرطة وعناصر الدفاع المدنى بما فى ذلك فرق المطـــافىء والمستشفيات وبعض الخدمات البلدية وأخذ يبدو للاسرائيليين أن سحب الحرب أخذت تتجمع ، وشعروا بأن المصريين قد يكونون مستعدين لشن هجوم أكبر ضـدهم فى خريف ١٩٦٩ ٠٠ لذلك أعاد الاسرائيليون النظر فى استراتيجيتهم وتكتيكهم ووحدوا على سبيل المثال فى حرب يونيه كيف كان باهظا ظاهريا مهاجمـة المواقع الدفاعية الثابتة على النمط السوفيتى ، وتحول الاهتمام الى اغارات للكوماندوز بدلا من الهجمات التى تعززها الاسلحة الثقيلة ٠٠ وبهذه العقلية أنشىء فى القوات الدفاعية الاسرائيلية منصب جـديد ، هو مدير قوات المظلات والمشـاة ، واختير لتوليه البريجادير رافول الذى كـان قـد أصيب بجراح أثناء قيادته لوحدة من المظليين فى الجزء الشمالى من سيناء خـلال حرب يونيه ٠

وكانت مهمته تدريب المشـــاه وخاصة المظليين على تكتيكات اغـارات الكوماندوز ٠ وفى أواخر عام ١٩٦٨ كان لايزال شعور السخط يسود مصر وكذلك الشعور بخيبة الامل بين قطاعات من الاهالى ٠ ولـما كان عبد الناصر قد اتخذ مقعده فى السلطة السياسية كسكرتير عام للاتحـــاد الاشتراكى العربى فلابد أنه شعر كيف أنه أخذ يتأرجح من جانب الى جانب ، يشده الشمال الذى كان يشعر بأن الاشتراكية لم تطبق على النحو الكافى ، كمـا يشده اليمين الذى كان يرى أن الاشتراكية قد جاوزت حدودها ٠

ولكن كان النقيضان يفضلان أن يريا عبد الناصر فى السلطة وهـذا أهون الشر ـ عن أن يتولاها أى فرد من المعارضين ٠

وأصبحت مصر كدولة وقد بدت متبلدة الحس أكثر منهـــا مرهقـــة أنهكتها الحرب وبدت القاهرة كئيبة حيث أصبحت الكماليات فيها محظورة لتوفير النقد الاجنبى وحيث مكث الاهالى لعدة شهور وهم ممنوعون من اللحم لثلاثة أيام فى الاسبوع ٠٠ وكانت الطبقة الوسطى والمتعلمة تميل من قبل الى توجيه اللوم الى عبد الناصر على التورط فى حـــرب اليمن ، وما وقعت حرب يونيه الا واتفقوا على أن اسرائيل هى العدو الحقيقى وأن عبد الناصر قد يكون مصيبا فى موقفه ٠٠ لقد كان عشرة آلاف مهنى يهاجرون سنويا ، ولكن الحكومة لم تكن قلقة جدا اذ كانت هجرتهم تعنى توفير العمل للطلبة

بعد تخرجهم .. وفيما يتعلق بالفلاحين الذين يشكلون أغلبية الشعب ، ظل الخطر الاسرائيلي وكأنه بعيد عنهم وغير واقع ، كما أن الحرب لم تكن لتعني سوى القليل بالنسبة لذلك الرجل الذى كان عليه أن يعمل طويلا وبنفس المشقة كما كان من قبل .

لقد كان الرئيس عبد الناصر ، والذى يعرفه رجل الشارع عادة بكلمة « ريس » فى مأزق يجعله يتحدث دائما عن الحرب ، ويحاول اظهار أنه على وشك القيام بعمل ضد اسرائيل ، حتى يحصل بذلك على ثقة شعبه ويحتفظ بها ، وكذلك ثقة القوات المسلحة والاتحاد الاشتراكى وبقية الدول العربية الأخرى والفدائيين وكثيرا ما كان يصرح علانية أن التاريخ لن يأخذ عليـــه أنه الزعيم العربى الذى عقد صلحا مع اسرائيل .. لقـــد تولى المسئوليـــة الشخصية والقيادة منذ حرب يونيه وكان يشك فيما اذا كـــان سيحتمل هزيمة أخرى سياسية كما أنه لم يكن فى عجلة لبدء القتال وان كان لم يكن ليجرؤ على التصريح بذلك . وقد وصف استراتيجيته ضد اسرائيل بأنهـــا ذات مراحل ثلاث : الصمود ويعنى بها عدم التسليم بالهزيمـــة ، والردع ويعنى بها الثأر والانتقام ، والتحرير ويعنى بها النصر مع تحرير الاراضى المحتـــــلة .

وبحلول عام ١٩٦٩ كان قد تم اعادة تنظيم الهيكل القيادى الـــكامل للقوات المسلحة على النظام السوفيتى ، وأصبح العنصر القتـــــالى للجيش مجمعا فى ثلاثة « جيوش » اثنان منهما ــ وكل واحد منهما يضـــم خمسين الف رجل ــ وهما الجيش السادس والسابع ، يتكون كل منهما أساسا من فرقتى مشاه وفرقة مدرعة ويرابطان فى مواقع بمنطقة القناة ، أحدهما على المرتفعات بين القاهرة والدلتا ويغطى المنطقة المتجهة شمالا من الاسماعيلية بوحـــــدات مشـــــاة أمامية ومن ورائها وحـــــدات مدرعة على مسيرة بضـــعة أميال . أما الجيش الاخر فقد كان فى وضع ممـــاثل الى جنوبى الاسماعيلية حتى منطقـــــة ميناء السويس ، وكان مقر القيـــــادة العـــــامة للتنسيق فى الاسماعيلية .

وسرعان ما تم استيعاب المهمات السوفيتية ، ولكن كان التعليم هذه المرة باللغة الانجليزية ، وهى اللغة التى يفهمها كل الضباط المصريين .. وسرعان ما اعترف صغار الضباط فى تذمر بأن المدربين السوفيت معلمون ممتازون رغم انهم يرهقون بتعليمهم .

ولـــما كان مزيد من المصريين قد تعـــــلموا كيف يستخدمون الاسلحة السوفيتية الجديدة ، فقد هبط عدد العسكريين السوفيت فى مصر الى أقل من الالفين وكادت امدادات الاسلحة السوفيتية الحديثة تصـــــل الى درجـــة الصفر . وكان الروس لايزالون على استعداد لارسال نمـــــاذج أقدم مثل الدبابة « ت ــ ٣٤ » وغيرها من المهمات التى عفا عليها الزمن حتى فى الجيش السوفيتى الذى أعيد تجهيزه بالحديث من السلاح ، ولـــكن المصريين لـــم يعودوا يرغبون فى هذا السلاح القديم ، فقد كانوا يريدون فقط أن يكون

قياس تسليحهم قياسا حديثا ٠٠ والواقع أنهم وفقا لهذه السياسة أرسلوا الى الاردن ما كان متبقيا لديهم من دبابات سنتوريون البريطانية ٠

كان هناك عجز شديد فى قطع الغيار لكل شيء بينما كانت امدادات الذخيرة باستثناء ذخيرة المدفعية المرابطة بالقرب من القنـــاة محدودة هى الاخرى وكان المصريون على سبيل المثال بحاجة خاصة الى سيارات الجيب، وكانوا يحاولون شراءها عن طريق الغير فى البلاد العربية من المصـــادر التجارية وكان الأمر يبدو كما لو كان الروس يريدون عامدين كبح جماح القوات المسلحة المصرية التى كان من المؤكد أنها فى حالة لا تسمح لهـــا بالقتال لأكثر من يومين أو ثلاثة الا فى حالة الدفاع ، الامر الذى لابد أنه كان يدعو الى شعور عبد الناصر بالارتياح ويتيح له فى أمان أن يواصـــل الضرب على نغمة الاهداف السياسية ٠

أخذ صغار المجندين المصريين يألفون التـدريب السوفيتى الخشن ، وأخذت تزداد ثقتهم وترتفع معنوياتهم ، وكذلك كان الحـــال بالنسبة الى الكثيرين من صغار الضباط الذين كانوا تواقين الى اثبات جدارتهم ٠ وكان عدد من الوحدات صالحا تقريبا للمعركة ، أو كان يشعر بذلك ، ولكن كان الرجحان للنصائح والآراء الواقعية من جانب الفريق رياض وهيئة أركان حرب تؤازرها البعثة العسكرية السوفيتية وبالتالى لم يجد عبد النـــاصر معارضة لسياسته السرية ٠٠ وكان الجيش عامة ، وصغار الضباط خاصة، يشعرون بالغـــيرة من السمعة التى اكتسبها الفدائيـــون وودوا لو أنهـــم استطاعوا أن يغطوا عليها وأن يبزوهم ٠ وكم كان يود كثير من الضـــباط لو أنهم احتلوا ذلك المثلث الصغير من الأرض على الضفة الشرقية من القناة وفى طرفها الشمالى والتى لم يكن للمصريين فيها سوى وجود رمزى فى تلك القبعة الصغيرة من المستنقعات ، وتمنوا لو أنهم احتـلوه بتكرار داوريات الكوماندوز ولكن ذلك قد يتطلب ساترا من قوات دفاعية أمامية تجتـــاز المستنقعات الى سفوح تلال سيناء والتى ستكون مفتوحة على مصراعيهـــا للهجمات الاسرائيلية المدرعة ٠٠ ولكن هيئة أركان حرب قد لاتفكر فى أن توصى عبد الناصر بمثل هذه العملية ، فهى تتردد أســـاسا لأن الاتحاد السوفيتى لم يتعهد بأى عمل عسكرى لمؤازرة المصريين فى حالة وقوع حرب ٠٠ وبوجه عام ظلت البعثة العسكرية السوفيتية والمستشارون السوفيت بمعزل عن المصريين ولا يحسنون الظن بهم ٠

كان فى ظهور اللواء الجزائرى الذى أرسل الى القطاع الاوسط للقناة عنـد فايد ما شـدد من عزيمة المصريين الذين كانوا يأملون أن تحذو الدول العربية الأخرى حذو الجزائر فتبعث هى الأخرى بفصـــائل من جيوشها ، ولكنها كانت أبطأ من أن تفعل ذلك والقوة العربية الاخـرى الوحيدة كانت قوة ليبية ٠٠ وبكامل طول القناة من الجانب المصرى ٠ أخذ يسود جـــو الواقع القاسى للحرب ، فالقرى والمدن التى تم اجلاء الاهالى عنها بدت خالية

مهجورة وقد تهدم الكثير من المباني وأصيب بأضرار بالغة ، وفي الرابع عشر من فبراير عام ١٩٦٩ قيل أن مصر مستعدة لأن تسمح بعملية مسح للجزء الجنوبي من القناة للنظر في امكان اخراج السفن المحجوزة في البحيرات المرة الكبرى ، على أن يتم ذلك على نفقة أصحاب هذه السفن . وقال الاسرائيليون أنه لن يكون لديهم مانع بشرط أن توافق أولا على التفاصيل ولكن لم يحدث شيء من ذلك .

وبقيت آثار السخط تخيم على القوات المسلحة سواء لدى كبار الضباط الذين كانوا يشعرون بالألم من معاملتهم بعد حرب يونيه أم صغار الضباط الذين كانوا يشعرون بالقلق والضيق ازاء تردد الحكومة في أن تدفع بهم الى المعركة وكان بعض صغار الضباط ، وهم يتهامسون فيما بينهم لا يسعهم الا أن يتذكروا أن عبد الناصر نفسه قد وصل الى السلطة عن طريق الجيش وسخط الجيش .

وعلى أية حال كان السبب الرئيسي للاستياء هو الاحتكاك بين الضباط المصريين والمستشارين السوفيت الذي وصل الى الدرجة التي جعلت عبد الناصر يقوم بزيارة لمنطقة القناة في السابع والعشرين من فبراير ليقف بنفسه على الموقف الحقيقي وعلى الشعور الحقيقي هناك وقد قوبل هناك وفي عدة أماكن بدرجة غير مألوفة من البرود بينما أبدى صغار الضباط بشكل واضح مدى ما يشعرون به من ضيق ونفاذ صبر وكانوا أحيانا يسألون صراحة متى سيقومون بمحاربة الاسرائيليين .

٤ ـ حرب الاستنزاف

(لسوف ترد اسرائيل على كل ضربة تتلقاها بسبعة أمثالهـا)

« جولدا مائير رئيسة الوزراء »

ولكي يتسنى للرئيس عبد الناصر أن يرفع الروح المعنوية عند عودته فى شهر فبراير من زيارته للخطوط الامامية لقواته ، فقد أعطى تصريحـا باطلاق سدود من نيران المدفعية توجه عبر القناة الى الاسرائيليين فى الجهة المقابلة ، وذلك من أجل تهدئة حالة التذمر السائدة بين صـغار الضباط تجاه حالة الركود المستمرة من جهة ، ولكي يظهر أمام المصريين والعـرب والعالم بوجه عام على أنه يقود الحرب ضد اسرائيل · وكانت كتـائب مدفعيته قد زادت لتبلغ ١٤ كتيبـة الى جانب اثنتين أخريين كانتـا تحت التشكيل كما كان ثلثا هذه الكتائب على طول قناة السويس مزودة بما هو بين ٦٠٠ الى ٧٠٠ من مدافع الميدان والمورتار ·

ولقد كان عبد الناصر يعلم بأنه يتفوق على اسرائيل فى المدفعية التى لم يكن سوى خط رقيق من مواقع الملاحظة يمكن أن يطلق عليها بالكاد على أنها خطوط دفاعية ، أحـدها كان فى الضفة الشرقية يعمل على ادارتهـا لواءان من ألوية المدفعية يدعمها من الخلف لواء من المدرعات بالاضافة الى ما يقرب من ٤٥٠ من المدفعية الميكانيكية ·

ولقد كانت منطقة القناة هادئة نسبيا منذ السدود من نيران المدفعية التى تمت فى ٢٦ أكتوبر ، ومنذ ذلك التـاريخ قامت اسرائيل « بدعـم » خطوطها الدفاعية الدقيقة لـكي تصبح ما عرف فيما بعد بخط بارليف نسبة الى الجنرال بارليف رئيس أركان حرب القوات المسلحة الاسرائيلية · ولقد تكون هذا الخط من مجموعة من الخنادق ذات الطوابق المتعددة جرى تغطية سقوفها « بمواد خاصة » عبارة عن تركيبة من قضـبان أخذت من سكك حديد سيناء ، وكتل من الخشب وأسمنت ورمال ، تستطيع أن تتحمـل الضرب المباشر من المدفعية عيـار ١٣٠ مم ، وهى أكبر المدافع التى كانت تمتلكها مصر ·

وهذا الادعاء بالنسبة لخط بارليف قد جرى اثبات صحته على نطاق واسع كما أنه كان السبب فى أن خسائر اسرائيل فى الأفراد كانت ضئيلة خلال كافة السدود الكثيفة من النيران التى تمت عام ١٩٦٩ ·

وكان من السهل أن يشم المرء رائحة الحرب على كـلا الجانبين ففي ٤ مارس ٦٩ أطلق موشى ديان تحذيرات حول خطورة زرع الألغام وعمليات القناصة من جانب المصريين على طول القناة ولم ينقض بعد ذلك سوى يومين حتى كان المصريون قد أطلقوا في السادس من مارس سدا كثيفا من نيران مدفعيتهم عبر الممر المائي موجها نحو خط بارليف الذي لم يكن قد استكمل بناؤه الا منذ أسبوعين بين القنطرة والسويس ، هذه النيران التي دامت خمس ساعات قبل أن يصل مراقبو الأمم المتحدة ويعملوا على وقف اطلاق النـــار وكانت هذه المرة بداية اطلاق غلالات من سدود النيران كانت تستمر لفترات على طول ماتبقى من هذا العام • ولقد قرر مراقبو الأمم المتحدة بعد ذلـــك (في ٨ مارس) بأن المصريين هم الطرف البادىء باطلاق النيران • وبعد يوم من الهدوء النسبي نشب سد آخر من سدود النيران عبر القنـــاة في اليوم الثامن من مارس اشتركت فيه مئات المدافع والمورتار ، ومرة أخرى تأكدت الأمم المتحدة أن هذه النيران بدأت من جانب المصريين • ورد الاسرائيليون بالمثل ، وفي هذه المرة أطلقوا نيرانهم على معمل لتكرير البترول في السويس مشعلين النار في مستودعات البترول ، وكـــان من السهل رؤية حلقـــات الدخان الأسود على مسافة أميال •

وفي الساعات الاولى من يوم التاسع من مارس بدأت معركة مدفعيـة أخرى حيث تمكنت احدى القذائف من قتــــل الجنرال رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية والذي كان في زيارة في مركز متقدم من مراكز الملاحظة بالقرب من الاسماعيلية وفي اليوم التالي تم اقامة جنـــازة له على مستوى الدولة في القاهرة وخلفه في منصبه الفريق أول أحمد اسماعيل على •• وفي تبادل اطلاق النار الذي تم في هذه المرة بالذات أعلن المصريون أنهم قد تمكنوا من تدمير خمسة بطاريات مدفعية ومورتار وانهم أسكتوا ٢٦ ، كما أسقطوا ثلاث طائرات اسرائيلية ، غير أنهم اعترفوا بدمار معمل تكرير البترول وبفقد أربعة جنود لقو حتفهم بالاضافة الى ٣٩ جريح الى جانب مصرع ٧٢ فردا من المدنيين • وفي الحقيقة ، فان خسارة كبيرة قد لحقت بأربعـــة عشر مستودعا من مستودعات البترول • أما الاسرائيليون فقد اعترفوا بمقتل خمسة منهم ، واصابة ٢٦ ، وبتدمير مركبتين وسقوط طـــائرة من طراز « بايبر كلوب » أسقطها أحد صواريخ سام ـ ٢ وقد صـــمد خط بارليف صمودا كبيرا أمام ثقل هذه السدود من النيران •

وفي اليوم التاسع من مارس صدر قرار « باظلام » شـــامل على مستوى الدولة في مصر ، وكان هذا أول القرارات من هذا القبيل منذ حرب يونيو ، غير أن تنفيذ هذا القرار كان بطيئا كما أنه لم يطبق الا جزئيـــا • بادئا باطفاء أنوار النيون الضخمة في المدينة الى نوافذ المنازل ، ثم بعـــد ذلك كشافات السيارات • غير أنه من الناحية الفنية ، فان مثل هذا الاظلام قد عفا عليه الزمن في عصر وجود أجهزة الكشف الالكتروني من أمثـــال الطائرات الاسرائيلية المحمولة والتي كان في امكانها جلب الحرب الى رجل

الشارع • هذا الى جانب أنه قد جرى حماية كبارى النيل ، ومداخل المبانى الحكومية ، ومكاتب البريد ومحطات السكك الحديدية بأكياس من الرمل كما تم بناء جدران مضادة للانفجارات فى كثير من الاماكن وبدا واضحا أن القاهرة تعد اعدادا جديا للحرب ، وفى حين أنه لم يكن هناك حماس حربى ظاهر كتلك الحالة التى كانت سائدة قبل حرب يونيو مباشرة ، فان معظم المصريين بدا عليهم أنهم أعدوا أنفسهم « لجولة رابعة » •

وفى العاشر من مارس كانت المدفعية المصرية صامتة فى معظمها وكان ذلك هو يوم جنازة الفريق رياض ، غير أنه فى اليوم التالى انطلقت هذه المدافع مرة أخرى فى نفس الوقت الذى كان الاسرائيليون يكملون اخلاء من تبقى من السكان فى مدينة القنطرة العربية ليعودوا بهم الى العريش • وتم تدمير سفينة أجنبية فى ميناء السويس فى هذا القصف • وفى اليوم الثانى عشر من مارس والثالث عشر منه وخلال معارك مدفعية أخرى تم اشعال النار فى مستودعات أخرى فى معمل تكرير السويس • وخلال ما تبقى من مارس تم تبادل اطلاق النار عبر القناة بصفة يومية •

وفى الحقيقة فان هذه الحالة استمرت خلال شهر ابريل أيضا ، وكانت هذه السدود الكبرى من النيران قد حدثت فى يومى الثامن عشر والرابع والعشرين من مارس ، وفى الرابع والثامن والحادى عشر والثالث عشر والرابع عشر ، ومن السادس عشر الى العشرين من شهر ابريل • وفى معظم الحالات حاول مراقبو الامم المتحدة بذل كل جهودهم لوقف اطلاق النيران فى خلال ساعات قلائل ، وكان كل من الجانبين بصفة دائمة يتهم الطرف الاخر ببدء اطلاق النار ، غير أن رجال الأمم المتحدة قرروا أخيرا أن مصر كانت هى البادئة عادة باطلاق النار • وفى شهر مارس حذر الاسرائيليون من أنه اذا استمر المصريون فى القصف فان الاسرائيليين ليست لديهم النية فى البقاء فى خنادقهم الى مالا نهاية ، وأنه على الرغم من أن كثيرا من الأهداف الانتقامية ليست فى نطاق مدفعيتهم ، فانها مع ذلك تدخل فى نطاق سلاحهم الجوى • وفى الثامن من أبريل بدأ المصريون فى اخلاء بور سعيد وهى المكان الاخير ذو الحجم الواضح على الجانب المصرى الذى بقى فيه عدد من السكان المدنيين •

وهكذا بدأ الآن الرئيس عبد الناصر حرب الاستنزاف والذى قصد بها سحق الاسرائيليين ببطء وتفتيتهم قطعا • فقد شرح للمؤتمر الثانى للاتحاد الاشتراكى العربى فى السابع والعشرين من مارس بأن القوات المصرية تعد العدة « للانطلاق فى معركة التحرير » ضد الاسرائيليين • وقد كان يشعر بوضوح أنه قد نجح فى مرحلة الردع أو مرحلة الانتقام ، كما أنه حذر اسرائيل من أنه سوف يأتى الوقت الذى تستطيع فيه مصر ضرب المراكز المدنية الاسرائيلية ردا على الهجمات الاسرائيلية على المدن الواقعة على طول القناة وفضلا عن ذلك فقد كرر القول للاتحاد الاشتراكى العربى بأن السلام

لايمكن أن يفرضه أحد على المنطقة من خارجها ، وأن العرب سوف لا يتخلون عن مبادىء مؤتمر الخرطوم ، تلك المبادىء التي جرى تنفيذ أحكامها منذ سنتين • ولقد كرر كثيرا ما قاله فى خطاب آخر ألقاه فى أول أبريل • ولقد كان بعض المطلعين يعتقدون أن مرحلة حرب الاستنزاف التى يقودها قد بدأت بالفعل فى هذا التاريخ ، حيث أنه أعلن أن اتفاق وقف اطلاق النار الذى تم فى التاسع من يونيو يعتبر غير سارى المفعول •

وفى التاسع من شهر ابريل أعلن أوثانت أن مبعوثه الخاص فى الشرق الاوسط جونار يارنج قد استأنف مهام منصبه كسفير للسويد لدى الاتحاد السوفيتى ، غير أنه سوف يكون جاهزا فور طلبه فى الوقت الذى تستدعى فيه التطورات الحاجة الى خدماته مرة أخرى • وفى نفس الوقت بدأت سلسلة من محادثات (الأربعة الكبار) وفى العاشر من أبريل قام الملك حسين ملك الاردن بزيارة لأمريكا ، وحين اقامته هناك قام بالقاء خطاب الى نادى الصحافة فى واشنطن طارحا خطة سلام مكونة من ست نقاط ربطها باسم الرئيس عبد الناصر • وكانت المقترحات الاساسية فيها أن يعترف العرب باسرائيل مع السماح بمرور سفنها فى قناة السويس ومضايق تيران مقابل انسحابها من الاراضى المحتلة • غير أن هذه المقترحات لم تقابل بالاستحسان من جانب الاسرائيليين ، الذين كانوا لايزالون يصرون على مفاوضات مباشرة كما أنه كانت هناك شكوك فيما يتعلق بدقة ومدى قيام الملك حسين يأخذ رأى عبد الناصر فى هذا الخصوص • وفى الثانى والعشرين من ابريل قال أوثانت أن هناك حالة حرب حقيقية على امتداد قناة السويس، وأن جهود الامم المتحدة غير مؤثرة كلية تقريبا ، وأن هناك انتهاكات كبرى لوقف اطلاق النار تمت خلال كل من الاثنى عشر يوما الماضية على التوالى ، وأن هذه الانتهاكات كانت تمتد أحيانا على طول هذا الممر المائى بأكمله ، وأن الاسلحة التى يجرى استخدامها كانت تتضمن المدفعية الثقيلة ومدفعية المورتار الثقيلة ، الى جانب الدبابات والصواريخ ، وأن ٥٨٦ واقعة قد تم تسجيلها خلال شهر أبريل على امتداد القناة وكان قد توافر لدى مصر فى ذلك التاريخ ١٨ وحدة قوية ومدربة تدريبا جيدا من وحدات الكوماندوز الى جانب لواءين من المظليين وكلهم من المتطوعين المختارين الذين كانوا على شغف لاثبات قدراتهم •

ولكى يرفع عبد الناصر روحهم المعنوية هم وصغار الضباط الذين كانوا يتحرقون شوقا الى العمل ، فقد رخص الى جانب القصف المدفعى فى شهر ابريل تصعيد غارات الكوماندوز عبر قناة السويس •

وفى اليوم التاسع عشر عبر الكوماندوز المصريون الممر المائى تحت سد كثيف من النيران لمهاجمة المواقع الاسرائيلية فى الشاطىء الشرقى لبحيرة التمساح وأعلنوا عن خسارة فى الجانب الاسرائيلى قدرها ثلاثون اصابة غير أن الاسرائيليين قالوا ان الجانب المغير تكون من خمسة عشر مصريا فقط

تم صده بعد معركة قصيرة بالبنادق ، وأنه لم تحدث أية اصابات في جانبهم سوى جرح اسرائيلي واحد • وأثناء الليلة التالية في اليوم العشرين كانت هناك غارة أخرى لرجال الكوماندوز المصريين عبر القناة في مكان يبعد ٢٠ ميلا شمالي القنطرة ، حيث ادعى الطرفان ادعاءات متضـــاربة • وفي اليوم الثاني والعشرين من أبريل وأثناء غارة مصرية تم قتل ثلاثة من الجنـــود الاسرائيليين وأسر جندي آخر أثناء ساعات الظلام • وبعد هذه الاغارات من جانب رجال الكوماندوز المصريين والتي كانت تحدث عمليا كل ليلة ، وفي بعض الأحيان كانت تحدث أكثر من غارة في الليلة الواحدة ، كانت هناك مشاعر الابتهاج حين أفرج صمام الأمن هذا شيئا من التـــوتر العسكري ، غير أنه كان يلوح في الأفق بعض مشاعر الخوف اذا ما صـــعدت اسرائيل هجماتها الانتقامية في بور سعيد مثلا • وقام هيكل رئيس تحرير الأهرام في السادس والعشرين من ابريل بالتحذير من أنه سوف يكون على المصريين أن يعدوا أنفسهم لخسائر كبيرة من رد الفعل الاسرائيلي •

غير أن كثيرين من الضباط المصريين كانوا لازالوا يعتقدون أنه لم يتم انجاز الشيء الكثير ، وأنه على الرغم مما يحيط بسدود نيران المدفعية من هالة فانها لم تكن تؤدي الى نتائج ايجابية وان غارات الكوماندوز هي الأخرى على الرغم من استغلالها بشكل درامي في النواحي الدعائية فانهـــا لم تكن شيئا مذكورا •

وكان هناك شعورا قويا بأن هجوما يجب تصعيده ليخترق خط بارليف ويدفع الاسرائيليون الى الخلف لعدة أميال ويوقع بهم أضرار تصـــل الى ٢٠ر٠٠٠ اصابة ليكون وقع حدوثها عظيما بالنسبة لبلد أصغر حجما من مصر وأن أية اصابات تحدث لمصر يجب أن تساوي النتيجة النهائية لهـــذه العملية • وعملت البعثة العسكرية السوفيتية أقصى ما في وســـعها لمنع وتعطيل مثل هذه الفكرة التي تنطوي على المغامرة ، في حين ترددت القيادة العامة حيث كانت تعتقد أن التفوق الجوي الاسرائيلي سوف يبدو أي هجوم من هذا القبيل ، لا سيما وأن السلاح الجوي المصري الجـديد لم يكن قد استكمل استعداداته بعد لكي يشعر بقوته الكافية ، ويأخذ الفرصة المعقولة لاحراز النجاح •

ومن ثم فان أي فشل بهذا القدر سوف يكون نكسة خطيرة وعلى الرغم من قيام هؤلاء الضباط الكثيرين واستمرار ضغطهم نحو « مواجهة صيفية » وان كان أحدهم قد صرح أخيرا بقوله لي :

« ان قناة السويس ربما صارت المحيط الاطلسي ـ انها صارت حاجزا له هذا القدر من الضخامة » •

ومن الناحية الفعلية ، فان الضباط المصريين يعتقدون « الآن » على وجه اليقين أنه اذا كان المستر عامر قد سمح له أن ينفذ خطتـــه بأن يشن

هجوما وقائيا على اسرائيل فى الايام الاولى من شهر يونيو ١٩٦٧ لكان الجيش المصرى فى سيناء قد حقق الانتصار .

وفى مساء يوم ٢٩ أبريل دبر الاسرائيليون اختراقهم الثانى فى العمق باغاراتهم فى وادى النيل الأعلى،مدعين أن ذلك كان انتقاما من «الاستفزازات التى لاتنقطع » من جانب المصريين على طول قناة السويس وذلك ليلقنونهم أن أعمال العدوان لا يمكن أن تستمر دون « رد مناسب » . ولذا فقد تم حمل رجال الكوماندوز الاسرائيليين الى مصر بواسطة طائرات هيليوكوبتر الى أهدافهم المحددة فى كوبرى ادفو وسد ادفو الذى يبعد نحو ٦٠ ميلا شمالى مدينة أسوان وكذلك المحول الموجود فى نجع حمادى (الذى جرى مهاجمته فى أكتوبر الماضى) . وتم الاعلان عن تدمير هذه المنشآت ، وأن الجميع عادوا الى قواعدهم سالمين . وعلى كل فان المصريين قالوا بأنه لم يكن هناك انزال جوى قد تم على الارض المصرية من جانب طائرات الهيليوكوبتر فى تلك الليلة،وأن طائرة اسرائيلية واحدة قد اقتربت من الاهداف المذكورة غير أن هذه الطائرة قد تمت مطاردتها بواسطة النيران المضادة للطائرات ، وتم اجبارها على تفريغ حمولتها من القنابل دون احداث أضرار جسيمة . وتم اصطحاب رجال الصحافة الاجانب الى نجع حمادى فى اليوم التالى حيث لم يكن هناك أى حطام يمكن رؤيته . وكان ذلك واحدا من الأمثلة القليلة التى تم فيها النظر الى الادعاءات الاسرائيلية على أنها مبالغ فيها .

ولقد تفاخر الرئيس عبد الناصر وهو يوجه خطابا الى العمال فى حلوان فى أول مايو بأن هذه الغارة الاسرائيلية قد حققت فشلا تاما .

واستمر نفس النمط ، سدود من لهب المدفعية بالنهار عبر القناة يحل محله أثناء الليل غارات لرجال الكوماندوز المصريين ، وظل ذلك طوال شهر مايو وحدث بوجه الخصوص قصف شديد على طول الممر المائى بأكمله فى يومى ١١ ، ١٢ من هذا الشهر . وفى مستهل الشهر وللمرة الاولى وجه الاسرائيليون نيران مدافعهم الى بور سعيد التى كانت حينذاك قد أخليت تماما من المدنيين . وتم احداث اصابات عسكرية ، غير ان ادعاءات المصريين المضادة كانت تقول بأنهم حين ردوا النار بالمثل قتلت مدفعيتهم سبعة من الجنود الاسرائيليين ، واثنين من سائقى الجرارات المدنيين .

وقام الاسرائيلين كذلك ببعض الغارات القليلة من جانب رجالهم من الكوماندوز ولكنها لم تكن بالكثرة التى قام بها المصريون الذين أعلنوا فى الرابع عشر من الشهر أنهم أحبطوا محاولة اسرائيلية لعبور القناة بقوارب من المطاط . وقال موشى ديان أنه يشك بأن تبقى اسرائيل فى موقف الدفاع اذا استمرت حرب الاستنزاف ، وعلق فى اليوم الثانى عشر من الشهر بأن : « أى جيش فى العالم يمكن اجباره على القيام بالهجوم حتى ولو لم يكن يريد ذلك » . ثم بعد ذلك ، فى اليوم الثامن والعشرين من الشهر حذر الطلبة الاسرائيليين من أن نظام التجنيد الحالى والذى تبلغ مدته ٣٠ شهرا من

الخدمة ربما يجرى النظر في زيادة مدته ومن جهة أخرى تم لمراقبى الامم المتحدة تسجيل مايقل قليلا عن ٤٠٠ واقعة على طول القناة خلال شهر مايو • وعلى سبيل المثال ، فقد جرح أربعة جنود اسرائيليين في السادس والعشرين من الشهر حين اصطدمت سيارتهم بلغم شمالى القنطرة مباشرة •

وبدأت البعثة العسكرية السوفيتية تبدى عدم استحسانها للقصف المصرى عبر القناه بهذه الدرجة وأحثوا الرئيس عبد الناصر على أن يأمر قواته المسلحة باحترام وقف اطلاق النار ، غير أنه على الرغم من الكلمات الشجاعة ، ومحاولة استمرار الاستقلال العسكرى فقد كان هناك شعور بالتردد وعدم اليقين في الأوساط المصرية • ولقد علم السوفيت أنه على الرغم من التحسن الكبير الذى حدث في الجيش المصرى في مجال التدريب والروح المعنوية ، وقدرته على استيعاب الاجهزة السوفيتية ، فانه لم تكن لديه القدرة على مباشرة هجوم عبر قناة السويس أمام المواجهة الاسرائيلية ، وأنه لم تكن لديه القدرة كذلك على منافسة الاسرائيليين في مجال الحرب المتحركة وعلى الرغم من أن الاتحاد السوفيتى قد بدأ عليه أنه على استعداد لارسال امدادات لاتنتهى من ذخائر المدفعية والمورتار ، ولربما كان ذلك لادراكهم سر سماح الرئيس عبد الناصر باطلاق سدود من النيران ، وعمليات الكوماندوز ، الا أنه كان متباطئا في ارسال بعض البنود الاخرى ، مثل سيارات الجيب وسيارات الشحن من ذات الاربع عجلات ، والمركبات البرمائية وكلها من البنود الأساسية للهجوم •

أما بالنسبة للضباط المصريين فكانت شكواهم الدائمة من أن الروس كانوا يعلمونهم الاساليب الدفاعية فقط ولا يعلمونهم شيئا يتعلق بالحرب المتحركة أو الهجوم المكون من أطقم متكاملة •

لقد كان عبد الناصر على علم بأن جيشه لايتسنى له التحرك شرقا ، وعلى ذلك فقد بقى ظاهريا في مرحلة الردع أو الانتقام ، كجزء من استراتيجيته ضد اسرائيل • واستيحاء من فكرة السوفيت الدفاعية عن طريق الاستنزاف ، فقد أعلن أنه كان يحارب حرب « بوصة ببوصة » ولقد ردد صدى هذا الرأى هيكل رئيس التحرير الذى كتب في جريدة الاهرام أنه اذا أراد الاسرائيليون أن يستولوا على القاهرة فسوف يجرى امتصاصهم ببساطة ، ذلك أنهم قد انتشروا أكثر من اللازم ، وأنه اذا قدر أن هناك «جولة رابعة» من القتال فلسوف تكون حربا ذات سنوات وليست حربا بستة أيام • ولقد شعرت القيادة العامة المصرية قبل نهاية مايو ١٩٦٩ بأن أى هجوم يتضمن ضربة وقائية من جانب اسرائيل سوف لا يكتب له النجاح ، وأنه حتى لو حاول الاسرائيليون عبور القناة بالقوة فان الصحراء في الجانب الغربى سوف تبتلعهم عن طريق المقاومة طويلة النفس من جانب القوات المسلحة والشعب • وكانت البعثة العسكرية السوفيتية مرتاحة لقبول هذا الرأى •

وبدأ الامر وكأن عبد الناصر قد أصبح معتدلا أو أنه يرغب أن يكون كذلك ، غير أنه كان أسيرا لدعايته الشخصية · وبدا أيضا أنه كان يبحث عن وسيلة تجنبه « جولة رابعة » وأن يجد مخرجا من موقف « شبه الحرب » الذى وجد نفسه فيه ·

وكان هناك اعتقاد بأنه قد بدأ فى تغيير اتجاهه نحو حل وسط فى هذا الصدد وحين أجريت معه مقابلة (١) كان جوابه على سؤال عما اذا كان على استعداد لقبول وجود اسرائيل اذا حدث انسحاب من الاراضى المحتلة وتسوية سلمية دائمة ـ كان جوابه : « اننى أقبل بحقيقة وجود اسرائيل وكذلك شعبى اذا ما كان هناك حل انسانى اسمها اسرائيل أو أى اسم يريدون تسميتها به ، ولسوف أعترف بها » غير أن ذلك القول كان موجها للشعب الامريكى وليس للمصريين · لقد شعر عبد الناصر بأن الروس يضغطون عليه لتقديم تنازلات واسعة من خلال جهودهم لانجاز تسوية للشرق الاوسط فى محادثات الاربعة الكبار ، حتى يتسنى لموسكو وواشنطن أن يتوصلا الى اتفاق وتخف حدة الحرب الباردة · وكان المرء يستطيع أن يحس فى مصر آثار التبرم من الحرب باديا ، وكذلك الضيق من تحملهم فى مصر « العبء الرئيسى » للحرب العربية ضد الاسرائيليين حيث كان غالبية المصريين تحت انطباع ما يقومون بفعله ، ولابد أنه كانت هناك أفكار لم يجر التعبير عنها بأنهم يرحبون بسلام منفرد مع اسرائيل · اذ كانت الميزانية التى تبلغ ٢٠٠ مليون جنيه استرلينى قد ارتفعت بنسبة ١٥ ٪ عن العام السابق وكانت تولى لمتطلبات المعركة أولوية أولى رغم كونها عبئا ثقيلا ·

أما عن محادثات الاربعة الكبار فقد كانت مستمرة ، وفى ١٠ يونيو ذهب جروميكو وزير الخارجية السوفيتى الى القاهرة ، ولكنه قوبل بفتور حيث أن المصريين قد شعروا بغتة بأن الروس يبتعدون عنهم عن طريق عدم تشجيعهم على مهاجمة اسرائيل من ناحية ، وبعدم امدادهم بمزيد من البنود الأساسية للهجوم · وكان هذا الوضع سببا فى قيام رئيس التحرير هيكل بالتأكيد على أن هناك حربا سيكلوجية قد جرى اعمالها فى محاولة بث الفرقة بين المصريين والروس ، ولم يعارض الاتحاد السوفيتى قيام المصريين والاسرائيليين بمحاولة تخطيط حدود جديدة لأنفسهم غير أن جروميكو قد غير سياسته الان وطلب بحسم أن يتم انسحاب اسرائيلى كامل من الأراضى المحتلة ، مع وجود مناطق منزوعة السلاح على محازاة هذه الحدود الجديدة التى كان المصريون والاسرائيليون يقاومونها · ولقد شعر المصريون الآن بارتياح أكثر قليلا ، بينما بدأ الاكتئاب على الاسرائيليين · وفى الثانى عشر من الشهر وفى يوم البحرية الاسرائيلية ، قال موشى ديان أنه لم يعد من المؤكد ما اذا كانت قناة السويس سوف تكون خط وقف اطلاق النار أو الجبهة التى سوف تبدأ منها الحرب القادمة ·

ولقد كان الاسرائيليون يخشون انه اذا توصل الأربعة الكبار الى اتفاق أن يكون فى مقدورهم اجبار اسرائيل على الانسحاب من الاراضى المحتلة اذ أنهم قد فقدوا بالفعل ٧٠٠ قتيلا منذ حرب يونيو وكان تعليق ديان أنه « لاتمر ليلة بالمطار دون حدوث معركة » ٠

ولقد شعروا أنهم اذا تركهم الاربعة الكبار فسوف يكون فى استطاعتهم اجبار العرب فى نهاية الامر على أن يتفقوا معهم ولكنهم ظلوا متعنتين فيما يتعلق بعدم اقرارهم بدقة حول أى قدر من الاراضى المحتلة ينوون الاحتفاظ بها ٠ ولقد علقت جولدا مائير رئيسة الوزراء بأن الحدود الجديدة « لاينبغى أن تقدم ميزة طبيعية لجيراننا » وغالبية الاسرائيليين كانوا يتوقعون أن لو كان قد أطيح بعبد الناصر نظرا لعدم ثقتهم الكاملة وكان هذا يعكس شكوك حكومتهـــم ٠

وكان مما يقلق القيادة العامة الاسرائيلية أن يكون عبد لناصر قد حرق تقارير مخابراته التى تضمنت بأن نحو ٦٠ ٪ من خط بارليف قد تم تدميره ، فى الوقت الذى لم تحدث فيه هذه السدود المصرية من النيران سوى تدمير نسبى ضئيل وكان ذلك سببا فى أن يصرح موشى ديان (فى الثامن عشر من مايو) بأنه « لا يعتقد بأننا سوف نصل الى هذه النقطة (كان يقصد الحرب على الارض وعلى نطاق واسع) ـ ليس فى هذا الصيف » ٠ وفى الخامس من يونيو دعا فوزى وزير الدفاع المصرى الى « الاعداد للمعركة الحاسمة » مضيفا بأن التجربة قد برهنت على أن العدو ليس بالشىء الذى لا يقهر وعلى الرغم من مشاعر الاحباط ، فان المصريين كانوا يفكرون بأنهم يقومون على الأقـــل باخبار الاسرائيليين على القيام بنوعية الحرب التى يرغبون فى القيام بها ، وعلى الرغم أن المدافع الكبيرة والتشكيلات الكبرى تلعب الدور الأكبر وعلى الرغم من أنهم متخلفون نسبيا فى مجال التكنولوجيا فقد كـــان لديهم الامل أن يحققوا بهذا الاسلوب لأنفسهم موقع قــوة وسيطرة بالقـــدر الذى يكفى لدفع الاسرائيليين نحو تسوية سلمية على ما تهوى نفوسهم ٠ واستمر طلبهم على المزيد من الاسلحة ففى الخامس عشر من يونيو طارت جولدا مائير رئيسة الوزراء الى لندن لمحاولة اقناع الحكومة البريطانية بامدادهم بدبابات « شفتية الجديدة » ٠ وفى نفس اليوم كان على صبرى قد سافر الى موسكو لمحـــاولة اقناع الروس بزيادة حجم الامدادات من الاسلحة ، ولم ينجح كلا الاثنين فى مساعيهما ٠

وورد فى تقرير يوثانت للامم المتحدة أنه قــد تم الانخفاض فى درجــة العنف على طول القناة فى الجزء الاخير من شهر مايو ، بانخفاض اســتخدام الاسلحة الثقيلة (غير أن هناك كان مقصورا أساسا على القطاع الشمالى) ، وان هذا التحسن قد استمر فى الاسبوع الاول من شــهر يونيو ثم بدأ فى التدهور بعد ذلك بحدوث قصف بالنيران بصفة يومية تقريبــا وان الحوادث تبدأ أساسا من جانب المصريين ٠ وظل نفس النمط من القتال مستمرا ٠ وعلى

سبيل المثال ، ففي اليوم الثاني والعشرين من يونيو اعترف الاسرائيليون بأن أربعة من جنودهم قد أصيبوا من جانب الكوماندوز المصريين الذين عبروا القناة بالقرب من البحيرات المرة الكبرى •

وبعد يومين آخرين اعلن المصريون أن وحدة من وحدات الكوماندوز المصريين قد جرى انزالها على الشاطئ الشرقي لليلة الثانية على التوالي ، وعبرت تحت غطاء القصف المدفعي على هيئة سدود من النيران ، واشتبكت مع القوات الاسرائيلية • وهي في طريقها الى ممر متلا ، كما أعلنوا أيضا أنه في نفس هذه الليلة في الرابع والعشرين من يونيو عبرت وحدة كوماندوز أخرى وهاجمت المواقع الاسرائيلية في منطقة الشط ، وقتلت القاطنين هناك ودمرت عربتين مدرعتين مضيفين أيضا أن هذه هي المرة الخامسة لغارات الكوماندوز في مدى ثلاثة أيام ، وتم فيها قتل ٢٢ اسرائيليا وتدمير بعض المنشآت • غير أن الاسرائيليين لم يعترفوا الا باصابة جندي واحد • غير ان أحداثا أخرى جرت أثناء الشهر كانت تستدعي الانتباه بما في ذلك استيلاء الاسرائيليين في العشرين من الشهر على سفينة ذات محرك عليها طاقم مكون من ١٩ فردا في خليج السويس •

وفي اليوم السابع والعشرين من الشهر أعلن الاسرائيليون أيضا اعترافهم باصابة ثلاثة من جنودهم في مدى ٢٤ ساعة ومن ثم فقد أجبر موشى ديان على تعديل تنبؤاته السابقة ليقول « ان الحرب قد بدأت تدنو » •

على أن الاسرائيليين قد نفذوا عددا من غارات الكوماندوز في شهر يونيو لكنها لم تكن بالكثرة التي كانت عليها غارات المصريين الى ان أبرز هذه الغارات كان في مساء يوم الواحد والعشرين من الشهر حينما أغار رجال الكوماندوز البحريين على محطة حرس السواحل في رأس الادبية في خليج السويس على بعد ستة أميال جنوبي مدينة السويس وأعلنوا أنهم قد قتلوا نحو ١٥ جنديا كانوا الذين كانوا يديرون تلك المحطة ، وأنهم دمروا تجهيزات للرادار والمنشآت الأخرى • هذا ولم يعترف المصريون الا بمقتل خمسة واصابة سبعة بجراح ، وأعلنوا في مقابل ذلك قد قتلوا أربعة اسرائيليين على الأقل كما أصابوا آخرين بجراح •

وأما الاختراق الاسرائيلي الثالث في العمق في وادي النيل الاعلى فكان في مساء يوم التاسع والعشرين حين أغارت مجموعة من الكوماندوزالاسرائيلية محمولة في هليوكبتر على مدينة سوهاج التي تبعد نحو ٩٠ ميلا من البحر البحر الاحمر ، وقامت هذه المجموعة بتقطيع أسلاك الطاقة •

وقال الاسرائيليون انهم لم يقابلوا أي عدو في طريقهم ، ولم يجر اطلاق رصاصة واحدة كما أنه لم تحدث أية اصابة واحدة لدى الاسرائيليين •

غير أن السهولة التي تمت بها هذه العملية قد تسببت في بث المخاوف لدى المصريين تجاه عدم المناعة الواضح لوادي النيل الاعلى •

وفي أول يولية أطلقت مائير رئيسة الوزراء تهديدا له طابع مقدس في الكنيست حين قالت : « ان اسرائيل سوف ترد على كل ضربة تتلقاها بسبعة أمثالها في حين قال أحد المتحدثين المصريين : (نحن نعتبر أنفسنا في حالة حرب) ، واعترف بأن هناك اعدادا أخرى من الاحتياط يجرى تعبئتهم وألمح أوثانت جانب آخر الى أنه ربما كان عليه أن يسحب مراقبي الامم المتحـــدة البالغ عددهم ٩٢ مراقبا • وفي اليوم الثـــــاني من شهر يوليو عبر رجال الكوماندوز الاسرائيليون قناة السويس في ثلاث مجموعات انزال ، وأعلنوا عن أنهم قد قتلوا ١٣ جنديا مصريا • وفي نفس اليوم ، وكما لو كان القصد هو تصعيد حدة التوتر أعلن المصريون أنه تم اكتشاف شبكة جاسوسية في القاهرة يرأسها يوسف حمدان وهو الماني الجنسـية من أصل مصري ، وتم القبض عليه وعلى ثلاثة آخرين كان من بينهم من يستحوذ على خريطة مبـوبة تحوى بيانات بالدفاعات المصرية في القناة •

واستمرت الدعاوى والدعاوى المضادة خلال الشهر • وفي اليوم العاشر من الشهر قال المصريون أن احدى غاراتهم قـد تمكنت من اختـــراق المواقع الاسرائيلية المواجهة لبور توفيق ، مسببة ٤٠ اصـــابة مع عدم وجود أية خسائر في جانبهم • وفي هذا المجال اعترف الاسرائيليون بأن هذه الغـارة كانت ناجحة نسبيا بالنسبة للمصريين ، وقالوا ان ستة من الجنود الاسرائيليين قد قتلوا وان جنديا آخر توفي متأثرا بجراحه • وفي اليوم الثامن عشر حدثت خمسة اصابات في الجانب الاسرائيلي حينما اصطدمت مركبة على الشــاطيء الشرقي باحدى الالغام ، وفي نفس اليوم تم قتل ثلاثة من الجنود الاسرائيليين وجرح خمسة آخرون في تراشق مدفعي عبر القناة • وكان عدد القتـلى من الاسرائيليين حتى ذلك الوقت قد بلغ نحو ٧٠ قتيلا في الشهر ، وكان اللواء من القوات الجزائرية المتمركز بالقرب من فايد نشطا في عمليات الكوماندوز، مستخدما قوارب من المطاط للعبور من أجل زرع الألغام والكمائن الخداعية للســـيارات •

وفي مساء يوم التاسع عشر من يوليو هاجم فريق مكون من ٤٠ اسرائيليا من رجال الكوماندوز البحريين الجزيرة الخضراء وهي عبـارة عن صخرة في الطريق الشمالي من خليج السويس لها أكتاف جبلية يبلغ ارتفاعها ٢٥ قدما ، مجهزة ببرج رادار وأجهزة أخرى للرادار يديرها نحو ٧٠ من المصريين • وقد بقيت الجزيرة الخضراء لفترة طويلة مصدر ضيق للاسرائيليين حيث كانت تسيطر راداريا على المدخل الجنوبي لقناة السويس ، وعلى الجزء الشمالي من خليج السويس ولقد تسلق رجال الكوماندوز هذه الاكتاف العالية وقتــلوا الحرس ، ودمروا الاجهزة ثم انسحبوا بعد أن ظلوا في الجزيرة لمدة ســـاعة وقام المصريون الموجــــودون في البر الرئيسي بقصف الجزيرة ظنا منهم أن الاسرائيليين لازالوا هناك مسببين بذلك مزيدا من الخسائر • وأعلن المصريون ان هذه المحاولة باءت بالفشل وأن الاسرائيليين قد خسروا ٣٠ قتيـــــلا ، وأنه قد تم اسقاط احدى طائرات الميراج المقاتلة ، وذلك في مقـــابل ستة اصابات في الجانب المصري• أما الاسرائيليون فقد قالوا أنهم قتلوا ٢٥ مصريا•

٥ ـ الصراع الجوى

« لسوف ينقضى جيل قبل ان تتساوى المهارات المصرية مع تلك التى لدى الاسرائيليين»

« بريجادير موردخاى هود قائد السلاح الجوى الاسرائيلى » ٠

والآن دخلت القوات الجوية لكلا الجانبين باندفاعة أكبر فى خضم المعركة فبعد ظهر العشرين من يوليو ١٩٦٩ (١) ، وبعد انقضاء بضع ساعات من غارة الاسرائيليين على الجزيرة الخضراء ، بدأت طائراتهم قصفا مكثفا على المدفعية المصرية على طول قناة السويس ٠ والمدفعية المصرية على خلاف ما عليه الحال بالنسبة للمدفعية الاسرائيلية ـ تسير على هيئة مقطورة فى حين لا يتحرك ذاتيا منها الا نسبة ضئيلة ٠ اذ كان التصور السوفيتى يميل الى أن تكون ثابتة تتمركز فى مواقع محددة ٠ ويجرى دعمها بأكياس من الأسمنت والرمل على هيئة جدران ضد الانفجارات وحماية ضد القصف الاسرائيلى وقنابل المورتار وعلى هذا النحو فقد كان الاسرائيليون سعداء عموما بالرد على سدود النيران المصرية بالمثل ٠ ولكن طالما أن المصريين قد دأبوا على زيادة اعداد الاصابات بين الاسرائيليين فقد عمل هذا الاستفزاز على أن يغير الاسرائيليون من تكتيكاتهم ٠ ففى العشرين من شهر يوليو بدأت مرحلة من هذا النوع من القتال حينما تحول الثقل الرئيسى للقوات الجوية الاسرائيلية نحو أسلحة خط المواجهة المصرى ٠

وقبل الغسق مباشرة فى نفس ذلك اليوم أقلع السلاح الجو المصرى لتحدى القوات الجوية الاسرائيلية بجدية للمرة الاولى منذ حرب يونيو ، فقد قامت ٤٠ طائرة (عشرة منها ميج ٢١ س ، وثلاثون اس ـ يو ٧س) باختراق ما يزيد عن ٦٠ ميلا داخل سيناء ٠ وقامت الطائرات الاسرائيلية بالتصدى لها ، وحدث قتال جوى بين الفريقين ٠ وحين انتهى القتال أعلن المصريون أنهم اسقطوا ١٩ طائرة اسرائيلية ، غير أنهم اعترفوا بفقد طائرتين من طائراتهم هذا بينما اعترف الاسرائيليون بفقد طائرتين من طائراتهم غير أنهم أعلنو ـ أنهم اسقطوا خمس طائرات مصرية ، اثنين من طراز اس يو ـ ٧ س،

---

(١) ذكر المصريون أن الاسرائيليون اختاروا نفس هذا اليوم الذى هبط فيه الامريكيون على القمر لكى يثيرون دعاية ممكنة فيما وراء البحار ٠

واثنين من طراز ميج ١٧ س ، وواحدة ميج ٢١ • وبالرغم مما بدا أن الاسرائيليين قد كسبوا هذا الصراع الجوى ، فان الحقيقة التى أذهلتهم هو اختراق القوات الجوية المصرية للمجال الجوى الاسرائيلى بهذه القوة •

وفى الثالث والعشرين من يوليو وصف الرئيس عبد الناصر في خطابه الى الاتحاد الاشتراكى العربى فى الاحتفال السابع عشر للثورة المصرية وصف هذه المعركة الجوية بأنها أكبر اشتباك حدث منذ حرب يونيو ، وعبر عن اعتزازه الكبير ورضا الشعب للجهد الجبار والنتائج العظيمة التى تمت فى يوم المعارك الكبرى ، غير أنه حذر من أن ذلك يعتبر تصعيدا خطيرا فى القتال، ودعا مرة أخرى الى مواصلة حرب الاستنزاف قائلا : لقد شرعنا الآن فى معركة طويلة لاستنزاف قوى العدو •• لقد بدأنا الآن مرحلة حرب التحرير• ان حرب الايام الستة لم تنته ، ولكن حرب السنتين أو الثلاثة ـ أو حتى السنوات الست مستمرة •• اننا لا نزال فى حرب مع الاسرائيليين » •

ولقد نظر الى العمل الذى قام به السلاح الجوى المصرى فى العشرين من يوليو نظرة الابتهاج من جانب المصريين كعلامة من علامات اتمام اعادة بنائه ، كما أعتبر دليلا على مقدرة المصريين على تنفيذ عمليات قصف جوى على الاهداف الاسرائيلية ، وذلك على الرغم من الخسائر التى تحققت ، الا أن ذلك كان ضربا من المبالغة ، وأنه لازال هناك الكثير مما ينبغى عمله • لقد أخذت الضربة الوقائية الاسرائيلية القوات الجوية المصرية على غرة مما جعلها تعانى أشد المعاناه اذ فقدت نحو ٣٠٠ طائرة حربية من بين ٤٥٠ طائرة ، وتم أغلب هذا الفقد فى الساعات الاولى من الحرب • غير أن التوسع السريع من جانب مصر كان يعوقه النقص المزمن للطيارين ، اذ فى حرب يونيو قتل على الاقل ١٠٠ طيار كما جرح ٢٥٠ منهم ولم يتبق من الصالحين للطيران سوى ١٠٠ طيار يكاد عددهم لا يكفى لقيادة الطائرات الحربية المتبقية وفوق هذا فان الاسرائيليين قد أظهروا تفوقهم فى مجال القتال الجوى •

وكان الفريق محمد صدقى قائد السلاح الجوى المصرى قد أقيل لفشله فى حرب يونيو • وفى ١١ يونيو ١٩٦٧ عين محله الفريق أول مدكور أبو العز ، الذى قام ومعه عدد من كبار الضباط الذى جرى ترقيتهم حديثا أو ممن عينوا فى مناصب جديدة بالشروع فى اعادة تنظيم واعادة بناء السلاح الجوى بمساعدة الاتحاد السوفيتى ، وكانت محاكمة كبار ضباط السلاح الجوى الاربعة ، وما تمخض عنها من موجة من الاعتراض على التساهل الذى ساد تلك المحاكمات قد صارت من المواضيع المثارة فى ذلك الوقت • وفى موجة الادانة ثم اقالة كثير من الضباط فى المراكز التنفيذية تدخلت البعثة العسكرية السوفيتية ومنعت ابعاد المزيد من الضباط الاكفاء • وفى الحقيقة فان البعثة أصرت على أن بعض من نجحوا فى الدراسات السوفيتية للتدريب،

أو من ابدوا كفاءتهم أن يجرى اعادتهم الى مناصبهم وبهذه الطريقة تم تجنب حدوث ـ انهيار كامل فى هيكل القيادة والتنفيذ فى السلاح الجوى ٠

وكانت واحدة من الاخطاء الرئيسية تتمثل فى تركيز طائراتهم بطريقة مكشوفة فى عدد قليل من المطارات تقع تحت طائلة اسرائيل ، ومن ثم كانت المرحلة الاولى هى انقاذ ما يمكن انقاذه من الطائرات وأية طائرة أمكن انقاذها أو تصليحها كان يجرى ارسالها الى مطارات لا تقع تحت طائلة اسرائيل أسوة بباقى الطائرات الصالحة للطيران ٠ وكذلك الحال بالنسبة للطائرات التى كانت قد حولت بسرعة الى اليمن فى صناديق لم تفتح فى حرب يونيو فقد تم اعادتها الى مصر ٠ ووصلت الى مطار القـاهرة الدولى التعويضات السوفيتية من الطـائرات ومعظمها من طائرات ميج ٢١ س ، وقد ذهبت التقديرات الاسرائيلية الى أنه حتى نهاية أغسطس كان ٦٠٪ من خسـائر مصر من الطائرات فى حرب يونيو قد جرى التعويض بدلا منها ، والتى تبلغ فى عددها ٢٠٠ طائرة وكنها بالتأكيد تشمل تلك الطائرات التى وردت فى صناديق والتى كانت قد وزعت مؤقتا الى اليمن ٠ وبعدئذ هبطت امدادات الطائرات حتى بلغت مرحلة التوقف تقريبا ، ولربما تصور الروس أنه لا محل لارسال مزيد منها حتى يتم تدريب الطيـارين المصريين على الطيران بها ، وكذلك الى أن تتوفر الاعداد ـ الكافية من الطيارين ٠

وكان المصريون قد فقدوا خمسة مطارات حين جرى دفعهم من سيناء ولم يبق لديهم سوى ٢٠ مطارا فى مصر يقع ثلثاها تحت طائلة الاسرائيليين، وتم وضع الخطط لاقامة نحو ١٥ مطارا آخر تقع أساسا فى منطقة الدلتا ووادى النيل ٠ وصارت الخطة الآن هى بناء حظائر من الاسمنت لكل طائرة على حدة حيث تبقى كل طائرة فى حظيرتها اذا لم تكن فى مهمة بالجو ، غير أن هذا قد استغرق بطبيعة الحال عدة شهور لاستكماله ٠ وقد تم انشـاء خمسة ممرات طوارىء جديدة للطائرات ما بين القاهرة والاسكندرية وذلك برصف الاحتياطى المركزى للطريق المزدوج للحمولات بالاسفلت ٠

وحتى يتسنى معالجة النقص الشديد من الطيارين المصريين فقد جرى اعداد دراسات مكثفة فى كل من الاتحاد السوفيتى ومصر لتدريب المزيد منهم ٠ وخـلال بضعة أسابيع كان قد أمكن عقد دورات تدريبية لنحو ثلاثمائة طيار ، غير أنه كان يلزم عدة شهور حتى يتسنى دخولهم فى أية معركة فعلية ٠ وبقيت قوة السـلاح الجوى حتى ما يقرب من المسـتوى ٢٠٫٠٠٠ غير أن عـدد الطيـارين ارتفع بثبات وأن كان ذلك ببطء ، وقد أضيف الى الباقين من حرب يونيو الطيارون الجرحى حينما تم شفاؤهم والذين انضموا الى الطيارين الجدد فى اتمام تدريباتهم ٠ وكان فى مصر ١٠٠ معلم / طيارين « من السوفيت لهذا الغرض ، بالاضافة الى ١٠٠ آخرين اندمجوا فى السـلاح الجوى فى المجالات التنفيذية والادارية ، وتدريب القدرات العملية ، وفى داخل عملية التنظيم نفسها كان يوجد هناك فـرد

سوفيتي على الأقل يعمل كمستشار لدى كل سرب جوى وفى أول يوليـو ١٩٦٧ كانت الطائرات المصرية نشطة مرة أخرى فى سماء اليمن لمسـاندة الهجوم المصرى الاخير القصير الامد ، والذى أعقبه خمود الحرب حتى حلول مؤتمر الخرطـوم ، حين فك المصريون اشـتباكهم ، وعادت كل الطائرات والطيارين الى وطنهم ليلحقوا بالسـلاح الجـوى الجديد الذى كان يجرى تشكيله ببطء ٠

وقد حثت البعثة العسكرية السوفيتية الطيارين على اتباع سـياسة الحفاظ على النفس ، تلك السياسة التى كانت تتمشى مع مرحلة الصمود من استراتيجية عبد الناصر المتضمنة أن يقف المرء راسخا ولا يعترف بالهزيمة ٠ لقد كانت مرحلة من مراحل الاصرار على البقاء ، وعلى ذلك تقـرر ابقاء السلاح الجوى فى « الخلفية » ٠ بعيدا عن العدو بقدر الامكان بينما يجرى العمل على الحفاظ والتكديس ، واعادة بناء سلاح جوى جديد لديه القدرة على هزيمة السلاح الجوى الاسرائيلى اذا حانت المعركة ٠

وكان الطيـارون من الندرة بحيث لا يتسنى التفريط فيهم ٠ وتم ابقاؤهم بعيدا عن منطقة القنـاة ومنعهم من القيـام باعتراض أية طائرة اسرائيلية مما كان يمر احيـانا بالاجواء المصرية عقب حـرب يونيو مباشرة لاظهار حريتهم فى التجول فى سماء مصر ٠ ومن ناحية أخرى فان الطائرات الاسرائيلية كانت تتقيد بالطيران فوق منطقة القنـاة عموما ، وتبتعد عن الدلتا والقاهرة ووادى النيل ٠ وفى مستهل شهر ديسمبر ١٩٦٧ قدم الى القاهرة سرب من الطائرات السوفيتية مكونا من ١٠ طائرات قاذفة من طراز تى يو ـ ١٦ للمساندة ، وبقيت لبضعة أيام مما ألمح الى الاسرائيليين الى أن القوة الجوية السوفيتية موجودة فى الافق ، وأن لديها القدرة على التدخل اذا اقتضى الأمر ٠ وفى شهر ابريل من العام التالى زار القاهرة سرب سوفيتى آخر لنفس الغرض ثم تبع ذلك زيارات مشابهة فى تواريخ لاحقة ٠

وعلى الرغم من الهزيمة الساحقة ، فان الروح المعنوية لدى الطيارين المصريين ظلت ثابتة وشعر كثير منهم بأنهم لم تسنح أمامهم أية فرصة لاثبات وجودهم ٠ وقبل حرب يونيو كانت روحهم المعنوية وثقتهم فى أنفسهم عالية كما أن المعلمين السوفيت كانوا يمتدحون كفاءتهم ، ولم يكن ثمة سـبب يدعوهم لقبول فكرة أنهم أدنى كفاءة عن غيرهم مما عمل على ابقاء روحهم المعنوية فى هذا الارتفـاع ٠ بيد أن قليلا من الطيارين المصريين المغامرين قاموا بطلعات الى منطقة القناة فى أوقات كان يجرى الظن أنها مخالفة للاوامر الا أنه ينبغى الثناء على شجاعتهم هذه فى مواجهة التفوق المشهور للسـلاح الجوى الاسرائيلى ٠ وفى الرابع من شهر يوليو ١٩٦٧ أعلن الاسرائيليون أنهم قد أسـقطوا طـائرة كانت تحلق على ارتفـاع منخفض بالقرب من بور توفيق كما طاردوا أخرى بالنيران المضادة للطائرات ٠ وفى اليوم الثامن من الشهر ظهرت أربع طائرات مصرية من طراز ميج على الشاطىء الشرقى

للقناة ، وأعلن الاسرائيليون أنهم قد أسقطوا واحدة منها حينما كانت فى داخل المجال الجوى الاسرائيلى بتسعة أميال ، وبعد ذلك يبدو أن الطيارين المصريين قد جرى التشديد عليهم بعدم مبارحة أماكنهم ٠

وعلى العكس من ذلك ، ففى ٢٥ أكتوبر ١٩٦٧ ، فى اليوم الذى أعقب اشعال النار فى معامل تكرير البترول فى ميناء السويس للمرة الاولى من جانب الاسرائيليين مستخدمين فى ذلك مدافع المورتار الثقيلة جرى اقالة قائد السلاح الجوى المصرى لعدم انقضاض طائراته على مواقع ضرب النار الاسرائيلية ٠ كل هذا جعل الطيارين المصريين المتلهفين يشعرون بشعور أفضل ، ولربما كان ذلك ذا فائدة لهم ، وذلك أنه لو كانت أقلعت الطائرات المصرية فلربما وقعت فى كمين ، وأنقضت عليها الطائرات الاسرائيلية التى تحلق الى أعلا وتنتظر هذه الفرصة مما يجعل النتيجة النهائية خسائر أكبر بالنسبة للمصريين ٠ وجرى احلال الفريق أول مصطفى الحناوى محل قائد السلاح الجوى الذى أقيل ٠ وكانت شهرة الحناوى انه منظم جيد واداری كفء ٠

وكان اصرار مستشارى الاتحاد السوفيتي هو السبب بدرجة كبيرة فى ابقاء الطيارين المصريين بعيدا عن العمليات اذ كانوا يعتقدون أنه يجب على المصريين أن يتلقوا مزيدا من الدراسة والتمرين والعمل الشاق ، وأنه لكى يصبحوا مستعدين لتحدى الاسرائيليين فى الجو بنجاح فان الأمر يستلزم سنتين أو ثلاث سنوات ٠ وكان ذلك باعثا على التذمر بين الطيارين الذين لم يتوفر لديهم الصبر والذى بلغ ذروته فى أوائل ديسمبر ١٩٦٧ حينما تم اكتشاف ان الاسرائيليين يقومون ببناء ممر أرضى للهبوط فى سيناء بالقرب من البحيرات المره الكبرى ــ اذ رغب الطيارون فى قصف هذا الممر الا أنهم لم يحصلوا على التصريح بذلك ، وعلى ذلك فقد قاموا باضراب صامت استمر أربعة أيام ٠

ونظرا للقلق الذى اصاب الرئيس عبد الناصر من جراء توقف الامدادات بالطائرات من جانب الاتحاد السوفيتى فقد طلب حين كان فى موسكو فى يوليو عام ١٩٦٨ ــ من بين بنود أخرى ــ مزيدا من الطائرات المقاتلة ووعدوه ببعض الطائرات من طراز اس يو ــ ٧ س ٠

وقد قدر الاسرائيليون أن نحوا من ٨٠٪ من خسائر مصر فى حرب يونيو ٦٧ قد تم تعويضها بالفعل ، وأن أى امدادات أخرى سوف ترفع قوة السلاح الجوى المصرى الى مستواه قبل حرب يونيو الذى كان ٤٥٠ طائرة مقاتلة ٠

وباشر السلاح الجوى المصرى طلعاته المعتادة ، من أجل الاغراض الاستكشافية بصفة أساسية والتي تسببت عنها اشتباكات عرضية بين الطائرات المعادية ٠ وفى الواحد والثلاثين من شهر أكتوبر ١٩٦٨ على سبيل المثال وفى اليوم التالى للغارة الاسرائيلية على نجع حمادى اشتركت طائرتان

من طائرات الميج المصرية فى قتال جوى مع طائرتين اسرائيليتين من طراز ميج ـ فوق القناة ، وادعى كل من الطرفين بأنه قد اسقط واحدة من طائرات الطرف الآخر والذى قام كل بدوره بانكار حدوثه . وبعد هذا قامت طائرات الميج بطلعات تدريبية فوق القاهرة على فترات ولم تظهر أية طائرة اسرائيلية .

ولقد تسببت الغارة على نجع حمادى فى ايجاد قلق تجاه تأمين السد العالى والمدن وأعمال الرى فى وادى النيل الاعلى حيث يسكن نحو ثلثى السكان ويرتبطون بمهنة الزراعة حول الشريط الضيق من الاراضى القابلة للرى على كلا جانبى النهر . وعلى ذلك فان التدمير الشديد للقنوات وللسدود المتحكمة فى المياه يمكن أن يضع حياة الافراد والممتلكات فى موضع الخطر على نطاق واسع . وقد أمكن التحقق من وجود ثغرات فى الدفاعات الجوية المصرية التى كانت هى نفسها غير معصومة كما حدث حين أمكن الطائرة الاسرائيلية من الطيران تحت مستوى الاشعاعات الرادارية الدفاعية أن تصل الى ما حققته لنفسها من أهداف . وتم بناء دفاعات حول سد أسوان تضمنت صواريخ سام ـ ٢ س ، ومدفعية موجهة بالرادار من عيار ٥٧ مم ـ مضادة للطائرات بعضها كان يقوم الروس بتشغيلها . وكان أمل المصريين أن هذا سوف يردع الاسرائيليين عن الهجوم فى حالة أن يتسبب ذلك عن اصابات بين السوفيت ومن ثم ينغمسون فى حدث عالمى . وأخيرا تم اضافة صواريخ من طراز سام ـ ٣ س يديرها السوفيت الى الدفاعات التى كانت موجودة حول سد أسوان ، تلك الدفاعات التى كان مفهوما أنه فى مقدورها من الناحية النظرية أن تسقط الطائرات من أنواع الميراج والفانتوم التى يقودها طيارون اسرائيليون .

وكان الرئيس عبد الناصر قد شن حرب الاستنزاف فى أوائل ربيع عام ١٩٦٩ حين صرح بالبدء باطلاق السدود الكثيفة من نيران المدفعية وبغارات رجال الكوماندوز عبر القناة مما خفف من عدم الصبر الذى كان سائدا فى القوات الجوية نوعا ما . وعلى الرغم من أن الروس لم يعتقدوا بأن القوات الجوية قد أصبحت بعد جاهزة لملاقاة الاسرائيليين فان عددا من الطلعات كان يجرى السماح بها فى منطقة القنال ابتداء من شهر مايو مما أسفر عنه بعض الاشتباكات التى لم يكن فى المستطاع تجنبها . وفى اليوم الرابع والعشرين وعلى سبيل المثال نشبت معركة جوية قرب القنطرة وادعى كل من الفريقين ادعاءات متضاربة . فقال المصريون أن ثلاثة تشكيلات من الطائرات الاسرائيلية حاولت الدخول فى المجال الجوى المصرى الا انها ردت على اعقابها بعد أن تكبدت طائرة اسرائيلية تم تدميرها ، فى حين قال الاسرائيليون أن تشكيلين مصريين حاولا عبور القناة وأن طائراتهم تصدت للتشكيلين وأسقطت منها طائرتين أثناء القتال وأن أحد صواريخهم من طراز

هوك قد أصاب الثالثة . وان الصاروخ هوك أصاب الطائرة الميج ــ ٢١ التى كانت تطير على ارتفاع ٢٢٫٠٠٠ قدم ويكون هذا الصاروخ بذلك قد اصاب طائرة من هذا النوع من الطائرات للمرة الأولى .

أما فى شهر يونيو فقد كان هناك أشتباك آخر فوق خليج السويس ففى اليوم الثانى من هذا الشهر وفى معركة استمرت ٢٠ دقيقة قال الاسرائيليون ان طائراتهم تمكنت من اسقاط اربع طائرات ميج مصرية فى حين أدعى المصريون بأنهم اسقطوا طائرتين اسرائيليين بينما عادت كافة طائراتهم الى قواعدها سالمة . وفى اليوم السابع عشر من هذا الشهر ارسل الاسرائيليون بضع طائرات قليلة لتمر فوق القاهرة بمثابة تحذير وتذكرة للمصريين عن مدى ما يمكن أن تصل ذراعهم اليه ، وبالفعل فقد كان هذا التحذير هو الاول من نوعه منذ حرب يونيو مباشرة غير أنهم رحلوا حين تلكأ المصريون فى اقلاع طائراتهم الميج .

وفى أواخر الشهر ، فى يوم السادس والعشرين ادعى الاسرائيليون بانهم اسقطوا اربع طائرات ميج مصرية ، فى حين قال المصريون أنهم اسقطوا طائرتين اسرائيليين ، ذلك القول الذى جرى انكاره . وفى اشتباك آخر فى السابع من شهر يوليو قال الاسرائيليون أنهم تمكنوا من اسقاط طائرتين ميج ــ ٢١ من جنوب شرم الشيخ ، وفى حين اعترف المصريون بالمعركة فقد أنكروا حدوث أية خسائر .

وهذا يعود بنا الى المعركة الجوية فى العشرين من يوليو ١٩٦٩ ، فعلى الرغم من أن الرئيس عبد الناصر قدم لأمته صورة وردية لهذه العملية ففى اليوم الرابع والعشرين أقال كلا من الفريق مصطفى الحناوى قائد السلاح الجوى والفريق محمد على فهمى قائد السلاح للدفاع الجوى وأحل محلهما الفريق أول على بغدادى والفريق أول حسن كامل بالترتيب. وكانت التفسيرات لهذين التغييرين الكبيرين فى المناصب هو أنه فى حين كان يجرى النظر الى الحناوى وفهمى بصفة منظمين أكفاء فانهما قد أكملا المهمة المنوطة بهما وهى فى الاساس اعادة تشكيل السلاح الجوى والدفاع الجوى وأنه قد حان الوقت لاحلال البديل الذى يزكى روح القتال فى هذين السلاحين ليكونا جاهزين للمعارك التى أصبحت وشيكة . وما ان حل منتصف عام ١٩٦٩ حتى كانت مصر قد امتلكت ٣٥٠ طائرة مقاتلة . وكلها من النمط السوفيتى الجارى ، معظمها حديث جدا مما جعلها فى مصاف ما لدى اسرائيل من حيث عدد الطائرات تقريبا . وعلى الرغم من أن التقديرات تتباين قليلا ، ويرجع ذلك أساسا الى البطء فى التسليم مع ثبات المعدل بالنسبة لتسليم نوعيات معينة من الطائرات لتكون فى متناول الطيارين المصريين المدربين بالفعل لكى يطيروا بها ، واذا قسمت الى نوعياتها فربما تكونت من ١٠٠ ميج ــ ٢١ س ، ١٢٠ ميج ــ ١٧ س ، ١٩ س ٨٥ من طراز اس يو ــ ٧س ، ١٥ من طراز كى يو ــ ١٦ س ثم ٣٠ من طراز آى ال ــ

٨٢ص • وليس من الضرورى أن يكون المرء مغرقا فى استيعاب خواصها التكنولوجية ، الا أن ملخصا مختصرا حول أوصافها وقدراتها الخاصة يعتبر أمر ذا فائدة • فسلسلة طائرات الميج (١) أصبحت تطويرا من طائرة الميج ـ ١٥ ، وهى طائرة ذات مقعد واحد نفاثة مقاتلة والتى كان أول ظهورها فى الجانب الشيوعى فى حرب كوريا عام ١٩٥٠ • وطائرة الميج ـ ١٧ كانت نسخة معدلة ومحسنة ، جرى تزويدها بمدفعين من عيار ٢٣مم، الا أن الطائرة ميج ـ ١٩ صارت أسرع حيث صار لها محركان وزودت بمدفعين من عيار ٣٧ مم وآخرين من عيار ٢٣ مم والاولى من نوعها الى أنها تطير بأعلى من سرعة الصوت فى الطيران المستوى • وكانت الميج ـ ٢١ هى أحدث ما لدى المصريين من مقاتلات اذ كانت تحمل بالاضافة الى المدفع صاروخين جو ـ جو زنة ١٥٠ رطل كما أن مداها لنحو ميلين وجهاز توجيه بأشعة تحت الحمراء يشبه الى حد ما فى الاداء نظيره الامريكى من طراز « سايد ويندر » • وكانت الميج ـ ٢١ تعتبر المقابل الفنى لما لدى الاسرائيليين من طراز « سوبر ميستين » • وعلى الرغم من أن طائرات الميج سريعة ولها قدرة عالية على المناورة فانها تعتبر ذات مدى قصير جدا فالميج ـ ٢١ نها مدى يبلغ ٢٠٠ ميل وباقى موديلاتها الأخرى أقل من ذلك ، وهذا يعنى أن هذا النوع من الطائرات ينبغى أن يوضع قريبا من أرض المعركة وأن مدة بقائها فى الجو محدودة أيضا • وقد طالب عبد الناصر بطائرات الميج ٢١ ـ جى المحسنة وكذلك بآخر موديل وهو ميج ـ ٢٣ لكنه لم يفلح فى تحقيق طلبه •

أما طائرات اس يو ـ ٧ من سلسلة سوخوى (٢) وهى الطائرة الاساسية فى تكتيكات الهجوم الجوى لدى السلاح الجوى السوفيتى ، فهى طائرة ذات مقعد واحد طويلة الجناح قاذفة مقاتلة مزودة بمدفعين من عيار ٣٠ مم وسرعتها تبلغ ١ر٥ ماخ ولها القدرة على حمل كل من القنابل والصواريخ ، غير أنه الان وقد احتلت اسرائيل سيناء فقد صارت اسرائيل بعيدة عن المتناول أما الطائرات تى يو ـ ١٦ من سلسلة التوبوليف (٣) • فهى طائرات متوسطة المدى للاستكشاف والقذف وهذا النوع من الطائرات يستطيع حمل قنابل زنتها ٢٠ر٠٠٠ رطل وطاقمها يتكون من سبعة أفراد ، ومزودة بسبعة مدافع عيار ٢٣ مم والمدفعين الموجودين بالمؤخرة يمكن التحكم فيهما اداريا ولهذه الطائرة مدى يبلغ مايزيد عن ٢٠٠٠ ميل • ونظرا لأن هذا النوع من الطائرات كان يحمل صواريخ سوفيتية جو ـ جو فان

---

(١) والاسم مركب من الحروف الاولى اسماء من مصمميها الاول وهما : ميكويان وجيروفيتش •

(٢) سوخوى ، توبوليف ، اليوشن ، انتونوف ، وميل كلها اسماء مصممى الطائرات السوفيتية •

(٣) انظر الحاشية رقم (٢) ص ٧٥ •

الاسرائيليين كانوا يخشونها كثيرا على أساس أنها يمكن أن تصل الى أى جزء من أجزاء بلادهم . أما طائرات تى يو ـ ١٦ س الثلاثين التى كانت تمتلكها مصر فى عام ١٩٦٧ فكانت الهدف الاول فى حرب يونيو ، حين تم ضربهـــا جميعا على الارض فى مطارات بنى سويف والاقصر وتدميرها .

أما طائرات آى ال ـ ٢٨ من سلسلة الاليوشن (١) فهى طـــائرات خفيفة قاذفة ذات محركين ، لها القدرة على حمل قنـــابل الى ما يصل الى ١٠٠٠٠ رطل مع نصف قطر تأثيرى داورى يبـــلغ ٨٥٠ ميلا . وقد جمعت الطائرات داخل مجموعات أسراب تتضمن ستة طائرات مقاتلة ـ اعتراضية مع طائرة الميج ـ ٢١ س وأربع مقاتلات من طراز الميج ـ ١٩ س ، واثنتين من المقاتلات من طراز الميج ١٧ س ، وخمسة من طائرات المهاجمة الأرضية مع طائرات اس يو ـ ٧ س ، وواحدة من القاذفات الثقيلة من نوع تى يو ـ ١٦ س ، واثنين من القاذفات الخفيفة من نوع آى ال ـ ٢٨ س .

ومن الطائرات الأخرى التى امتلكتها مصر وتستحق الذكر ولم تدخل ضمن عدد الـ ٣٥٠ طائرة الحربية التى لديها نحو أربعين طائرة آى ال ـ ١٤ س وهى طائرات نقل خفيفة تحتوى محركاتها على مكابس وتقوم بنقل ستة أفراد أو ١٣٠٠ رطلا من البضائع ، وكذلك نحو ٢٠ طائرة أنتيونوف ـ ١٢ س ـ من سلسلة طائرات الانتيونوف ، وهى طائرة نقل تستطيع نقل ٤٤٠٠٠ رطل أو ١٠٠ من الجنود ولها مدى يبلغ ١٠٠٠ ميل كما يمكنها حمل المركبات ، أما بالنسبة لمجال التدريب فقد كانت هنـــاك ١٥٠ طائرة قديمة مكونة أساسا من طائرات الميج ، وكانت هنـــاك طائرات رسال ، ودفلن من طائرات التدريب ومن الجدير بالاشارة اليه أنه من الصعب بوجـه عام تقدير نصف قطر العمل أو الاثر الذى تحدثه طائرة من الطـــائرات وعلى الاخص القاذفات وطائرات الهيليوكوبتر ذلك أن الامر يتوقف بدرجة كبيرة على حمولتها الفعلية ، وعلى تلك العوامل المتعلقة بما اذا كان هناك مســـتودع اضافى للوقود فوق الطائرة أو مثبتا تحت الاجنحة . غير أن المدى الذى يذكر عادة هو بالنسبة للحمولة الفعلية دون احتساب لمستودعات الوقود الاضافية محسوبة الى الهدف الواقع فى الطرف النهائى من القاعدة .

وكان لدى مصر أيضا نحو ٧٠ طائرة هليكوبتر من مختلف الانواع من سلسلة ميكايل الى ميل (١) وكانت الطائرة ام آى ـ ١ من أولى الطائرات التى وضعت تحت الاستخدام ، كما أن الطائرة أم آى ـ ٤ تستطيع رفع حمـــل صافى (دون استخدام مستودعات اضافية للوقود) يبلغ ٣٨٠٠ رطل أو ١١

---

(١) انظر الحاشية رقم (٢) ص ٧٥ .

جنديا ولهـا نطاق يبلغ ١٥٠ · في حين أن الطائرة أم آى ـ ٦ وهي أكبـر هيليوكوبتر في العالم فتستطيع نقل حمل صافي قدره ٤٠٫٠٠٠ رطل كمـا تتمكن من حمل ٧٠ جنديا ، ولها طاقم مكون من خمسة أفراد ولها نطاق يبلغ ٢٠٠ ميل ، غير أن الطائرة أم آى ـ ٨ وهي هيليوكوبتر ناقلة لها القدرة على حمل ٢٨ جنديا كما أن لها حمولة صافية تبلغ ٦٫٦٠٠ رطل ونطاقا يبـلغ ٢٤٠ ميلا ·

ولقد بنى الدفاع الجوى المصرى حول مدفعية مضادة للطائرات وبطاريات من الصواريخ سام جرى التنسيق بينها عن طريق الرادار ·

أما بالنسبة للأسراب الستة من الطائرات ميج ـ ٢١ الاعتراضية المقاتلة منظرا لأنه من غير الممكن أن يكون المصريون أقوياء في كل مكان فقد عملوا على تركيز مصادرها حول القاهرة والاسكندرية والدلتا وسد أسوان · على أن يجرى التعامل مع الهجوم الجوى ذى الارتفاع المنخفض بالمدفعية المضـادة للطائرات التى كانت تشمل الانواع السوفيتية الحديثة من عيار ٣٧ مم ، ٥٧ مم ، ١٠٠ مم وأكثرها يدار بالرادار وبعضها له ماسورتان وبعضها له القدرة على اطلاق النار الى معدل يبلغ ١٨٠ جولة فى الدقيقة الواحدة على مدى يبلغ ١٠٫٠٠٠ قدم ·

وكانت صواريخ سام ـ ٢ (١) العمود الفقرى للدفاع الجوى للاتحـاد السوفيتى العادى · وصممت هذه الصواريخ لمطاردة وقتال الطـائرات التى تطير بعلو متوسط أو عال · وهى صواريخ من مرحلتين تحمل رؤسا عاليـة التفجير يبلغ زنتها ٢٨٨ رطلا ، ولها مدى يبلغ نحو ٢٨ ميلا وحـد أعلى نحو ٦٠٫٠٠٠ قدم · وكان الهدف يجرى حصره عن طريق الرادار ثم لدى هذا الصاروخ جهاز توجيه أوتوماتيكى محكوم بالراديو · ولم يكن هـذا الصاروخ ذا كفاءة عالية جدا ضد الطائرات السريعة أو التى تطير على ارتفاع منخفض ذلك أن سرعته فى مغادرة قاعدة ارتكازه وسرعة عجلته بعد انطلاقه لم تكن بالدرجة التى تمكنه من ذلك · ولم يبرهن سام ـ ٢ على فعاليته ضد الطائرات الاسرائيلية فى حرب يونيو كما أن نتائج تشغيله فى حرب فيتنام كانت مخيبة للآمال · ومنذ حرب يونيو لم يتم توريد الكثير منها لمصر ، وعندما حل منتصف ١٩٦٩ كانت قد حصلت على ٢٠٠ منها أو أكثر قليلا · وكانت هذه الصواريخ تحت رئاسة منفصلة ، تحت الادارة السوفيتية بوجه صارم · اذ أن المستشار السوفيتى فى البطارية كـان يتحكم فى الصمام الكهربائى

---

(١) سام تعنى أو هى مكونة من الحروف الانجليزية الدالة على صواريخ من السطح الى الهواء · والاسـم أو العلاقة السوفيتية للصواريخ هى فى ٧٥٠ فى كى · اما هذا الاسم بالنسبة للنظام كله فهو فى ٧٨ اس · أم · اما الاسم الكودى بالنسبة للناتو (حلف شمال الاطلس) فهو « جايد لاين » ··

للاطلاق ، وذلك على الرغم من أن الطاقم يقوم بتشغيله وصيانته أفراد مصريون ٠٠ وكانت صواريخ سام قد تشكلت فى ٢٥ بطارية كل منها عبارة عن ست قواعد اطلاق وتم انتشارها حول القاهرة ، والاسكندريه وبعض المطـــارات الكبرى المعينة مثل غرب القاهرة ، وانشاص ، والسد العالى ، ومنطقة القنال ومن جهة أخرى فان سام ـ ٢ يتمتع بالحركة فـوق قواعـد اطـلاقه الا أنه لا يتسنى اطلاقه وهو فى حالة حركة وكانت أفضل طريقة لتشغيله هـو من قاعدة دائرية خرسانية والتى كانت بدورها معروفة بوضـــوح للطـائرات الاسرائيلية ٠ وقبل حرب يونيو مباشرة كان لدى مصر نحو ١٥٠ من صواريخ سام ـ ٢ منتشرة على نحو ثمانية عشر موقعا ٠ وكان هناك موقع منها فى سيناء وتم للاسرائيليين الاستيلاء عليـــه سليما لم يمس ، وطبقا لذلك صـــــار الاسرائيليون معتادين عليه ٠

لقد تمكنت القوات الجوية الاسرائيلية التى بلغت مرحلة عاليـــة من التدريب ، والتى ينظر اليها الاسرائيليون على اعتبار انها مفتاح انتصاراتهم فى حرب يونيو ، تمكنت من هزيمة السلاح الجوى المصرى فى خلال ساعات ، ودمرت سلاح الجو الاردنى فى ساعة ، وأصابت تلك الاسلحة الجوية الخاصة بسوريا والعراق بالضرر ذلك أنها ابتعدت عن المعركة ٠ وفى بداية الحـرب كان لدى الاسرائيليين نحو ٤٥٠ طائرة من كافة الأنواع ، منها ٣٥٠ كانت طائرات حربية ، وفى خلال الحرب فقدت اسرائيل ٤٠ طائرة ٠ ومنذ ظهـور هذه الدولة الى الوجود فانها قد مرت بتجارب شديدة الصعوبة فى محـاولة الحصول على الطائرات وفى بناء سلاحها الجوى ، ولم تلق اسرائيل بغيتهـا الا حين وجدت فى فرنسا حليفاً عام ١٩٥٨ (والتى كانت منغمسة بعمق فى الاضطرابات التى عمت الجزائر) وربما كان ذلك أيضا نظرا لأن مصر كانت تساعد مثيرى هذه الاضطرابات ٠ وعلى ذلك أمكن لاسرائيل أن تحصل على الطائرات الفرنسية الصنع ببعض الاعداد ومن ثم أمكنها توسيع نطـــاق قواتها الجوية الى حجم يكفى لمتطلبات دفاعها ٠ وفى بداية حرب يونيو كان لدى اسرائيل نحو ٢٠ طائرة سوبر ميستير وكذلك ٤٠ « ميستير مارك آى فى آى ، ٧٣ طـــائرة ميراج مارك آى آى آى جى ، ٤٨ « أوراجان » ، ٦٠ فوجا ماجستير ، ٢٥ « فـــاتور آى آى اس ، ٢٠ نوراتلاس » وستراتوكروزر كحاملة للطائرات ، ونحو ٢٥ هيليوكوبتر ٠ ومعظم الطائرات كان لها مدى يبلغ ٤٠٠ ميل أو أقل وكان قد جرى تجميعها فى ١٣ سربا منها أربع طائرات اعتراضية ، وخمس قاذفات مقاتلة ، واثنتان للنقل واثنتان هيليوكوبتر ٠

لقد كانت الطائرة الاوربية الغربية الاولى التى تطير فى مستوى أفقى بسرعة تفوق سرعة الصوت هى الطائرة « سوبر ميستير » اذ كـــانت أسرع وأحدث طائرة تمتلكها اسرائيل وكان يجرى اعتبارها المضاهى الفنى لطائرة الميج ـ ٢١ ٠ ولكونها مقاتلة ـ قاذفة فقد زودت بالصواريخ ، وتستطيع حمل مستوعات من النابالم ومزودة أيضا بمدفعين عيار ٣٠ مم ٠ أما الطائرة ميستير

آى فى آى فكانت أقدم (توقف انتاجها فى فرنسا منذ ١٩٥٨) نفــاثة ـ « تيربو » وهى مخصصة للهجوم الارضى وتحمل كلا من القنابل ومستودعات للنابالم · ومزودة بمدفعين من عيار ٣٠ مم · أما الطائرة الآلية للزوال نظرا لقدم العهد بها فهى « الأراجون » وهى أقدم قاذفة مقاتلة فى الخدمةالاسرائيلية وكانت مزودة بأربعة مدافع ٢٠ مم ولها القدرة على حمل شحنة من القنـابل تزيد على ٢٫٠٠٠ رطل · أما طائرات الفاتور ذات المحركين والمقعد الواحـــد والتى تطير فى كافة الاجواء وتعمل فى مهمات متعددة ، وتعتبر مهاجمة أرضية أيضا فكانت لها القدرة على حمل شحنة من القنابل وتبلغ٤٫٠٠٠رطل وكانت أيضا عتيقة نسبيا · كما أن الميراج مارك آى آى اس ، ذات المقعد الواحد فقد كانت أول ما جرى توريده الى اسرائيل عام ١٩٦٣ · وكانت هى الطائرة الاعتراضية الاسرائيلية الوحيدة التى لهـا قدرة على تحدى الميج ـ ٢١ س · وكانت ذات أجنحة على هيئة (دلتـا) وهى تطير أسرع من الصوت ـ كمـــا أنها مقاتلة متعددة المهمات مزودة بمدفعين عيار ٣٠ مم · وسرعتها ٢٫١ ماخ لهـا قدرة على العمل من ممرات جوية قصيرة وغير ناعمـــــة ·· أما (الفوجا ماجستير) التى جرى تجميعها فى اسرائيل فلها مقعدان أحدهما خلف الاخر للمدربين ، فقـد جرى تقويتها وتعديلها لتحمل القنـــابل ، والصـــواريخ ومستودعات النابالم ، وتم استخدامها فى أدوار المساندات الأرضية · بالاضافة الى ذلك فقد كانت هناك صواريخ فرنسية فى الخدمة لدى الســـلاح الجوى الاسرائيلى · أحدهما كان صاروخ ماترا آر ٥٣٠ جو ـ جو ، محمل برؤوس زنتها ٦٠ رطلا عالية التفجير · ولها مدى ١١ ميلا كما زودت بجهاز توجيه بالأشعة تحت الحمراء التى كانت التسليح العادى لكل من الميستير والميــراج والفاتور ·· وكان الآخر هو فورد آى اس ٣٠ وهو صـــاروخ جو ـ أرض له رؤوس عالية التفجير نحو ٥٠٠ رطل مزود بجهاز توجيه حرارى ··

ومن بين الطائرات الأخرى التى جرى ذكرها ، طائرة (النور اتلاس) ، و (الفونس ـ نورد ٢٥٠١) ، وكانت طائرة نقل متوسطة لهـا القدرة على حمل ٤٥ جنديا كما يمكنها حمل مركبات من خلال باب خلفى · وكانت طائرة ستراتوكروزر الامريكية ، والبوينج ٣٧٧ قادرة أيضا على حمل الافـراد أو الشحنات · أما طائرات « السوبر فريلون » ، و «الفرنش سد ٣٢١» فكانت أيضا طائرات متوسطة الحجم ، أو طائرة هيليوكوبتر للأغراض العامة مثلا ، لها القدرة على حمل حمولة صافية قدرها ٩٫٠٠٠ رطل ، أو ثلاثون جنـديا ولها طاقم من فرد واحد أو اثنين كما أن لها مدى يبلغ أكثر من ٣٠٠ ميل ·

وكانت طائرة (سيكورسكى) يواتس ـ ٣٤ نوعـــا محســـنا مـــن (سيكورسكى٥٥) الذى استخدم فى الحرب الكورية ، وهى طائرة هيليوكوبتر للخدمة لهـا القدرة على رفع ١٨ جنديا ولهـا مدى قدرة ٢٨٠ ميلا · وكانت هذه الطائرة تعرف أيضا باسم سيكورسكى ـ ٠٥٨ والى جانب ذلـــك فان الطائرة الفرنسية « فرنش آلوويت » كانت طـــــائرة هيكليوكوبتر صـغيرة

للاستطلاع لها حمولة صافية تبلغ ١٤٠٠ رطلا ، ولهـا القدرة على حمـل قائد الطائرة وأربعة مسافرين ولها ومدى تقل عن ٢٠٠ ميلا ٠ ومن ثم فانه يمكن النظر الى أن الطائرات التي يستعملها السلاح الجـوى الاسرائيلى فى غالبيته فرنسي الصنع ٠ أما قوة العنصر النظامي للسلاح الجوى الاسرائيلى فكانت نحو ٨٫٠٠٠ زيادتها الى ٢٠٫٠٠٠ حين التعبئة الكاملة ، ومن هـذا العدد يوجد نحو ١٫٢٠٠ طيار فى عمل منتظم ويبلغ متوسط عمره نحو ٢٤ سنة والذى كان قد بدأ صعوده فى الجو فى سن ١٨ سنة ٠ وهؤلاء قاموا بما لايقل عن ٢٤ ساعة طيران فى الشهر مقابل ما يقوم به الطيارون فى أسلحة الجو الأخرى والتى تتراوح ما بين ١٢ ـ ١٦ ساعة فى الشـهر ، وبطبيعة الحال أقل من ذلك فى السلاح الجوى المصرى ٠ وجرى التشديد على تدريبات الطيارين على الطيران المنخفض وعلى دقة اصابة الهدف بالمدفعية نحو الأهداف الأرضية ٠ أما الطيارون الارضيون فقد تخصصوا فى ايجـاد « ثقة دائرية » للطائرة ولقد أمكن تخفيض الوقت اللازم ليكون فقط نحو عشرة دقائق ٠ هذا بينما تستغرق هذه العملية فى معظم أسلحة الجو الاخرى نصف سـاعة على الأقل ولقد عمل هذا على تمكين الاسرائيليين من اضافة عدد أكبر من طلعات الطيران ٠ ومن ثم فان معدل استخدامات الطائرات كان عاليا ٠ وقام الاسرائيليون بعملياتهم من نحو ٢٠ مطارا فى اسرائيل بما فى ذلك النقب وكـانوا قد حصلوا على خمسة أخرى حينما اكتسحوا سيناء ٠ ومن ذلك الوقت كانوا قد بنوا نحو ستة ممرات أرضية للطائرات فى الصحراء بهدف دعم خط بارليف ٠

وكان لدى الطيارين الاسرائيليون نقطة تفوق ضخامة على المصريين ذلك أنهم تمكنوا من تكوين سرب أسموه (السرب السوفيتي) مكـون من خمس طائرات سوفيتية تتكون من واحدة من طراز اس يو ـ ٧ ، وثلاثة من الميج ـ ١٧ س وواحدة من الميج ٢١ ، والتى كانت تستخدم فى التدريب (لتعويد) الاسرائيليين على هذه الطائرات وقدراتها الخاصة التى سـوف يلاقونها فى العمليات ٠ فأما طائرة اس يو ـ ٧ فكان قد جرى اسقاطها فى ٢٠ يوليـو ١٩٦٩ فى احدى المعارك ، وهبطت على رمال ناعمة ٠٠ أما بالنسبة لطائرات الميج ١٧ س فان اثنتين منها قد هبطتا على الأرض الاسرائيلية بطريق الخطأ من جانب طيارين عراقيين بينما أسقطت واحدة وأمكن اصـلاحها ٠٠ وأما بالنسبة للميج ٢١ فقد أمكن للاسرائيليين الحصول عليها حين تم هرب أحد الطيارين العراقيين بها الى اسرائيل ٠

وكانت اسرائيل تمتلك صواريخ هوك (وهذا الاسم عبارة عن الحروف الاولى لـما ترجمته بالعربية ـ موجهة لكى تقتل طول الطريق) ، والتى كانت تحت سيطرة سلاح الجو ، وكل بطارية لديها ستة قواعد انطلاق ثلاثية ٠٠ وقد كان لدى اسرائيل نحو ٥٠ قاعدة انطلاق تم وضع عدد منهـا على طول سلسلة تلال بير جيفجاف ٠ وهذه الصواريخ (الهوك) التى طورها الامريكيون

فى عام ١٩٦٠ لها مدى مائل يبلغ ٢٢ ميلا ولهـا سجل حافل على ارتفاعات من ١٠٠ قدم الى ٣٨٠٠٠ قدم ، ويمكن استخدامها أيضا ضد الاهداف الارضية . وميزتها الكبرى كانت فى أن « موجتها للرادارية الدئمة » يمكن أن تميـز الصدى النابع عن الأهداف المتحركة بسرعة من « القمقمة المحيطة » العامة ..

وعلى الرغم من أن الاسرائيليين قد سيطروا عقب حرب يونيو على أجواء الشرق الأوسط ، فان الحكومة الاسرائيلية ببعد نظرها نظرت هى والقيـادة العامة الاسرائيلية الى المستقبل فكان يقلقها التعويضات من خسائر الحـرب ورغبة كل منهما فى الحصول على مزيد من الطائرات للابقاء على وضع اسرائيل المسيطر ، غير أن المستقبل فى هذا المجال بدا كئيبا . اذ أن الرئيس ديجول أثناء حرب يونيو والذى كان ينظر اليـه الاسرائيليون فى السابق على أنـه حليفهم الحقيقى وأنه من أهم مواردهم للطائرات المتقدمة قد انحاز فجأة ودون توقع ناحية العرب وأدان الاسرائيليين لتصرفاتهم وقام بوضع حظر كامل على ارسال أية أسلحة فرنسية الى اسرائيل مما أصاب الاسرائيليين بفزع شديد.. لقد طلبت اسرائيل ، ودفعت مقدما ثمن ٥٠ طائرة ميراج فى اس ، وكانوا يؤملون عليها فى تشكيل أسرابهم الاعتراضية فى المستقبل القريب.. ولكنهم فى الحقيقة لم يكتب لهم أبدا تسلم هذه الطائرات كمـا وجدوا صعوبات فى استرداد أموالهم ولم يثن الفرنسيون عن ارادتهم ، ولذلك فانه فى شهر يناير ١٩٦٨ ذهب أشكول رئيس الوزراء الى أمريكا لمحاولة اقناع الرئيس جونسون لامداد اسرائيل بالطائرات الحديثة ، وطالب ـ طبقا للتقـارير الصحفية بامداد بلاده بخمسين طائرة فانتوم ، وهى أكبر طائرة أمريكيـة متقدمة فى العمليات الحربية فى ذلك الوقت وذلك للاحلال محل الميراج التى جرى فرض الحظر عليها من جانب فرنسا .. وطلب أشكول أيضـا تزويد اسرائيـل بطائرات سكاى هوك التى كانت قد طلبتها عام ١٩٦٦ وأن يجرى الاسراع فى توريدها اذ لم يكن قد تم تسليم أى منها الى اسرائيل بعد .. غير أن الرئيس الامريكى كان مترددا ، وعاد أشكول أدراجه خاوى الوفاض غير أن جونسون على أية حال كان قد أعاد النظر ، وبعد ثلاثة شهور أخرى بدأ توريد طائرات سكاى هوك الى اسرائيل .

وطائرات دوجلاس أ ٤ سكاى هوك كانت طائرة من مقعد واحد مهاجمة قاذفة وكانت فى الخدمة مع السلاح البحرى الامريكى منذ عام ١٩٥٦ ، وقد جرى تصميمها للعمل من حاملات الاسطول البحرى ومن المطارات القصيرة . وهى مزودة بمحرك نفاث (تيربو) ومزودة أيضا بمدفعين من عيار ٢٠ مم ، ولهـا مدى ١٫٢٠٠ ميلا وتحمل القنابل والصواريخ الامريكية من طـراز سايدوئيدر (جو ـ جو) وأما الصاروخ سايدوئيدر فان له رأسا عالية الانفجار زنتها ١٠ أرطال وله مدى يبلغ ميلين وسرعة قدرها ٢٫٥ ماخ مع جهاز للتوجيه بالأشعة تحت الحمراء . أما الطائرات الأخرى الوحيدة التى حصلت عليهـا اسرائيل فى عام ١٩٦٨ فكانت نحو ٢٠ طائرة هيليوكوبتر من طراز (آجوستا ـ بل) للاستخدام العادى لها ومدى يبلغ نحو ٢٦٠ ميلا .

ثم أعاد الرئيس جونسون النظر مرة أخرى ، ففي ٩ أكتوبر أعلن في أمريكا عن أن المفاوضات سوف تبدأ لبيع طائرات الفانتوم الامريكية لاسرائيل وهذا القرار قد جعل الرئيس عبد الناصر يستنتج أن أمريكا قـد قررت أن تضع عبء لدفاع مباشرة على اسرائيل وأنها بسبيلها لأن تتصل من ضمانات الأربعة الكبار لمنطقة الشرق الاوسط • غير أن الامر لم يكن كذلــك •• ان الامر كان ببساطة أن الرئيس جونسون قد أجل التصريح ببيع الفانتوم لعدة أشهر أملا منه في أن يمتنع الاتحاد السوفيتي هو الأخر عن امداد الاسلحة لمصر وباقي دول منطقة الشرق الاوسط من العرب •

وكانت طائرة ماكدونيل اف ــ ٤ ب « الفانتوم » متعددة المهــام ذات المحركين ، ذات المقعدين ، قد دخلت الخدمة في السلاح البحري الامريكي في عام ١٩٦٢ • وكانت لهــا القدرة للطيران بسرعة ٤ر٢ ماخ ويمكنها العمل على ارتفاع ٠٠٠ر٧١ قدما ، وتحمل سبعة أطنان من القنابل ، أو الصواريخ أو النابالم أو مستودعات الوقود الاضافية • وبالاضافة الى ما زودت به من مدفع عيار ٢٠ مم فانها تحمل صاروخا من طراز سبارو « جو ــ جو » الذى له موجة مستمرة وجهاز توجيه « نصف نشيط » من الرادار ، مع قدرة خاصة للعمل في كل الأجواء المناخية ، وكل الارتفاعات وله مدى يبلغ ثمانية أميال وسرعة تبلغ ٥ر٢ ماخ ويزن ٦٠ رطلا • وقد أظهرت تجربة فيتنام بأن هذه الطائرة تستطيع أن تمتص الأضرار الثقيلة ومع ذلك تعود الى قواعدها • وفضلا عن ذلك فان الفانتوم كانت تحمل صاروخا مضادا للرادار من طراز « شرايك » له محرك صلب وله مدى نحو ١٠ أميال كما أن له رؤوسا متفجرة تقليــــدية عالية التفجير •

ونظرا لأن الطائرات الهليوكوبتر الفرنسية الصنع فقد استخدمت من جانب اسرائيل في هجومها على مطـــار بيروت في ٢٨ ديسمبر ١٩٦٨ حيث أمكنهم تدمير ١١ طائرة عربية ، فان الرئيس ديجول كان قد فرض حظرا كليا على تزويد اسرائيل بالاسلحة مما أسفر عن فشل نهائي في الحصول عــلى الخمسين طائرة ميراج أيضا وعلى ثلاثة طائرات هيليوكوبتر ، فضلا عن قطع غيار وتجهيزات اليكترونية كانت قد طلبتها اسرائيل بالفعل • وعلى الرغـم من أنه من الناحية العملية كانت كافة الطائرات التى تستخدمها اسرائيل في سلاحها الجوى هي طائرات فرنسية الصنع فانها لم تكن في وضع سيىء كما كان مقدرا أن يكون الحـال ، ذلك أنه حين هـدأت حدة الحظــر المفروض في حرب يونيو في سبتمبر التالي قام الاسرائيليون بالحصول على اعداد ضخمة من الطائرات وقطع الغيار ومن ثم تجمع لهم احتياطي كبير • وكانت صناعتهم الحربية المحتلة منهمكة في نفس الوقت في صنع هذه الاسلحة • وعلى أية حال فان هذه اللطمة التى تلقوها قد خفف من آثارها التغيير الذى حل بالسياسة الامريكية ، ففي اليوم التالي للعملية التى قام بها رجال العصابات الفلسطينيين

فى ميناء أثينا الجوى (٢٦ ديسمبر ١٩٦٨) وقبل الغارة الاسرائيلية عـلى مطار بيروت بيوم واحد أعلنت الخارجية الامريكية بأن اتفاقا قد تم التوصل اليه لبيع ٥٠ طائرة فانتوم لاسرائيل وأن التسليم سوف يبدأ قبل نهاية عام ١٩٦٩ ويظل قائما حتى عام ١٩٧٠ ٠

وكان كل من السلاحين الجويين على أهبـة الاشـــتباك مع الآخر فعلى أحد الجانبين يوجد السلاح الجوى الاسرائيلى مزود بالخبرة وقد جرى اختباره فعليا فى المعارك ، يشعر بالنجاح والثقة بالروح المعنوية العالية ، وعلى الجانب الآخر يوجد السلاح الجوى المصرى أعيد بناؤه حديثا ، ولم يجر اختباره فعليا فى المعارك ، يعانى نقصا فى الطيارين ، تنقصه الخبرة ، ولربما واثقا أكثر من اللازم غير صبوره ، يتوق طياروه الى اثبات جدارتهم ٠٠

٦ ــ تدخلات القوة الجوية

« لسوف يكون من الخطأ المطلق اخفاء المساوىء فى الجيش المصرى »

برافدا ، عدد ١٣ سبتمبر ١٩٦٩

لقد ألقت القوات الجوية المصرية بنفسها على السلاح الجوى الاسرائيلى محاولة منازلته فى القتال على مدى أسبوع فقط ٠ فبعد الهجوم المبدئى فى ٢٠ يوليو حدث الاستقبال التالى الكبير فوق القناة فى الرابع والعشرين من يوليو حينما اغارت الطائرات الاسرائيلية على المواقع المصرية ونشب قتال جوى حينئذ ٠ وبعد انتهاء الاشتباك اعلن الاسرائيليون انهم اسقطوا سبع طائرات مصرية فى قتال جوى منذ العشرين من الشهر دون أية خسائر فى جانبهم ، وهذا يجعل رقم الطائرات حسب ادعاءاتهم منذ حرب يونيو الى ١٩ طائرة (١) ، فى الوقت الذى أعلن فيه المصريون انهم اسقطوا ست طائرات اسرائيلية مع اعترافهم بخسارة طائرة واحدة من طراز اس ٠ يو ٧ ٠

وفى اليوم التالى ، الخامس والعشرين حدث هناك اشتباك آخر بين الطائرات فوق القناة حين انطلقت الطائرات المصرية لملاقاة الطائرات الاسرائيلية التى كانت تقوم بمهاجمة الدفاعات الارضية وتطور القتال ٠ وبعد الظهر قام تشكيل من الطائرات المصرية باختراق مجال سيناء الجوى حيث وجه بمقاتلات اسرائيلية وصواريخ هوك ٠ واطلقت الدعاوى المضادة كما هو معتاد ، غير ان المصريين فكوا اشتباكهم مرة أخرى ٠ واثناء اليومين التاليين كانت هناك عدة غارات متكررة على المواقع المصرية بطول القناة ، ولم تبذل سوى محاولة واحدة جوية من جانب المصريين لاعتراض طائرات العدو وفى الثامن والعشرين من الشهر حينما قامت الطائرات الاسرائيلية بمهاجمة بور توفيق ، اعلن المصريون تمكنهم من اسقاط احدى الطائرات ٠

وعلى الرغم من اشتداد النشاط فى السلاح الجوى المصرى حتى الايام الأخيرة من شهر يوليو ، ثم بعد ذلك تحقق هذا السلاح أنه قد خسر الثلاث أو الاربع معارك الرئيسية التى تمت فى الجو ضد الاسرائيليين وعلى ذلك فكت القوات المصرية اشتباكها لتلق جراحها واعادة النظر فى تكتيكاتها وفى ٣١ يوليو قال موشى ديان فى التليفزيون ان المصريين قد أدركوا أخيرا عدم قدرتهم على احراز التفوق الجوى الذى كانوا يستهدفونه من أجل تغطية هجوم على نطاق واسع ، وان تهديداتهم قد صارت أقل خطورة وأنها صارت

---

(١) وهى عبارة عن ٥ ميج ــ ١٧ س ، ١٠ ميج ٢١ س ، ٤ اس يو ــ ٧ س ٠٠

توجه باقتناع أقل عمـــا كانت عليه في السابق • وعلق ديان بقـــوله «ن الطائرات المصرية تتمركز في قواعدها التي تقع بعيدا جدا عن خطوة المواجهة، غير أنها لازالت تحت طائلة اسرائيل وتنفست قيادة الاركان حرب الاسرائيلية الصعداء لأنها لم تكن متأكدة بالضبط من القدرات الخاصة بالسلاح الجوى المصرى الجـديد الذى دربه وجهـــزه السوفييت الا أنهـا الآن اقتنعت بان الاسرائيلين قد استعادوا سيطرتهم الكبرى عليها • وعلى أية حال فقد كان شهر يوليو نقطة ذروة بالنسبة للضحايا والاصابات في الجانب الاسرائيلى حيث كان هناك ٣٠ قتيلا ، ٧٦ جريحا فى جبهة القناة •

وواست الاركان العامة المصرية نفسها بالظن بأن السلاح الجوى قـد استعاد نفسه وانه صار أكثر فعالية رغم الخسائر وان أى ضربة وقائية جوية أخرى من جانب اسرائيل لن يتوفر امامها سوى ٤٠٪ من فرص النجاح ، وان المصريين قد امتلكوا الآن القدرة على « الضربة الثانية » أن البعـــد عن أرض المعارك يعنى وقتا أكثر تحديدا بالنسبة للهدف أو المعركة الجـوية • ففى المعارك الجوية كانت تطغى طائرات الميج ـ ١٧ س ، والميج ـ ١٩ س وهى أقل في درجة الكفـــاءة الفنية عن الميراج الاسرائيلية غـير ان تلك كانت سياسة الضرورة طالما كان على مصر ان تستعين بأى طيارين يتوافرون لديها ومعظمهم لم يتدربوا الا على هذين النوعين من الطائرات اما طائرات الميج ٢١ الجديدة فان طيـــاريها كانوا أقل مرتبة من الاسرائيليين رغم ان طـائرات الفريقين كانت متساوية من الناحية الفنية فى هذه الحالة مما يشير الى حاجة هؤلاء الطيارين الى مزيد من الخبرة •

لقد كان الهدف من الهجمات الجـــوية على مدفعية المصريين على طول القناة هو تخفيف الضغط على خط بارليف ، الذى لم يكن قد اكتمل بناؤه الا الى درجة ما • وكانت مواقع المدفعية المصرية حتى هذا الوقت قد جرت حمايتها حماية جيدة وتم تحصينها رغم اصابتها بين الحين والآخر وكانت هذه الاسلحة قادرة دائما على الاستمرار فى اطلاق النيران عبر الممر المائى مسببه لاسرائيل بعض الاصابات (١) وان لم يكن بنفس الدرجة • واتبعت سياسة مشابهة في شهر اغسطس ، فقد حاول الاسرائيليون تسير أية طائرة مصرية تطير فوق القناة وذلك بمهاجمة أى واحدة منها تطل بانفها وفى نفس الوقت يقوم الاسرائيليون بالاستمرار فى قصف مواقع المدفعية المصرية وكذلك الموزتاد بشدة • ولقد استفاد الاسرائيليون أكبر استفادة من فترة الراحة هذه لكى يقوموا بتقوية خط بارليف •

وعلى وجه العموم فان اغسطس كان شهرا هادئا فى الجو ، على الرغم من أنه فى معظم الايام كانت الطائرات الاسرائيلية تهـــاجم مواقع المدافع

---

(١) لقد قال الاسرائيليون فى الرابع من اغسطس ١٩٦٩ ان ١٨٩ اسرائيليا قد قتلوا فى الجبهة المصرية فى حرب يونية •

المصرية فى أى مكان على طول القناة . وفى اليوم التاسع عشر كان هناك اشتباك كبير بعد ان قام المصريون بقصف المواقع الاسرائيلية عبر القنـــاة من بور توفيق حين قامت طائرات اسرائيلية (بما فى ذلك عدد من التى تم تسلمها حديثا من امريكا من طراز سكاى هوك) قامت بقصف المواقع المصرية فى تلك المنطقة ودخلت فى العمق الى نحو عشرة أميال . وأعلن المصريون أنهم أسقطوا ثلاث طائرات واعترف الاسرائيليون بفقد طائرة سكاى هوك وأنه قد تم أسر قائد الطائرة . وعادت الدفعة الأولى المكونة من اثنى عشر طيارا اسرائيليا من أمريكا فى التاسع من اغسطس حيث كانوا يتلقون تدريبا على طائرات الفانتوم ، وفى الأيام الأولى من شهر سبتمبر وصلت أول طائرة فانتوم الى اسرائيل ، اذ جرى تقديم موعد التسليم بسبب الانقـــلاب الذى حدث فى ليبيا فى أول سبتمبر .

وخلال شهر سبتمبر نفسه ظل نموذج الحال كما هو عليه . وفى السابع من هذا الشهر أعلن الجنرال بارليف أنه منذ العشرين من يوليو حين تدخل السلاح الجوى الاسرائيلى لأول مرة على جبهة قناة السويس فان هذا الســلاح قد قام بتنفيذ ١٠٠٠ طلعة على الأراضى المصرية وأنه فقد ثــلاث طائرات فى مقابل ١٠٠ طلعة من القوات الجوية المصرية خسرت فيها هذه القوات ٢١ طائرة . وهذه الارقام كانت تشير الى أنه رغم أن المجهود المصرى أقل من عشر الجهد الاسرائيلى فانه لم يكن غير ذى معنى كلية ، غير أن الجنرال بارليف ردد رأى وزير الدفاع الاسرائيلى من أن العمليات الجوية خلال شهر يوليو قد جعلت المصريين يفطنون الى حقيقة أنهم لا يملكون القوة الجـــوية الكافية ولا الغطاء الجوى اللازم لتغطية هجوم أرضى ..

وفى هذه المرحلة كانت الطائرات الاسرائيلية تركز جهودها أساســا على مواقع الأسلحة المصرية على طول جانب القناة ، غير أنه نظرا لأن اصابات اسرائيل فى القوات الارضية قد بدأت فى التزايد فقد تحاولوا الى مهاجمة مواقع الصواريخ أيضا . وفى التاسع من سبتمبر ، على وجه المثال ، وفى واحدة من هذه الغارات ، قام الاسرائيليون بقصف جوى على قاعدة « رأس دارج » فى خليج الســويس وهى القـــاعدة التى كان يديرها السوفييت بالرادار ، وفى اليوم التالى ـ العاشر من سبتمبر أغاروا على مواقع صواريخ فى الجزء الجنوبى من القناة . أما القوات الجوية المصرية التى ظلت ساكنة لبعض الوقت فقد قامت بالرد فى الحادى عشر من الشهر حينما دخلت ١٠٢ طائرة عبر الجزء الأوسط من القناة باتجاه سيناء وقابلتها طائرات اسرائيلية مقاتلة وصواريخ من طراز هوك . ونشبت دوامة من القتـــال الجوى واستمرت هذه المعركة زهاء ساعة من الزمن حتى فض المصريون اشتباكهم وعادوا الى قواعدهم . وفى حين اعترف الاسرائيليون بعد القتال بأنهم فقدوا طائرة واحدة ، فأنهم أعلنوا أنهم أسقطوا ١١ طائرة مصرية (ثمانية أثناء القتال واثنتين بواسطة صواريخ هوك ، وواحدة بالنيران المضادة للطائرات) وقال المصريون أن لاسرائيليين قد فقدوا ثلاث طائرات فى القتـــال الجوى

وواحدة بواسطة النيران المضادة للطائرات ، غير أنهم لم يعترفوا الا بخسارة طائرتين من جانبهم • ومرة أخرى ، ففي حين أثبت الطيارون الاسرائيليون تفوقهم فأنهم رأوا أن السلاح الجوى المصرى قد بدأ أكثر خبرة • وفي الرابع والعشرين من سبتمبر كان هناك قصف شديد التركيز • قصف جوى لمناطق مختارة لمواقع الصواريخ على طول القناة • وفي مستهل شهر أكتوبر أعلن ديان عن بداية « هجوم جوى محدود يستهدف التركيز على تدمير مواقع الصواريخ وجهاز الانذار المبكر المصرى •

وبدأت طائرات اسرائيل في مهاجمة منشآت الرادار وليس فقط في منطقة القناة وخليج السويس ولكن أيضا على طول ساحل البحر المتوسط ووصلت حتى غرب الاسكندرية • غير أن المنشآت الرادار كان يجرى تعويضها بسرعة ، وما دمر منها جرى تصليحه تماما ، الا أن التقارير التى كانت ترد من الضباط السودانيين والجزائريين كانت تشير الى نجاح هذه الضربات الاسرائيلية •

ولم يسمح لأى من الاجانب بالسفر في الطريق الذى يقع للغرب من العلمين دون الحصول على اذن خاص • ومنع مرورهم أيضا في مناطق أخرى بعضها لأسباب تتعلق بالامن الحربى العادى ، غير أن الاسباب الاخرى كان يجرى الظن أنها لاخفاء مقدار الدمار الذى سببته الغارات الاسرائيلية •

وأثناء شهر أكتوبر نفذ الاسرائيليون عدة هجمات على مواقع الصواريخ والرادار ، والاشتباك مع أى طائرة مصرية يصادفونها تلك الطائرات التى بدأ أنها صارت أكثر جراة وأن كانت أقل نجاحا • وفي السادس من اكتوبر كانت معارك جوية فوق القناة ، وأدعى الاسرائيليون بأنهم أسقطوا ثلاث طائرات مصرية ، الا أن المصريين أعترفوا بفقد واحدة فقط قائلين ان طيارها قد هبط سالما • وحدثت اشتباكات كثيرة في الجو خلال اليوم التالى بما استتبعها من ادعاءات وادعاءات مضادة • وفي السابع من أكتوبر أيضا قصفت احدى الطائرات الاسرائيلية رأس الزعفرانة في خليج السويس حيث كان المصريون يقومون باعادة بناء جهاز الرادار وبعض المنشآت الأخرى التى دمرها بعض رجال الكوماندوز الاسرائيليين في احدى غاراتهم في الشهر السابق • وفي السادس عشر من الشهر أعلن الاسرائيليون من أنهم دمروا مدافع ثمانية صواريخ سام ـ ٢ منذ أول سبتمبر • وفي الرابع والعشرين قامت مجموعة من الطائرات المصرية بمهاجمة المواقع الاسرائيلية وكذلك المنشآت الاسرائيلية في منطقة الرومانى ، التى تبعد نحو ٢٠ ميلا شرقى القناة ونحو ميلين من البحر ، وجرح في هذه العملية ١١ اسرائيليا • وبعد ذلك في نهاية نفس اليوم رد الاسرائيليون مستهدفين مواقع في القطاع الأوسط من القناة ، ونشأ قتال جوى حيث حاول كل من الفريقين اسكات مدفعية الآخر ••

وفي العاشر من نوفمبر أعلن متحدث اسرائيلى بأن كافة مواقع سام ٢ على طول القناة من بور سعيد الى خليج السويس قد تم تدميرها على طول

حملة جوية استغرقت شهرين ضد هذه المواقع • وفى اليوم التـــالى كانت هناك معركة جوية فوق القناة ، أعلن الاسرائيليون أنهم أسقطوا ثلاث مقاتلات مصرية دون أية خســـائر من جانبهم ، في حين أعلن المصريون أن نفاثتين اسرائيليتين قد جرى اسقاطهما في مقابل فقدهم لطائرة مصرية واحدة • وفي مؤتمر صحفي في الثالث عشر من الشهر قال موشى ديان أنه منذ أول أبريل قام المصريون بتنفيذ ١٣ هجوما جويا على المواقع الاسرائيلية • غير أن المزيد كان في الطريق ، ففي الرابع والعشرين من الشهر قصف تشكيل مصرى من الطائرات المواقع الاسرائيلية بين القنطـرة ومنطقـة بالوظة في الطريق نحو الشرق وطبقا لما أعلنته جريدة الأهرام أن ذلك كان ردا على غارة اسرائيلية في الليلة السابقة حيث جرى اسقاط ١٣٢ طنا من القنابل في مدى أربعة ساعات • وتغيرت اللهجة التي مالت الى التغيير فالتعبير عن الهجوم الوقائي « الذى ابتدعه الاسرائيليون في يونيو ١٩٦٧ خرج من نطاق التداول وحتى لم يكونوا يتحدثون عن « الهجمات الانتقامية » مرة أخرى وأنما بدلا من ذلك صاروا يتحدثون عن « التحفز لهجـــوم مضاد » وكانت المعركة الجوية التالية قد حدثت في السابع والعشرين من نوفمبر حين قامت الطائرات الاسرائيلية بهجوم شـــديد على المواقع في القنـــاة مما استثار المصريين وجعلهم يرسلون تشكيلا من الطائرات نحو الشرق تجاه سيناء حيث قابل هذا التشكيل على بعد ٢٥ ميلا شرقي القناة ، مقاتلات اسرائيلية وتطور الأمر الى قتال في الجو ومن الطبيعي أن تصدر الدعاءات المتضاربة ، غير أن المصريين أعترفوا بفقد طائرة واحدة في القتـــال وأخرى سقطت بالنيران المضادة للطائرات • وفي الخامس والعشرين قام السلاح الجوى الاسرائيلي بأطول قصف جوى حدث حتى هذا التاريخ استمر ما يزيد على ثماني ساعات مستمرة من قصف مواقع الصواريخ والرادار التي كان قد تم بناؤها في جزام على اتساع عشر أميال في القطاعات الوسطى والجنوبية لمنطقة القناة • وأعلن الاسرائيليون عن أن كل الانشاءات الجديدة قد تم تدميرها وأن كافة طائراتهم قد عادت سالمة ، غير أنه في اليوم التالي خرجت قواتهم الجوية مرة أخرى بنفس قواتها لنفس المهمة •

وفي نهاية عام ١٩٦٩ أعلن موشى ديان أن السلاح الجوى الاسرائيلي قد حقق سيادة جوية لاتنازع بمهاجمته الطائرات التي غامرت بالدخول الى سيناء • وأن القوات الجوية الاسرائيلية قد دمرت ٢٤ للصاروخ سام — ٢ وان القوات الجوية الاسرائيلية قد دمرت ٢٤ للصاروخ سام — ٢ وأسقطت ٦١ طائرة مصرية منذ حرب يونيو مما أسهم في تخفيض معـــدل الخسائر الاسرائيلية بالنسبة لخط بارليف •• أما على الجانب المصرى فانه من التهوين أن يقال ان الروس قد أصابهم الجزع للسهولة التي تمكن بها الاسرائيليون من التحايل على صواريخهم وتدمير مواقع سام — ٢ •

وفي نفس الوقت ، كانت هناك عمليات أخرى تجرى على قدم وساق • وإذا رجعنا الى مساء يوم السابع والعشرين من أغسطس ١٩٦٩ ، لوجدنا أن

وحدة من رجال الكوماندوز محمولة فى طائرات هيليوكوبتر من نوع سوبر فريلون قد دخلت أجواء مصر الى وادى النيل الاعلى ثم هبطت الطائرة ووضعت الوحة قنابل المورتار فى مراكز القيادة المصرية فى الجهة الجنوبية فى منقباد على بعد ستة أميال غربى مدينة أسيوط ، والتى كانت على بعد ١٦٥ ميلا من المدخل الجنوبى لخليج السويس .. ولم تحدث خسائر كبيرة . وفى السابع من سبتمبر أغار كوماندوز البحرية الاسرائيلية على القواعد البحرية المصرية فى رأس السادات التى تبعد ١٢ ميلا جنوبى السويس ، وقام رجال الضفادع البشرية الاسرائيليون بتدمير اثنين من « زوارق الطوربيد » فى هـذا الميناء الصغير . ولم يتكبد الاسرائيليون أية خسائر فى هذه الغارة ولكن بعـد رحلة العودة تم مقتل ثلاثة منهم بواسطة انفجار فى احدى طائراتهم ..

وفى التاسع من سبتمبر قام الاسرائيليون بأكبر وأكثر غاراتهم جرأة فى الطرف الجنوبى من الاراضى المصرية تلك الغارة التى صاروا يشيرون اليهـا فيما بعد على أنها (حرب العشر ساعات) . ففى الساعات الاولى من الصباح أنجزت سفينة بها مجموعة مكونة من زوارق الطوربيد وطائرة تحمـل ستة دبابات وثلاث مركبات مدرعة حاملة للجنود (كلها مركبات سوفيتية الصنع من التى تم الاستيلاء عليها فى حرب الايام الستة) وعلى كل هـذه المركبات العلامات المصرية ، وأبحرت هذه المجموعة باتجاه الغرب عبر خليج السويس . وكان على ظهر هذه السفينة أيضا نحو ١٥٠ اسرائيليا من رجال الكوماندوز وكلهم يتحدثون اللغة العربيـة يرتدون الزى العسكرى المصرى . ونزلت المركبات والرجال الى البر فى منطقة (الخفاير) التى تبعد نحو ٢٥ ميـلا جنوبى السويس بعد الفجر مباشرة دون أن يشك أحد فى أمرها ، وبعد أن قامت المجموعة بتدمير تجهيزات الرادار بدأت فى التحرك نحو الجنوب على طول الطريق السـاحلى الرئيسى . وبعد أن غادروا (الخفاير) بوقت قصير التقى الكوماندوز الاسرائيليون بحاملة جنود مصرية تتقدم باتجاههم والتى دون أى قدر من التشكك جنحت الى احدى جانبى الطريق الضيق ليفسـحوا لهم الطريق للمرور بما أعطى الفرصة للاسرائيليين أيضا بالقيام بحصدهم بنيران مدافعهم الآلية وهم يسرعون الى غايتهم . وحتى ذلك الوقت كان هناك غطاء جوى فى هيئة الطائرات الاسرائيلية والذى استمر بصفة دائمة وكان لا يقل حجمه عن ٣٠ طائرة . وكان هناك دعم آخر من البحر ، فقد كانت الطائرات التابعة للبحرية تتحرك الى الجنـوب على نفس الخـط الموازى لتحركات الكوماندوز وتقوم بتسديد نيرانها الى الحراس حينما وجدوا وتدمير مراكز الحراسة والمنشئات فى طريقهم ، وفى الميناء الصغير المسـمى رأس دارج تمكنوا من اعطال تجهيزات ردارات أخرى .

وبعد الظهر اقترب الاسرائيليون من ميناء رأس الزعفرانة التى تبعد نحو ٥٦ ميلا جنوبى السويس حيث تمكنوا من تدمير مزيد من منشآت الرادار . وفى هذه المنطقة استولى الاسرائيليون على أربع مصفحات سوفيتية جـديدة كانت احداها على الأقل من نوع تى ـ ٦٢ (١) وبعد عشر ساعات من « الابرار »

على الاراضي المصرية وبعد أن دخلوا في هذه الاراضي المصرية وبعد أن دخلوا في هــذه الاراضي لمسافة تقــرب من ثلاثين ميلا ، أعاد رجال الكوماندوز الاسرائيليون الابحار الى رأس زعفرانة وقد أخذوا معهم أربع عربات مصفحة جديدة سوفيتية الصنع ، ولم يتكبد الاسرائيليون سوى جريح واحد من خلال هذه العمليات الا أنهم اعلنوا أنهم تمكنوا من قتل مالا يقل عن ٥٠ مصريا ٠

وبعد مضى بعض الوقت قام المصريون بالادعاء بطريق التزيف أنهم قــد أحبطوا عملية الانزال ، وأنهم قد أوقعوا بالاسرائيليين خسائر فادحة بما في ذلك اغراق سفينتين اسرائيليتين واسقاط ثلاث طائرات ٠٠ وكان العــذر الذي قدم لعدم انطلاق الطائرات أو تدبير هجوم مضاد على الارض هو أنهم لم يكونوا يريدون تعريض طائراتهم ومرتباتهم وجنودهم للنفاثات الاسرائيليه التي كانت تحلق في اعلى المنطقة في انتظار الانقضاض ٠

وكان أحد الأهداف الأساسية من تلك الغــــارة هو احاطة الاتحــاد السوفيتي بالدليل أنه ليس هناك أي تجهيز سرى جــديد يكون بمأمن لدى المصريين ٠ لقد أخذت المخابرات الاسرائيليه على غرة بوجود الدبابة السوفيتيه من طراز (تي ــ ٦٢ س) التي كان يطلب المصريون كميات منها وأنه قــد أرسل واحدة او اثنان منها للتجريب ، وكان المصريون قد أكدوا للروس أن هذه الدبابات سوف تكون في مأمن مطلق من الهجوم الاسرائيلي ٠ ودبابات تي ٦٢ هذه دخلت الخدمه في الجيش السوفيتي في عام ١٩٦٥ فقط ، ولم يكن قد تمكن الخبراء الغربيون من فحصها ٠ وكل ما كان معروفا عن هذه الدبابه حينذاك أنها دبابة تزن ٣٧ طن لهــا مدفع ١١٥ مم وأنها مدرعه بشدة أكثر مما يمتلكه الاسرائيليون وكانوا على قلق لاختبار مدفعها في مواجهة مالديهم من عربات مدرعة واختيار مدفعيتهم المضادة للدبابات ضـــد دروع الدبابه تي ٦٢ ٠

لقد كانت الغارة الاسرائيلية يوم التاسع من سبتمبر ســـببا في اعادة التفكير في مصر بالنظر للضعف وعدم الحصانه في جبهة مصر الجنوبيه ووادى النيل الاعلى التي تم كشف النقاب عنها بشكل مثير ٠ ودار نقـــاش لبعض الوقت بصفة مستمرة في القيادة العامة حول ما هو أفضل بالنسبة لأحــد أمرين : اما تركيز القوات المتاحة ومصادر الدفاع الجوى حول التركـــزات السكانية الكبرى مثل القاهرة والاسكندرية ، وبعض المطـــارات الحيوية ليتسنى لهــا صد أي هجوم يقع عليها بطريقة أفضـــل ، أم يجــرى توزيع الرجال والسلاح على نطاق أوسع لــكي تكون أنسب في مواقعها لمجابهـــه الضربات الاسرائيليه داخل البلاد ومن ثم ترفع درجة الثقـــة لدى الشعب ٠ وحتى يوم التاسع من سبتمبر كانت المدرسة الفكرية التي تنادي بتركيـــز الدفاعات والتي كان يشجعها المستشارون الروس (الذين كانوا تحت تأثير تقاليدهم الخاصة حين جرى الدفاع عن موسكو وباقي المدن السوفيتيةالاخرى في الحرب العالمية الثانية) ٠ وقد تمكنت وجهة نظرها من السيادة ٠ وبخلاف جبهة قناة السويس ، فقد كانت هناك قلة من المـــدن والمطارات قــد جــرى

تشديد الدفاع عليها على نفس الخط السوفيتي الذى يؤمن بتشديد الدفاعات على الجبهة وكانت النتيجة هو ترك الجوانب ، وعلى الخصوص الجانب الجنوبى مكشوفا وضعيفا ٠

والآن ، فقد تكون نوع من القلق حول سد أسوان ووادى النيل الأعلى بوجه عام ومعظمها لايزيد بعده عن خليج السويس أو البحر الاحمر الا بما يزيد قليلا عن ١٥٠ ميلا ، وعلى ذلك يكون فى متناول رجال الكوماندوز الاسرائيليين اذا ما استخدموا لذلك طائرات الهيليكوبتر بعيدة المدى وصاروا واضحا أمام عبد الناصر أنه حتى ولو لم يكن الانتشار الدفاعى هو أفضل الاستراتيجية العسكرية فى حد ذاتها ، فربما كان هو أفضل الحلول لهذه الحالة ٠

وفى الثامن عشر من سبتمبر أقال الرئيس عبد الناصر الفريق أحمد اسماعيل على من منصبه كرئيس لأركان حرب الجيش المصرى وكذلك (الأدميرال) فؤاد محمد زكرى قائد السلاح البحرى بالاضافة الى نحو ٥٠ آخرين من كبار الضباط أبتداء من رتبة عميد فصاعدا بما فيهم اثنين من العمداء البحريين ٠ اذ لم يكن مقتنعا بوجه واضح سواء بالنسبة لكل من الجيش والبحرية أم بالاحتكاك المستمر مع المستشارين السوفييت أم بانعدام التقدم بالنسبة للأسلحة الجديدة التى وصلت من روسيا ٠٠ وكان من بين من طردوا أيضا بعض من ثارت الشكوك حول الاعتماد عليهم من الوجهة السياسية من جانب وآخرين ممن كانوا مضطرين لاستخدامهم مؤقتا كدعاية أساسية فى فترة احتفاظه وتثبيت قبضة حكمه ٠

وكان السبب الرسمي لذلك هو : « منح العناصر الشابة المحبة للمباغتة وذوى العقليات العلمية من الضباط مراكز فى القيادة العليا ، وعلى الرغم أنه كان من الحقيقى أن هناك نفر من الضباط الشبان قد تمت ترقيتهم فقد كانت هناك استثناءات فى ذلك ٠

وأحد هذه الاستثناءات كان اللواء محمد صادق الذى رقى ثم عين رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة والذى كان فى سن ٥١ سنة ولا يقل عن سلفه الا بسنة واحدة ٠ وكانت مهمته هى اعادة تنظيم وتقوية القوات المصرية ، وبالخصوص تلك القوات التى كانت تنتشر بكثافة ضئيلة فى الجزء الجنوبى من البلاد وأن يعمل على ضمان ألا يتمكن الاسرائيليون من النفاذ فى وادى النيل الأعلى ولتطهير الأرض فى تلك المنطقة على وجه العموم ٠

وكان الفريق صدقى مديرا للمخابرات الحربية لثلاث سنوات ، وقبل ذلك كان رئيسا للواء مدفعية ولواء قوات ميكانيكية ، وحين عين ضابطا عام ١٩٣٩ قاد سرية من الجيش فى حرب عام ١٩٤٨ مع اسرائيل ، وكان رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة فى سيناء فى قتال عام ١٩٥٦ وحضر دراسات للضباط العظام فى روسيا ٠

وكان الفريق صادق هو الرابع فى تولى هذا المنصب الهام منذ حرب يونيو ، وكان أولهم بالطبع هو الفريق فوزى الذى صار وزيرا للدفاع والذى

(لا يزال يحتفظ بهذا المنصب) ، بالرغم من أنه يعتبر بوجه عام من بين من تنقصهم الفطنة السياسية ، وقد سيطر على القوات المسلحة وكان قد اختير على أساس ولائه للرئيس عبد الناصر أكثر من اختياره على أساس الصـــفات والقدرات الأخرى • وخلفه في هذا المنصب الفريق رياض الذى قتـــل في العمليات وكان من نفس الطراز وان كان ذا قدرة أفضل من الناحية التنظيمية •• غير أنهم جميعا كانوا ينتمون الى المدرسة القديمة التى تعـــودت الاسلحة المبسطة •• والآن قد قام عبد الناصر بتعيين أحد الضباط الذى يتمتع ليس فقط بسمعة القدرة على التنظيم وانما كذلك ذا اتجاه هجومى وربمـــا تمشى ذلك مع الأسلحة والتجهيزات السوفيتية المتطـورة في مصر • وأما بالنسبة لقائد السلاح البحرى الجديد (الدير ادميرال) عبد الرحمن الذى كان في سن الاربعين نموذجا طيبا لسياسة تقليد الضباط الشبان مناصب القيـــادة •• ذلك أن البحرية المصرية كانت بوجه خاص تتسم بالركود •

ولقد بدأ الرئيس عبد الناصر يشعر بالأمان بدرجة أكثر بالنسبة للجهة السياسية ، ففى سبتمبر ١٩٦٩ قام بابعاد على صبرى من الاتحاد الاشتراكى العربى ، وكان العذر الأسمى (لاستقالة) صبرى هو أن بعض الاعضاء من التابعين له قد اشتركوا فى مخالفات خاصة بالجمارك • أما صبرى نفســـه فقد كانت له وجهات نظر يسارية بطريقة متطرفة وكان يقال انه يرأس فريقا من المصريين الموالين للسوفييت ، حيث كان يعود الضباط المصريون يوميـا من تلقى دراستهم فى التدريب فى الاتحـاد السوفيتى • وفى هـذا الوقت تقريبا كانت هناك اشاعات كثيرة عن وجود مؤامرات موالية للسوفيت وضد عبد الناصر ، غير أنه لم تكن هناك دلائل ملموسة لتأييد مثل هذه الافتراضات •• وكان عبد الناصر يقوم بمناورات القصد منها السيطرة السياسية الكاملة وكان يجرى النظر على أن صبرى هو زعيم بديل قائم ، الذى ربمـا أمكن له استدرار تأييد سوفيتى كبير ـ لذلك فلابد أن يرحل • وكانت العـــداوة الشخصية بين صبرى وبين هيكل رئيس تحرير الاهـــرام وهو ناصرى بلاء عليه وكان أول ما وصل الشعب المصرى من أنباء هذه العداوة ما أعلنت عنه الاهرام من أن على صبرى قد جرى محاكمته وابعاده من الاتحاد الاشتراكى العربى • وتم وضع على صبرى تحت الاقامة الجبرية واحلال شعراوى جمعه محله فصار الى جانب كونه وزيرا للداخلية مسئولا عن الاتحـاد الاشتراكى العربى • وتمت تطهيرات أخرى فى كثير من الصفوف • فعلى سبيل المثـــال جرى الاستغناء عن خدمات ١٦٠ عضوا من أعضاء السلك القضائى ، وكذلك بعض كبار المحررين فى جريدة الجمهورية التى تديرها الدولة •

وصـــار الرئيس عبد النـــاصر يشعر بالفتور تجاه البعثة العسكرية السوفيتية فى مصر • فقد كان يريد لها أن تتحمـــل نسبة من اللوم ازاء خسائر المصريين وعدم التقدم فى المعارك الجوية وفى جبهة قناة السويس ، وان تعترف بأن ذلك كان مرجعه فى شطر منـــه الى النقص الســوفيتى فى الامدادات المادية وفى الشطر الثانى الاستشارات التى تقدمها هذه البعثة ••

غير أن البعثة العسكرية رفضت أن تقدم هذه الاعذار للقوات المسلحة وكانت السياسة السوفيتية أيضا تستهدف الضغط عليه للبحث عن حل سياسي وليس بالأحرى البحث عن حل عسكري • وفي الثامن من سبتمبر قرر عبد الناصر فجأة الغاء زيارة مقترحة للاتحاد السوفيتي متعللا باصابته « بالأنفلونزا » • وعلى الرغم من هذا الموقف ، فان البعثة العسكرية السوفيتية كانت ذات سلطة وقدرة ونفوذ كبيرين في أوسط القوات المسلحة المصرية وكان يساندها عبد الناصر وهيئة الأركان ضد الشكاوى التي كانت تصدر عن الضباط المصريين ••

وما ان حل شهر سبتمبر ١٩٦٩ الا وكان هناك نحو ١٠٫٠٠٠ روسي في مصر من بينهم ٤٠٠٠ كمستشارين عسكريين ، و ٣٠٠٠ كانوا يشتركون في اكمال بناء سد أسوان ، بينما معظم الباقين كانوا مختصين بنواحي في المساعدة الفنية والاقتصادية والبرامج المتعلقة بذلك •

ومن ناحية أخرى ، فان هؤلاء المستشارين العسكريين السوفيت لم يكونوا سعداء جدا بمحاولة القوات المسلحة المصرية وكان لديهم فكرة سيئة تماما عن كوادر الضباط المصريين ككل (١) وكانت وسائل الدعاية الماهرة وكشوف الانحازات المبالغ فيها حول الانشطة العسكرية المصرية قد بعث ثانية ثقة الجمهور المصري في قواته المسلحة التي بدأت روحها المعنوية في الارتفاع ، وبالخصوص في شهر يونيو ويوليو حينما تسببت سدود نيران مدفعيتهم في احداث كثير من الخسائر في خط بارليف الا أنه بعد اخفاق السلاح الجوي في معاركه في نهاية شهر يوليو بدأ يصيبهم القنوط مرة ثانية • وكان هناك نفور تزايد في القوات المسلحة تجاه الروس الذين أخذوا يحثون الضباط المصريين باستمرار أن يتحلوا بالصبر الى أن يصيروا أكثر خبرة •• واشتكى الضباط المصريون على سبيل المثال من أن سيارات النقل السوفيتية ضعيفة الجر ولا تتناسب مع درجات الحرارة المتطرفة للصحراء ، وحينما طالبوا بقطع خاصة لتعديل هذه السيارات طلب منهم الانتظار حتى عام ١٩٧١ مما تسبب في أن يقوم المصريون بتركيب محركات بريطانية وأمريكية لها •

ولقد كان المستشارون السوفيت يمسكون في أيديهم بناصية القوة الحقيقية نظرا لسيطرتهم على قدر كبير من الاسلحة المتطورة والتجهيزات التي كانوا يقومون بتوريدها على الرغم من أن المصريين كانوا يقومون بتشغيلها •• وكان هذا الوضع محل كراهية بالنسبة للضباط المصريين غير أنه يعتبر أمرا أساسيا بالنسبة للروس كما تسبب هذا الوضع في وجود احتكاكات من الطرفين • وكانت هناك واقعة خاصة لها وضع شائك ، وذلك حين أغار الاسرائيليون على الساحل فيما سمي بحرب العشر ساعات (في التاسع من سبتمبر) فحينما نزل الاسرائيليون الى البر في منطقة الخفائر قام الاسرائيليون بمهاجمة قاعدة صواريخ سام ــ ٢ هناك وطلب الضباط

---

(١) برافدا عدد ١٣ سبتمبر ١٩٦٩ •

المصريون أن يسمح لهـــم بأن يقوموا بتشغيل الضواريخ ضـــد الطائرات الاسرائيلية التى كانت تحلق فى السماء ، وطلبوا صمامات الصواريخ التى كان يحتفظ بها المستشارون السوفيت الا أن الروس رفضوا ذلك على أساس أن المصريين لم يتدربوا على ذلك ولا هم من جهة أخرى مستعدين للاشتباك مع مثل هذا العدد من الطائرات الاسرائيلية وأصر المصريون ، فى حين ذهب أحد كبار الضباط السوفيت (١) أعلى الخندق لكى يرى بنفسه الوضـــع ولقى مصرعه (٢) وانحى الروس باللائمة على المصريين لتسببهم فى مصرعه • ومرة أخرى ، ساند عبد الناصر المستشارين السوفيت ، وتم اعفاء قائد المنطقـة المحلية المصرى هو وأربعة من كبار الضباط البحريين المصريين من مناصـبهم وتم التحقيق معهم •

وصدرت منشورات سرية فى أوقات منتظمة من جانب احدى المنظمات السرية التى أسمت نفسها حركة مصر الحرة ، ونادى أحـــد هذه المنشورات بتعبئة الرأى العام لمنع محاكمة هؤلاء الضباط المصريين الخمسة الذين اعتبروا (كبش فداء) لمصرع الضابط الروسى • ولم يكن يعرف الكثير عن حركة مصر الحرة هذه أو التى قيل أنها تألفت من الطلبة والعمـــال وضباط الجيش ، والتى كانت تهدف الى تحرير بلادهم من السيطرة السوفيتية • وشعر البعض أنها ربما كانت (منظمة أمامية) أقامها بعض عملاء اسرائيل بينما ذهب البعض الأخر أنه ربما كانت لهـا علاقة مع الاخوان المسلمين التى كـــانت لازالت تحتفظ ببعض الجذور والتعاطف من جانب بعض قطاعات الشعب •

ولقد كانت هناك بعض الفصائل من الجزائريين والكويتيين والقـوات السودانية فى منطقة القناة فى الخطوط الامامية غير أن أعدادهم كانت رمزية •

وكان عبد الناصر يريد مزيدا من العـــون العملى من الدول العربيـــة ليواصل حربه للاستنزاف ، ولذلـــك فانه فى يوم الخامس والعشرين من أغسطس ١٩٦٩ اجتمع وزراء خارجية ١٤ دولة أعضاء فى الجامعة العربية(٣) فى القاهرة لتخطيط جهد مركز مشترك ضد اسرائيل ــ غير أن ذلك لم يسفر

---

(١) الكولونيل كونوفالوف ، الذى أشتهر بكونه كبير الضباط السوفيت جنود مينـــاء الســـويس •

(٢) لقد قتل ستة من الضباط السوفيت فى يوم واحد فى الهجمات الجوية الاسرائيلية المكثفة فى يوم العشرين من يوليو ١٩٦٩ على مواقع الصواريخ والمدفعية فى جبهة القتال • وفى أول الأمر تم انكار ذلك من جانب كل من المصريين والروس غير أن هذا الخبر قد تسرب بعد ذلك • وكان من المعتقد أيضا أن بعض المستشارين السوفيت (غير معروف عددهم) قد لقوا مصرعهم فى التـــاسع من مارس ١٩٦٩ فى نفس الســـد من النيران الذى تسبب فى مقتل الفريق رياض •

(٣) وفى الحـــادى عشر من سبتمبر ١٩٦٩ قرر مجلس الجامعـة العربية مد مدة خدمة السكرتير العام عبد الخالق حسونة بغير حدود زمنية ، وكان عبد الخالق حسونه قد احتفظ بمنصبه فى الجامعة كسكرتير عام منذ بدؤ وجود هذا المنصب عام ١٩٥٢ ••

الا عن بضع خطب وكلمات .. وفي الاول من شهر سبتمبر ١٩٦٩ كان الملك ادريس ملك ليبيا في تركيا للعلاج الطبي وبينما هو هنـــاك تمت الاحاطة بنظام حكمه من جانب انقلاب غير دموي دبره مجموعة من الضباط التي أعلنت ليبيا جمهورية اشتراكية ..

وكان العقيد القذافي رئيسا للجنة الثورية الجديدة في ليبيا ، يميـــل الى أن تكون اتجاهاته ضد الغرب ولذلك تحالف مع عبد الناصر مما عمل على موازنة النفوذ السعودي الشديد الذي كانت به المملكة العربية السعودية على مصر لأسباب اقتصادية مجردة . وحين قام أحـد المسيحيين الاستراليين (١) في الواحد والعشرين من شهر أغسطس باشعار النار في المسجد الاقصى في القدس فكر عبد الناصر في أن يستغل هذا الحادث في الايحاء بحرب مقدسة ضد اسرائيل ، ولكنه لم يستطع أن يثير أي حماس بين الدول العربية في هذا الصـــدد .

وفي هذه الأثناء ، وفي اليوم الاول من شهر يوليو عقب الجلسة الخامسة عشرة من المحادثات غير الناجحة بين ممثلي الاربعة الكبار (٢) في الامم المتحدة في نيويورك لمحاولة ايجاد حل لمشكلة الشرق الاوسط فقـــد أعلن أن أيـة اجتماعات أخرى سوف لاتتم في فترة الصيف .

وفي الحقيقة ، ان هؤلاء الممثلين لم يجتمعوا مرة أخرى حتى الثاني من شهر ديسمبر .

وفي السابع من يوليو تحدث يوثانت في تقريره الى مجلس الامن التابع للأمم المتحدة عن (حرب مفتوحة) تتم بالفعل على طول قناة السويس وبعث مراقبي الامم المتحدة على أنهم (أهداف مكشوفة في صالة عرض لاطـــلاق النيران) مهددا بسحبهم .. وكان مراقبوا الأمم المتحدة يتألفون من ضباط جيوش سبعة دول والذين كانوا يسيطرون على ٣٦ خندقا مدعمة بالاسمنت المسلح وعلى هذه المواقع أعلام الامم المتحدة وذلك لمدة تسعة أيام في كل مرة. ولقد وافق المتحاربون ألا يضعوا أسلحتهم على مدى يقل عن ٥٠ مترا من هذه المواقع ، غير أن هذه القاعدة كان يجري تجاهلها من كلا الجانبين . فعـــلى سبيل المثال في شهر يونيو قدم مراقبوا الامم المتحدة أربعا وسبعين شكوى من هذا القبيل ضد مصر في حين قدموا خمس عشر شكوى ضد اسرائيل .. وكان عبد الناصر يريد أن يبقى المراقبون مثلما كان الحال بالنسبة لقـوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة قبل حرب يونيو التي كانت في موقع على حدود مصر مع اسرائيل ، وكان وجودها قد أعطاه عذرا اضافيا ألا يتقدم الى سيناء. في السابع والعشرين من يوليو لقي أحد مراقبي الامم المتحدة السويديين مصرعه

---

(١) ميشيل روهين الذي قدم بعد ذلك الى المحاكمة ، وفي ديسمبر ١٩٦٩ أدخـل احدى المستشفيات العقلية لمدة غير محدودة .

(٢) في بعض الأحيان كان يشار اليهم بالاثنين الكبـار بما يعني أمريكا والاتحـــاد السوفيتي .

بطلقة اسرائيلية قرب بور توفيق على الجانب المصرى وأمر الجنرال أود بول الغاء موقعين من مواقع الامم المتحدة على كل من جانبي القناة نظرا للمخاطر المحدقة بهـــا ..

وفيما عدا الانشطة الجوية ، كانت تجرى عمليات الكوماندوز عبـــر القناة من كلا الجانبين وبالخصوص من جانب المصريين ، واستمرت معـــركة الدعاية مستمرة . وفى الثامن والعشرين من سبتمبر أعلن المصريون أنهم قد قاموا بعملية اغارة ناجحة لقوات محمولة جوا على المواقع الاسرائيلية قـــرب (مصفق) التى تبعد نحو ٥ ميلا شرقى القنطرة ، وأعلنوا أنهم قـــد باغتوا الاسرائيليين وقتلوا وجرحوا الكثيرين ودمروا بعض المركبات والتجهيزات .. وكان التعليق الاسرائيلى اللازع على هذه العملية أن مثل هذه الغارة لم تحدث على الاطلاق ، وكل ما هنالك أن احدى الطائرات المصرية ألقت بحمولتهـــا من القنابل فى الرمال دون احداث أية خسائر .

وكما هو الحال دائما ، فان الحقيقة كانت تكمن فى مكان مابين الروايتين وفى الثالث من أكتوبر أوردت الاهرام أن المعـــركة مع اسرائيل قد دخلت مرحلة جديدة بهجومين حديثين من جانب « قوات كوماندوز متخصصة » على مواقع العدو .. وفى نفس اليوم ، وبعد سدود كثيفة من النيران عبرت وحدة كوماندوز مكونة من ٨٠ رجلا فى قوارب من المطاط قناة السويس وقصفت المواقع الاسرائيلية المواجهة لمنطقة الدفرسوار فى منطقة البحيرات المرة الكبرى، غير أن الاسرائيليين أعلنوا أنهم قد صدوا هذا الهجوم مسببين خسائر جسيمة لأفراده . ومرة أخرى فى الرابع من الشهر حينما عبـــر رجال الكوماندوز المصريين المجرى المائى لمهاجمة المواقع الاسرائيلية فى منطقة الدفرسوار ، أعلن كل من الجانبين أنه قد أحدث اصابات فى الطرف الآخر . وفى الرابع عشر من الشهر أعلن المصريون أنهم هاجموا المواقع الاسرائيلية على الشاطىء الشرقى لقناة السويس غير أن هذه الادعاءات قامت الدعاية الاسرائيلية اما بتجاهلها تماما أو قللت من شأنها .

واستمر الاسرائيليون فى تنفيذ عمليات الكوماندوز ، غير أنه بخلاف غاراتهم الاختراقية فانهم لم يولوا العمليات الاخرى أى قدر من الدعاية ، وفى بعض المناسبات كان يجرى الظن بأنهم يرتدون الملابس العسكرية المصرية .. وفى الثامن والعشرين من أكتوبر تم الاعلان عن أن الاسرائيليين قـــد نفذوا ثلاث غارات كوماندوز داخل مصر خلال الاسبوع الماضى اثنتين منها فى خليج السويس ، والاخرى تبعد ١٠٠ ميل جنوب غربى شرم الشيخ وأن ســـتة من الجنود المصريين قد أصيبوا بجراح فى أثناء تلك الغارات . ولم تذكـــر أية تفصيلات أخرى كما لم يعلق المصريون بشىء .

وفى الخامس من نوفمبر عبرت مجموعة من الكوماندوز المصريين قنـــاة السويس وأوقعت دورية اسرائيلية فى كمين بعد ستة أميال شـــمالى بور توفيق ، بالقرب من الشط ، وتسببت فى مقتل أحـــد الضباط وستة جنود

اسرائيليين وقامت بأسر جندى مات بعد ذلك متأثرا بجراحه · وكانت تلك أولى غارات المصريين فى وضح النهار ، فقد صاروا أكثر جسارة وفى اليوم التالى عبر الكوماندوز المصريون فى المساء مرة أخرى شمالى منطقة الشط بقليل الا أنهم خسروا أحد أفرادهم الذى لقى مصرعه بالاضافة الى آخر أصيب بجراح ، وفى نفس هذه الليلة كانت هناك وحدة أخرى من رجال الكوماندوز المصريين قد عبرت الممر المائى وأوقعت فى كمين نصبته دورية اسرائيلية فى قطاع الكف وتسببت فى جرح خمسة من الاسرائيليين · وهذه السلسلة من الغارات استفزت موشى ديان ليصرح بقوله فى اليوم الثامن بأنه يرتب ردا عسكريا لهذه الغارات ·· ونهض الأسطول المصرى أيضا ودخل العمليات فى مساء يوم الثامن من نوفمبر حينما اقتربت مدمرتان يصاحبهما قوارب صواريخ من ساحل سيناء على بعد نحو ١٥ ميلا شرقى بور سعيد وأطلقتا النار على المواقع الاسرائيلية فى منطقة الرومانى ، وحين ظهرت الطائرات الاسرائيلية أسرعتا فى ابحارها راجعتين وأعلن المصريون أنهم قد أحدثوا اصابات وأنهم تركوا النار مشتعلة فى مستودعات الوقود والذخيرة، فى حين قال الاسرائيليون أن القصف الذى استمر ٣٥ دقيقة لم يحدث أى خسائر · وفى اليوم الثالث عشر من الشهر شجب موشى ديان (١) التقارير الصحفية التى تقول بأن هذا القصف يتم عن تكتيك بحرى مصرى أفضل ، وأوضح أن السفن المصرية ما كان لها أن تغامر بأن تتجه نحو الشرق لكى تقصف الاجزاء المسكونة من الشاطىء الاسرائيلى لأن ذلك يعنى أنها تسير فى البحر لمدة من خمس الى ست ساعات مما يعرضها فى وضح النهار لهجمات الطائرات الاسرائيلية ·· وعلق بأن اسرائيل قد كسبت بوضوح الجولة الاخيرة ضد مصر ، غير أنه أضاف متشائما بأن الجولة القادمة سوف تكون فى الربيع القادم ، وأضاف متفائلا أنه ليس من الضرورى أن تكون جولة حرب شاملة ، ونشط رجال الكوماندوز البحريين المصريين أيضا ، ففى السادس عشر من نوفمبر تم تفجير خمس تفجيرات تحت المياه لسفينتين اسرائيليتين فى ميناء ايلات ، واقتضى الأمر أن احدى السفينتين كان ينبغى ارساؤها لانقاذها من الغرق · وأعلن المصريون أن ذلك كان من صنع رجال الضفادع البشرية المصريين الذين جرى حملهم الى هناك بواسطة الهيليوكوبتر على الرغم من أن أقرب الاحتمالات هو أن يكونوا قد قاموا بعملياتهم من ميناء العقبة الأردنى المجاور ·

واستمرت غارات الكوماندوز · ففى اليوم الثلاثين من نوفمبر أعلن المصريون أن ١٣٠ من رجال الكوماندوز قاموا بالعبور بالقرب من منطقة الشط

---

(١) ولقد قرر موشى ديان كذلك انه منذ أول ابريل ١٩٦٩ قامت مصر باجراء خمسة عشر انزالا كوماندوز بخلاف القصف البحرى وأن هذه الهجمات (هى والهجمات الجوية) وقد كلفت الاسرائيليين ٤٩ اصابة وكلفت المصريين ٣٠ اصابة ·

وقال كذلك أن من بين ٦٥ طلعة اسرائيلية جوية وعدد لم يكشف النقاب عنه من نزول الكوماندوز الى البر ، فان المصريين تعرضوا لنحو ١٠٠٠ اصابة بينما تعرض الاسرائيليون لعشرين اصابة فقط هذا بالرغم من أن الرقم الأخير قد عدل ليكون ٧٠ اصابة ··

واحتلوا المواقع الاسرائيلية ، وظلوا فى هذه المواقع لمدة ساعتين وذلك لأن سدود النيران المصرية حجبت التعزيزات الاسرائيلية على مسـافة من هذه المواقع ، وان الطائرات الاسرائيلية بعد ذلك قصفت مواقعها نفسها بالقنابل ظنا منهم أن المصريين لازالوا فيها . وقال الاسرائيليون انهم قد صدوا المصريين بوساطة النيران الارضية والدعم الجوى ، وأن خمسة من المصريين قد قتلوا فى حين أنه لم يصبهم أية اصابات ولا أية خسائر . واستمرت الادعاءات ، والادعاءات المضادة . وفى التاسع من شهر ديسمبر أعلن المصريون أنهم قد أسقطوا أول طائرة فانتوم غير أن هذا الاعلان قد أنكره الاسرائيليون . وفى الرابع عشر من ديسمبر تباهى الرئيس عبد الناصر باستعداد المصريين للحرب قائلا ان لديه نصف مليون رجل تحت السلاح وأنه قد أمر بالقيام بسلسلة نهارية من غارات الكوماندوز عبر قناة السويس . وتم القيام بهذه الغارات لكن ما تم منها فى وضح النهار لم يكن كثيرا وفى الخامس عشر من الشهر أعلن المصريون أنهم قد قتلوا ضابطا اسرائيليا بالاضافة الى خمسة آخرين كانوا فى مركبة وذلك بوساطة كمين فى الضفة الشرقية للقناة . وفى السابع عشر من ديسمبر هاجمت احدى الطائرات الاسرائيلية المنطقة الواقعة فى الطـرف الجنوبى للقناة لمدة ثلاث ساعات وذلك بعد أن قتلت المدفعيـة اثنين من الجنود الاسرائيليين وأحد المدنيين فى الليلة السابقة .

وفى اليوم الثـامن عشر قال المصريون أن رجالهم من الكوماندوز قـد هاجموا المواقع الاسرائيلية ، وقتلوا ثلاثة جنود ودمروا دبابة وعدة مركبات غير أن الاسرائيليين أعلنوا أن المصريين قد تم اعتراضهم ودفعهم الى الخلف قبل أن يتمكنوا من بلوغ المواقع الاسرائيلية . وفى التاسع من الشهر أعلن الاسرائيليون أن احدى مجموعاتهم من الكوماندوز قـد اخترقت الخطـوط المصرية من خـلال منطقة البـلاح وفجرت بعض الصواريخ فى المعسكرات العسكرية فى المنطقة « السلكية » وهى تقع نحو الغرب ، وأن كـافة رجال المجموعة قد عادوا سالمين . واستخدم المصريون نفس أسلوب الاسرائيليين بأن أنكروا انكارا تاما وقوع مثل هذه الغارة ، وهكذا استمر الحال .

وحوالى نهاية عام ١٩٦٩ كانت الروح المعنوية لكل من المصريين وقواتهم المسلحة قد مالت نحو الضعف والانخفاض فمعظم مواقع صواريخ سام ـ ٢ على منطقة القناة قد جرى تدميرها وكذلك الحال بالنسبة لـكثير من مواقع الرادار فى نفس الوقت الذى فقد المصريون فيه كثيرا من الطائرات الجديدة . وصارت الاصابات التى تحدث للمصريين تتصاعد مما أوجد نوعا من الاحباط ازاء عدم السماح باجراء هجوم على اسرائيل كما كانت هناك مشكلة داخلية تتعلق باللاجئين الذين بلغ عددهم نحو نصف مليون مهاجر نازحين من منطقة القناة ومن ثم كيفية مواجهة تلك المشكلة واسـتغرق الجيش المصرى فى الـدفاع سواء كان ذلك من الناحية المادية أو من الناحية النفسية . وعلى الرغـم من الوضع المعتاد فان الرئيس عبد الناصر ألقى خطابا ساخنا فى السادس من نوفمبر أعلن فيه أن الحرب مع اسرائيل هى السبيل الوحيد أمام العـرب

الذين ليس أمامهم من بديل سوى شن معركة المصير ضد اسرائيل • وأن هذه المعركة ينبغي خوضها •• عبر بحر من الدماء وآفاق من النيران • غير أن هذا الخطاب لم يجعله محبوبا لدى الحكومة السوفيتية التي كانت لاتزال مهمته لايجاد حل سياسي • على أن جهود عبد الناصر للسيطرة وتوحيد العرب تحت زعامته ضد اسرائيل قد أصابها الفشل مرة أخرى وتجلى ذلك من مؤتمر قمة الرباط الذي بدأ في التاسع من ديسمبر وانتهى فجائيا في السادس والعشرين منه دون اصدار أي بيان مشترك ، وانسحب الرئيس عبد الناصر من جلسته الختاميـــة •

وقبل ذلك وفي الثامن عشر من نوفمبر كان وزير الدفاع محمد فوزي قد أعلن في خطاب له في مجلس الأمة مفتخرا بأن الجنود المصريين قد صـار لديهم كفاءة عالية في القتـــال مرجعها التطوير الذي حـــدث في التدريب والتسليح • وأنهم قد تمكنوا من قتل ١٥٠ اسرائيليا شهريا (وكان ذلـك غير صحيح) • وقال : وان كان القول مشكوك في صحته وربمـا استهدف طمأنة الامة ان الاتحاد السوفيتي يمد مصر بالتجهيزات التي لم تكن متوفـرة لديها من قبل • غير أن خلف هذه المواجهة التي تتسم بالشجاعة كانت هناك عوامل القلق وعدم الارتياح تسود في كل مكان • ففي التاسع من شـــهر ديسمبر طار أنور السادات(١)الممثل الشخصي لعبد الناصر ومعه وزير الخارجية محمود رياض ووزير الدفاع محمد فوزي الى موسكو لمحاولة اقنـاع الحكومة السوفيتية بأن كل المحاولات لايجاد حل سياسي في منطقة الشرق الاوســط لاطائل من ورائها ، ولكي يطلبوا التأييد نحو موقف مصري أكثر عسكرية • واستمرت هذه المحادثات ثلاثة أيام وأحرز فيها المصريون نجاحا متواضعا • وطالب فوزي بطائرات الميج الجديدة من طراز ميج ــ ٢١ جي والتي تعتبـر مناظرا لطائرات الفانتوم التي حصلت عليها اسرائيل ، ووعد السوفيت بوضع هذا الطلب تحت الاعتبار •

فاذا ما اتجهنا الآن نحو اسرائيل ، ففي أثناء صيف عام ١٩٦٩ نجد أن الروح المعنوية أيضا قد مالت نحو الانخفاض نظرا لاستمرار تزايد الاصابات بين أفرادهم (٢) وحديث عبد الناصر الذي لا ينقطع عن حربه للاستنزاف وعن « معركة المصير » القادمة مع اسرائيل • وعلى الرغم مما كان يبدو ظاهريا على مجلس الوزراء الاسرائيلي من الثقة فقد كان شديد القلق نحو الحصول على طائرات حديثة أكبر تطورا وعلى الخصوص كمزيدا من طـــائرات الفانتوم وسكاي هوك • وعلى ذلك ، ففي شهر سبتمبر ذهبت جولدا مائير رئيســة الوزراء ومعها البريجادير هود قائد السلاح الجوي الاسرائيلي الى أمريكـــا

---

(١) في العشرين من ديسمبر ٦٩ أعاد عبد الناصر انشاء منصب نائب رئيس الجمهورية وعين فيه الســـادات •

(٢) في الخامس والعشرين من سبتمبر ٦٩ لعلن موشي ديان أن اسرائيل قد خسرت ٤٥٠، ١٧٠٠ جريحا على كافة الجبهات منذ حرب يونيو •

لطلب ٢٥ طائرة فانتوم اضافية على الاقل وكذلك ٨٠ طائرة سكاى هوك من الرئيس نيكسون وفى الخامس والعشرين من سبتمبر وحين مغادرتهاواشنطن قالت مائير : « انني غادر الان بقلب أكثر انشراحا مما كان وقت حضورى هنا » ٠

وحين تولى ريتشارد نيكسون رئاسة الولايات المتحدة فى يناير ١٩٦٩ راود الروس الأمل أنه سوف يعدل من السياسة الامريكية تجـــاه الشرق الاوسط وسوف يكون أقل ميلا نحو تقديم الدعم الاسرائيلي صورة تلقائية ، وخصوصا لأنه ليست له أية التزامات تجاه أصوات الناخبين من اليهود ٠

ولكن على عكس هذه التوقعات فان نيكسون استمر لمدة شهور ينحو نحو سياسة الرئيس جونسون ٠ ثم بعـــد زيارة رئيسة الوزراء مائير الى نيكسون فى شهر سبتمبر ، تولدت مشاعر أكثر حرارة تجاوه اسرائيـــل على شكل لم يكن متوقعا ٠ وكان ظن الرئيس نيكسون أن عبد الناصر هو الزعيم العربى الوحيد القوى الذى له القدرة الكافية على التفاوض على تسوية سلمية فى مشكلة الشرق الاوسط ، غير أن طلب عبد الناصر الذى لاينثنى نحو حل عسكرى كان يبدو عائقا فى هذا الاتجاه ، وطبقا لذلك فان نيكسون رأى العمل على أن يكون أكثر عطاء بالسلاح لاسرائيل عما كان عليه فيما سبق ٠ وكان مما أزعج الحكومة السوفيتية هو ما صرحت به أمريكا لرعاياها للانخراط فى صفوف القوات المسلحة الاسرائيلية اذ كانت الحكومة السوفيتية تشعر أنه ربما كان ذلك ثغرة يمكن عن طريقها تزويد اسرائيل بالطيارين الامريكيين لطائرات الفانتوم التى تم ارسالها لاسرائيل ٠

وعلى الرغم من أن الانتخابات الاسرائيلية قد جرت فى الثامن والعشرين من أكتوبر ١٩٦٩ ، فان رئيسة الوزراء مائير لم تتمكن حتى الخامس عشر من شهر ديسمبر من تأليف حكومتها الائتلافية ، ذلك أن حزب العمل الذى تنتمى اليه لم يكن قد حاز أغلبية كبيرة ٠ وكان الائتلاف مكونا من خمسة أحـزاب سياسية تمثل نحو ٩٠ ٪ من جملة أصوات الناخبين ، وبقى ايجال آلون نائبا لرئيس الوزراء ، وبعد بعض التردد وافق موشى ديان على أن ينضم الى الوزارة واستمر فى منصبه كوزير للدفاع والذى كـــان يعنى باختصار أن سياسة اسرائيل قد بقيت كما كانت مع تزايد طفيف ناحية كونهـــا تتخـذ موقف « الصقور » ٠ وتصلب الموقف،وقرر ديان أن الوقت يعمل لصالح الاسرائيليين الذين سوف لا يفكرون بعد اليوم فى الانسحاب من الاراضى المحتـــلة دون الحصول على تسوية سلمية دائمة ٠ ثم أعلن بعد ذلك فى السادس من يناير ١٩٧٠ أنه فى ظرف ثمانية شـــهور من ابريل وحتى نوفمبـــر ١٩٦٩ خسر الاسرائيليون ١١٣ قتيلا و ٣٣٠ جريحا فى جبهة القناة فى حين أن المصريين لابد أن يكونوا قد خسروا أكثر من ١٠٠٠ اصابة ٠

وفى أكتوبر ١٩٦٩ كان ديان قد قال ان الموقف العسكرى الاسرائيلى قد تحسن أثناء الثلاثة أشهر السابقة على طول جبهة القناة على الرغـــم من التعزيزات المصرية ، وان كان من الضرورى رفع سن الاحتيـــاط من ٤٩ الى

٥٥ سنة نظراً للزيادة المضطردة فى البلاد على متطلبات الدفاع المدنى • وفى شهر ديسمبر كانت ميزانية الدفاع قد بلغت ٣٥٠ مليون جنيه استرلينى بزيادة قدرها ١٤٠ ٪ عما كانت عليه قبيل انتهاء حرب يونيو مما أوضح أن الاشتباكات كانت تسبب عبئا ثقيلا على الاقتصاد الاسرائيلى •

ومرة أخرى ومنذ أول يوليو عقد ممثلو الاربعة الكبار فى الثانى من ديسمبر فى نيويورك اجتماعهم الاول وأعلنوا استعدادهم لانجاز تسوية تقوم على تنفيذ قرار الامم المتحدة الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ ، غير أن رئيسة الوزراء الاسرائيلى مائير فى خطابها الافتتاحى الى الكنيست رفضت مقترحاتهم رفضا قاطعا • وفى التاسع من ديسمبر أعلن وليام روجرز وزير الخارجية الامريكى ولأول مرة مقترحات كان قد قدمها بطريقة خاصة للحكومة السوفيتية فى الثامن والعشرين من آكتوبر ، وكانت مبنية على أساس الانسحاب الاسرائيلى من الاراضى المحتلة فى مقابل تأكيدات عربية بالتزامات نحو السلام • وعرف هذا فيما بعد بمبادرة روجرز للسلام • وفى الثانى والعشرين من ديسمبر رفضت المبادرة رفضا قاطعا من جانب اسرائيل وكذلك تم رفضها فى الثالث والعشرين من ديسمبر من جانب الاتحاد السوفيتى وعلى هذا النحو لم تلق المبادرة أى تأييد على الاطلاق من العواصم العربية •

وحدثت واقعة لها أهمية خاصة فى السادس من ديسمبر ١٩٦٩ حين تم تبادل أسرى الحرب عبر قناة السويس فى القنطرة قام بتنظيمه الصليب الأحمر الدولى لطيارين اثنين من اسرائيل مقابل ٥٨ من المصريين • وقد تألف هؤلاء المصريين من طيار واحد وخمسة جنود ، و ٥٢ من المدنيين ، والعدد الاخير تضمن رجال صيد كانوا قد ضلوا طريقهم قريبا جدا من المواقع الاسرائيلية ، هؤلاء تم القبض عليهم فى غارات الكوماندوز وأولئك تم القبض عليهم وهم يحاولون التسرب من خلال دفاعات اسرائيل فى القناة على طول خطوط التهريب التقليدية وربما كانوا أو لم يكونوا من الفدائيين •

وانتهى العام بثمرة رابحة للاسرائيليين الذين قاموا فى السابع والعشرون من ديسمبر بغارة على القاعدة البحرية فى البحر الاحمر فى منطقة رأس غارب والتى تبعد نحو ١١٥ ميلا جنوبى السويس • وفى حين كانت هناك غارات جوية لتحويل الانتباه استغرقت ثلاث ساعات على المواقع المصرية فى القناة ، قام رجال الكوماندوز البحريون الاسرائيليون بعبور الخليج الواسع الذى يبلغ نحو ١٨ ميلا ونزلوا الى البر فى مسافة تبعد بعض الشىء عن الميناء والتفوا فى الصحراء وتقدموا نحو رأس غارب من جهة الغرب واحتلوها بنجاح •• وعلى الفور قامت طائرات الهيليوكوبتر الاسرائيلية بالدخول الى المنطقة وأخذت معها جهاز الرادار المضاد للطائرات المتحرك سوفيتى الصنع من طراز بى ــ ١٢ الذى يمكن استخدامه بطريقة مشتركة مع صواريخ سام • وكان وزن هذا الجهاز نحو سبعة أطنان وله مدى يبلغ ٢٠٠ ميلا وكان قد تم تركيبه لتوه فى ذلك المكان وذلك ليسد فجوة فى جهاز الانذار المبكر المصرى الذى يغطى

منطقة البحر الاحمر والمنطقة الجنوبية الشرقية وعلى ذلك فان ازالته تركت ميناتى الغردقة وسفاجا مكشوفين • وكانت هـــذه أول مرة ترى أعين غير الأعين الروسية هذا النوع من الرادار والذى كان يعتبر واحـــدا من أحدث الاجهزة السوفيتية فى الخدمة والتى لم يكن معلوما عنها أية معلومات • ولم تقم اسرائيل باذاعة أى أنباء عن ذلك حتى اليوم الاول من يناير ١٩٧٠ هذا التاريخ الذى قبل حلوله أمكن للاسرائيليين اعادة الجهاز الى مكانه على الرغم من أنهم لم يكونوا يعلمون تماما ما سوف يكون عليه رد الفعـــل السوفيتى • واستولت هذه العملية على خيال العالم لجرأتها وروح المبادرة الكافية فيها • واعترف المصريون أنهم قد خسروا اثنين من القتلى وأربعة أسرى •

وانتهى عام ١٩٦٩ بالنسبة للاسرائيليين بحادثة أخرى صارخة ألهبت خيال الناس وعملت على رفع الروح المعنوية عند الاسرائيليين • فقـــد كان الاسرائيليون قد طلبوا ١٢ من الزوارق المدفعية زنة ٢٥٠ طن من فرنســا والتى تم بناؤها فى ميناء تشيربورج ، وكان قد تم تسليم سبعة منها قبل أن يفرض الرئيس ديجول الحظر على توريد السلاح الى اسرائيل • أما الخمسة الباقية فقد دشنت فى التاسع عشر من ديسمبر غير أن السلطات الفرنسية استولت عليها كلها • وفى الخامس والعشرين من ديسمبر كانت كل الزوارق الخمسة قد تم السيطرة عليها من جانب بحارة اسرائيليين رمزيين ، وهربوا بها تجاه البحر الواسع ووصلوا الى ميناء حيفا فى آخر يوم من أيام السنة وسط هتافات الاسرائيليين الذين ملأوا الميناء وشواطىء البحـــر بالترحيب لاستقبالهم (١) •

وهذه الزوارق المدفعية الاثنى عشر المعروفة لـــدى الاسرائيليين باسم « سار كلاس » جرى عرضها بعد ذلك على الجماهير (وذلك فى اليوم الرابع من مايو ١٩٧٠) • وكان كل منها يحمل ثانية صواريخ من طراز «جابريال» التى كانت حينذاك أصغر من ستايكس السوفيتية الصنع ، والتى تحمـــل رؤسا متفجرة تبلغ زنتها ٣٣٨ رطلا وتبلغ مداها ٢٠ ميلا • وكـــل صاروخ يحتوى ذاتيا على جهاز توجيه يشمل كـــل من الاشعة تحت الحمراء (التى تنجذب الى الحرارة) مع فن التوجيه الرادارى ••

---

(١) تم ايقاف اثنين من الجنرالات الفرنسيين ، واتخذت اجراءات تأديبية ضد آخرين أشتبه فى تواطؤهم — أو فى اهمالهم •

٧ - الطبيعة الالكترونية للحرب

سيكون هـــذا الصيف صيف الالكترونيات
نهارا والاشعة تحت الحمراء ليلا ..

الرئيس عبد الناصر

نأتى الان الى « الطبيعة الالكترونية » للحرب ففي الوقت الذى استمر فيه قصف المدافع بنفس كثافته على الأرض ، وكان فيه رجال الكوماندوز يشنون غارتهم عبر قناة السويس ، بدأ فى الجو الصراع متطوربين الطائرات والصواريخ للمرة الاولى فى التاريخ ، حيث بدأت القوتان الاعظم - الاتحاد السوفيتى وأمريكا - تتقاتلان باستخدام الدول التابعة لهما ، وهى الدول التى هيأت لها فرصة اختبار آخر ما لديهما من تطورات الكترونية وأسلحة مضادة فى ميدان القتال . وقد تم تزويد طائرات الفانتوم بمجموعة من الاجهـــزة المضادة الالكترونية التى تمكن الطيـــار من تلقى انذار عند تعرض طائراته لهجوم من أحد الصواريخ .. ولم يمر وقت طويل حتى كان الطيارون قــد اعتادوا التغيير فى « التردد الصوتى » عند تتبع الاشارات التى تدل على أن صاروخا يتعقب طائرتهم ، مم يتيح لهم الوقت الكافى للمناورة والهرب .

وكما فعل الطيارون الامريكيون فى فيتنام ، فان الاسرائيليين أطلقوا على هذه الظاهرة اسم « أغنية سام » وبعد هذا ، زودت أمريكا اسرائيل بأجهزة جديدة مضادة للصواريخ لم تكن تستطيع فقط كشف وجود الصواريخ ، بل كانت قادرة أيضا على تحويل اتجـــاه الصواريخ المتجهة الى الطـــائرات . وأضيفت الأجهـــزة الالكترونية المضـــادة للصـــواريخ أيضـــا الى طائرات سكاى هوك التى اشتهر عنها أنها أفضل قاذفة تكتيكية فى العـــالم ، وهى أصغر حجما من الفانتون وأقل سرعة (سرعتها القصوى ٦٧٥ ميلا فى الساعة) الا أنها تتميز بقدرتها الكبيرة على المناورة .

وبعد أن تحقق للطائرات الاسرائيلية هذا التفوق المتميز على صواريخ سام - ٢ ، أصبحت قادرة على اختراق حدود مصر الى أعماق أكبر .. وخلال الشهور الثلاثة الاولى من ١٩٧٠ ، لم تكتف اسرائيل بتدمير الجانب الاكبر من نظام الانذار المبكر المصرى على طول جبهة القناة ، بل ضربت أيضـــا مواقع الرادار المصرية فى المؤخرة ، مما أدى الى تدمير ثلاثة أرباع نظم الرادار التى تحمى البلاد على الاقل .. وأعطى هذا الطيارين الاسرائيليين حرية حركة شبه كاملة فى المجال الجوى المصرى . وبالرغم من نقـــاط الضعف المصرية ، فان الطيارين المصريين واصلوامهاجمة خط بارليف . ولكن افتقارهم الى نظـــام جيد للتحكم الأرضى جعل هجماتهم غير فعالة الى حد بعيد فى مواجهة الطائرات

الاسرائيلية التى بدأت تتسلل الى أعماق أبعد داخل مصر لتشن غاراتها انتقاما لقصف المدفعية المصرية لخط بارليف ٠

وعندما رفض الاتحاد السوفيتي مبادرة روجرز للسلام يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦٩ ، أصبح واضحا للاسرائيليين أن المصريين لن يتفاوضــوا من موقف الضعف ٠ وجعلهم هذا يبدأون فى الأيام الأولى من العام الجديد مرحلة قصف استراتيجى استخدموا خلالها الفانتوم فى قصف أهداف فى وادى النيــل والدلتا غرب قناة السويس ٠ وقد صرح موشى ديان أنذاك بأن الغـرض من هذا كان اعاقة الاستعدادات المصرية لشن هجوم جديد ، وتخفيف الضغط عن خط بارليف ، واقناع المصريين بعدم قدرتهم على توفير الحماية لهم ٠ وقـد قال متفاخرا : « مصر كها ميدان قتال لنــا » وأضاف « لن تكون هناك حدود للهجوم على الأهداف العسكرية داخل الجمهورية العربيــة المتحدة الى أن تحترم القاهرة وقف اطلاق النار » ٠ وبعد هذا ، قالت جولدا مائير رئيسة الوزراء « اننا لا نقصف العمق حتى نجبره ـ أى عبد الناصر ـ على اقـرار السلام ٠ بل نحن نذهب الى العمق لكى نجعله يعرف جيدا هو وشعب مصر أنه اما أن يسود الهدوء الجانبين واما يكون قصف على كلا الجانبين » ٠ وقال عبد الناصر فى خطابه أمام كبار الضباط السودانيين يوم أول يناير ١٩٧٠ ، انه يعمل على بنــاء جيش قوامه مليون رجل لــكبح جماح اسرائيل ، وأن استراتيجيته تقوم على « تحقيق التفوق الجوى » ٠ وفى نفس اليوم ، وافـق الرئيس الليبى العقيد القذافى على مضاعفة مساعدته لمصر من ٣٠ مليون جنيه استرلينى الى ٦٠ مليون جنيه استرليني مقابل حصول بلاده على مســاعدة خبراء الصناعة والبترول المصريين ٠ وفى ٣ يناير ، قال عبد الناصر ـ فى حديث لمجلة « أفريكاسيا » أنه رغم امتلاك القوات الجوية المصرية لعدد كبير من الطائرات فانها تفتقر الى الطيارين المدربين ٠ وادعى انه خلال خمس سنوات (أى ١٩٧٥) سيكون لدى مصر كفايتها من الطيارين وأنها ستكون قادرة على « تحطيم تفوق الاسرائيليين » ٠ وفى الرابع من يناير ، وقع اشتباك جـوى فوق الجز الشمالى من القناة ادعى الاسرائيليون أنه أسفر عن اسقاط طائرتين وادعى المصريون أنهم أسقطوا خلاله طائرة اسرائيلية قرب القنطرة ٠ وبدأت يوم ٧ يناير الغارات الاستراتيجية الاولى على المنشئات العسكرية فى العمق المصرية ٠٠ واستهدفت احدى هذه الغارات انشاص التى تبعد ٢٥ ميلا الى الجنوب الشرقى من القاهرة ، ووقعت الثانية على دهشور بوادى النيل على بعد ٣٢ ميلا جنوب القاهرة ٠ وكانت الثالثة على التل الكبير التى تبعد ميلا شرق القاهرة على الطريق الى الاسماعيلية ٠٠ ورد المصريون بغارة على رأس سدر على خليج السويس ، وادعوا أنهم دمروا خلالها قاعدة لصواريخ هوك ٠ ولكن الاسرائيليين نفـوا هــذا ، وادعوا بدورهم أنهم أسقطوا طــائرتين مصريتين من طراز (سوخوى ـ ٧) حاولتا قصف المنشئات الاسرائيلية ٠ وفى ١٣ يناير وقعت غارة جوية اسرائيلية فى العمــق استهدفت مستودع الامداد والتموين فى الخانكة على بعد ١٥ ميلا الى الشمال الشرقى من القاهرة ٠٠ وكانت هذه أقرب عمليات القصف الى العاصمة منذ حرب يونيه ٠٠

وقام الاسرائيليون يوم ١٦ يناير بغارات قصف استراتيجية أخـــرى تركزت أساسا فى منطقة التل الكبير ·

وفقدوا خلالها طائرة واحدة أسقطتها نيران الاسلحة المضادة للطائرات واعترف الاسرائيليون بخسارتهم هذه الطائرة قائلين انها الطائرة السادسة عشرة التى أسقطت لهم منذ حرب يونيه على جميع الجبهات وادعوا أنهـم فى المقابل أسقطوا أربعا وستين طائرة مصرية · وأصاب الاسرائيليون أيضـــا موقعا مصريا قرب بئر عديب على بعد ٣٠ ميلا جنوبى الســـويس ·· وفى الثامن عشر من يناير ، هاجم الاسرائيليون المواقع المصرية على طول القناة ، كما أغاروا على معسكر حربى فى الهايكستب على بعد نحو عشرة أميال من مطار القاهرة الدولى ، وكذلك مستودعات للذخيرة فى وادى حوف التى تبعد حوالى اثنى عشر ميلا الى الجنوب الشرقى من القاهرة · لقد كانت القنابل تزحف مقتربة من العاصمة ·

وفى ٢٢ يناير ، هاجم المظليون الاسرائيليون المحمولون جوا جـــزيرة شدوان عند مدخل خليج السويس ·· ورغم أن الموقف بدا ميئوسا منه ، فان أفراد الحامية المصرية ـ الصغيرة بروحهم المعنوية العالية ـ رفضوا الاستسلام· واضطرت القوات المهاجمة الى استخدام القوة للتغلب عليهـــم · وفى نفس الوقت ، أغرقت الطائرات الاسرائيلية زورقين من زوارق الطوربيد على بعـد حوالى عشرة أميال جنوبى شدوان ·

وادعى الاسرائيليون أنهم قتلوا سبعين مصريا منهم أربعين فى الزورقين وانهم أخذوا ٦٢ أسيرا ، إنما كانت خسائرهم ثلاثة قتلى وستة جرحى ·· ويبدو أن الاسرائيليين كانوا ينوون الاستمرار فى احتلال الجزيرة لمعرفتهم أنه سيصعب على المصريين طردهم ·· وذكر جون بولوتسن فى عـــدد أول فبراير ١٩٧٠ من صحيفة صنداى تلغراف أنه عندما وصلت الى عبد الناصر أنبـــاء عملية الانزال الاسرائيلية فانه قال للسفير السوفيتى فى مصر أنه لم يعد أمامه غير شن هجوم كبير لاستعادة الجزيرة،الا أن السفير السوفيتى نصحه فى الحاح بعدم اللجوء الى هذا ، لأن ذلك من شأنه أن يدفع بالأزمة الى منطقة الضوء · واستخدم « الخط الساخن » بين واشنطن وموسكو فى تلك الحادثة وضغط الامريكيون على اسرائيل لتنسحب الامر الذى فعلته فى ستة وثلاثين ساعة من احتلال الجزيرة ·· لكن الاسرائيليين أخذوا معهم الاسرى المصريين وكميات من الاسلحة والذخائر والمعدات ووحدة رادار كاملة بريطانية الصنع من طراز دكـا · وبعدها بيومين ، أى فى الرابع والعشرين من يناير ، لقى ١٩ اسرائيليا مصرعهم وأصيب ٤١ آخرين فى ايلات عندما انفجرت سيارة محملة بألغام برية تم الاستيلاء عليها من شدوان ـ نتيجة اصطدام عجلتهـــا بسلم الانزال أثناء تفريغهم الزورق المحمل بالالغام والمعدات · وقد ادعى كل من المصريين والفدائيين مسئوليتهم عن هذا الانفجار الذى كان مجرد حادث ·

وبدأ عبد الناصر يعاني مخاوفا وقلقا من الوجهة السياسية ـ حيث كان يشعر بأنه اذا لم يزوده الاتحاد السوفيتي بأسلحة أكثر تطورا تعادل تلك التي تمتلكها اسرائيل ، فانه سيفقد ثقة شعبه • وكان بعض النقاد قد تنبأوا بالفعل بسقوط حكومته في الربيع • وفى ٢٢ ينساير ـ أى فى الوقت الذى احتل فيه الاسرائيليون جزيرة شدوان ، طلب عبد الناصر ـ رغم نصيحة السفير السوفيتي ألا يفعل ـ الاجتماع بصفة عاجلة بالقادة السوفيت ، وطار فى وقت لاحق فى نفس اليوم سرا الى موسكو التى بقى بها أربعة أيام •• وخلال هذه المفاوضات الصعبة ، أوضح عبد الناصر أن دفاعاته غير كافية على الاطلاق لصد الهجمات الاسرائيلية ، لأن الصواريخ السوفيتية لاتعادل طائرات الفانتوم بطياريها الاسرائيلين وبالاسلحة المضادة للصواريخ المزودة بها •

وكشف عبد الناصر عن عدم ثقته عموما بالاسلحة السوفيتية عندما طلب امداد بطائرات بعيدة المدى لاستخدامها فى قصف المراكز المدنية الاسرائيلية انتقاما لغارات الاسرائيليين فى العمق • وهى السياسة التى أراد اتباعها على الأقل الى أن يتم تحديث وتقوية دفاعاته الجوية •

ورأت الحكومة السوفيتية أنه من الواجب فعل شيء وأنه من الواجب اعطاء دفعة للروح المعنوية المصرية • لكنها رفضت طلب القاذفات بعيدة المدى ، ووعدت بدلا من هذا بتقديم أشكال أخرى من المعونة العسكرية •• وبعد هذا ، قال عبد الناصر فى خطابه أمام الاتحاد الاشتراكى العربى يوم ٢٣ يوليو ١٩٧٠ : ان الروس وعدوا بتقديم الوسائل الكفيلة للدفاع عن الأهداف المدنية والاقتصادية فى مصر • ان هذه المعدات الضرورية سيبدأ وصولها خلال ثلاثين يوما وهى قد وصلت بالفعل آخر الأمر ، ولكن ليس بنفس السرعة التى وعد بها السوفييت • وفى أول فبراير نفت السفارة المصرية فى موسكو رسميا أن عبد الناصر قام بعد احتلال الاسرائيليين جزيرة شدوان بزيارة الاتحاد السوفيتي ليطلب المزيد من الصواريخ وبعض طائرات الميج ـ ٢٣ • وفى ٢٣ يناير ، قامت الطائرات الاسرائيلية مرة أخرى بقصف معسكرات الجيش فى الهايكستب ووادى حوف • وأعلنت اسرائيل يوم ٢٥ يناير أن طائراتها هاجمت وأعطت قطعة بحرية مصرية كانت قد رست عند لسان صخرى قرب جزيرة شدوان • ويبدو أن هذه القطعة كانت تحمل حامية مصرية جديدة أو كانت تقوم بأعمال استطلاعية تمهيدا لاستعادة الجزيرة • ولكن المصريون أصروا على أنها كانت مجرد سفينة تجارية •• ووقعت يوم ٢٦ يناير عدة هجمات جوية اسرائيلية كبيرة على طول جبهة القناة ••وفى ٢٨ يناير ، شنت اسرائيل غارتها الثانية عشرة فى عمق مصر حيث هاجمت طائرات الفانتوم مخيما عسكريا فى المعادى ، التى تعد حيا سكنيا ، والتى تبعد خمسة أميال فقط عن قلب القاهرة ، وكان هذا أقرب هجوم من القاهرة منذ الغارات الاسرائيلية ، وكان بمقدور المواطنين المصريين فى القاهرة

أن يسمعوا دوى طلقات المدفعية وانفجارات القنابل • وقال المصريون ان الغارة أسفرت عن مصرع ثلاثة مدنيين واصابة اثنى عشر آخرين وتدمير اثنى عشر من مبانى المنطقة • وفى نفس اليوم أغار الاسرائيليون أيضا على معسكر الجيش في دهشـــور • وفى ٣٠ يناير ، اشتبكت الطـــائرات المصرية العـــاملة مع الطائرات الاسرائيلية للمرة الاولى منذ يوم ٩ ديسمبر ١٩٦٩• وشرح الصحفى محمد حسنين هيكل القصف الاسرائيلى لعمق مصر بقـوله ان اسرائيل تتبع فيه استراتيجية ذات أهداف ثلاثة ، هى أولا تشتيت القوات المصرية • ثانيا : مد نطاق جبهة القتال على طول ٦٢٠ ميلا حتى حدود السودان وسمعتهم ••

وجاء فى مذكرة كوسيجين أن الاتحاد السوفيتى سوف يرسل أسلحة أخرى لمصر وغيرها من الدول العربية لأن أمريكا أرسلت طائرات الفانتوم الى اسرائيل • وقد حاول الاتحاد السوفيتى بالفعل اعاقة بيع الطائرات لاسرائيل وفى ٥ فبراير ، أرسل الرئيس نيكسون رده على مذكـــرة كوسيجين فنفى مسئولية أمريكا عن تصعيد الحرب ، ودعا الى فرض حظر على ارسال الاسلحة الى المنطقة ، وحذر من أن أمريكا قد تضطر لبيع أسلحة لاسرائيل لمعادلة أى زيادة فى كميات الاسلحة التى يعطيها السوفييت لمصر • ومنذ ذلك الحين تقريبا ، اتسم الموقف الامريكى بالصلابة حيث أخذ نيكسون يصر على ضرورة اجراء مفاوضات واقرار سلام دائم ، لا مجرد التوصل الى تســـوية سياسية كما كان الروس يحبذون •

وفى الثـــانى من فبراير ، ضربت الطائرات المصرية المواقع الاسرائيلية على طول خط بارليف ، وعادت الى مهاجمتها عدة مرات خلال الايام التالية • وفى الخامس من فبراير ، كشف الاسرائيليون عن أن الروس كانوا يزودون طائرات الميج ــ ٢١ المصرية بالقنابل وصواريخ جو /أرض •

وفى ٨ فبراير شن الاسرائيليون غارات أخرى فى العمق كان من بـين أهدافها معسكرات بالقرب من التل الكبير وفى أسيوط بوادى النيـــل وفى حلون والقاعدة الجوية فى انشاص والمنشئات الموجودة فى مينائى الغـردقة وسفاجة على البحر الاحمر • وفى معظم الايام ، دارت معارك عنيدة فوق القناة واعترف الاسرائيليون بأنهم فقدوا فى تلك المعارك طائرة وقع طيارها أسيرا، الا أنهم ادعوا اسقاط طائرتين مصريتين • وفى نفس الوقت قال المصريون انهم دمروا فانتوم وأخرى سكاى هوك •

وفى ١٢ فبراير ، ضربت الطائرات الاسرائيلية مصنعا فى أبو زعبـــل بعده ١٥ ميلا شمال شرق القاهرة كان ينتج ٧٥ الف طن من القوالب الحديدية باستخدام نفايات المعادن • ووقعت الغارة بينما كان فى المصنع ألف عامل على وشك بدء العمل فى وردية الصباح ، مما أدى الى مصرع ٦٨ عاملا واصابة ٩٨ آخرين • وقد اعترف الاسرائيليون على الفور بأن عمليـــة القصف وقعت خطـأ وأن الهدف المقصود كان القاعدة الجوية فى الخانكة التى تبعد ميلين عن المصنع • وحذر موشى ديان فور هذا من أن طائرة اسرائيلية قد أسقطت

قنبلة موقوتة ستنفجر خلال ٢٤ ساعة ٠ وقال فيما بعد ان جهاز الرادار الذى يستخدمه الطيار لتحديد موقع القاء القنابل قد تعطل ، مما اضطر الطيـــار الاسرائيلى للاعتماد على الرؤية بالعين المجردة لتحديد الهدف فأخطأه بميلين ٠ وقد ادعى بالمصريون أن الاسرائيليين ضربا المصنع بالنابالم ، الأمر الذى نفى ديان حدوثه ٠ وقال الرئيس عبد النـــاصر بعد هذا (يوم ١٨ مارس) ان مستشاريه كانوا يريدونه أن يأمر بشن غارات جوية مصرية فى عمق اسرائيل ولكنه رفض ٠ وقال مرة أخرى أنه رغم تساوى عدد الطائرات التى تمتلكها كل من مصر واسرائيل ، فان الاسرائيليين أقوى ثلاث مرات من حيث فعالية قواتهم الجوية ، وان لدى اسرائيل من الطيارين ثلاثة أضعاف ما لدى مصر ٠ وفى نفس اليوم (١٢ فبراير) ، ضربت الطائرات الاسرائيلية موقعا للرادار فى جبل على بعد نحو ٢٥ ميلا غرب قناة السويس ٠ وبعد الخطأ الذى ارتكب فى أبو زعبل ، أوقف الاسرائيليون غارات القصف الاستراتيجية لمدة ثلاثة أيام ٠٠ وفى الرابع عشر من فبراير ، صدر أمر بالاظلام الكامل فى القاهرة وغيرها من المدن ، بعد أن أدت غارة أبو زعبل الى نقل الحرب بصـــورة مثيرة مفاجئة الى الجبهة الداخلية المصرية ٠٠ وفى ١٥ فبراير ، وقال الرئيس عبد الناصر ـ فى حديث لجيمس ريستون مراسل صحيفة نيويورك تايمز ـ انه سيلح على الروس ليمدوه بطائرات (ميج ـ ٢٣) وبأحدث المعدات الالكترونية لمواجهة الطائرات الاسرائيلية ، وأنه متردد فى طلب طيارين سوفيت ، الا انه قد يفعل هذا اذا واصل الاسرائيليون هجومهم على المراكز الصناعية المصرية ٠٠ وفى اليوم التالى أعلنت وكالة تاس السوفيتية أن الاتحـــاد السوفيتى سوف يقدم للدولة العربية « الدعم اللازم « لضمان أمنها فى مواجهة الهجمات الاسرائيلية ٠ وردت الولايات المتحدة على هذا فى ١٧ فبراير بأن كررت وزارة الخارجية فى واشنطن ما سبق اعـــلانه من أن أمريكا تنوى توفير الاسلحة للاسرائيليين بهدف المحافظة على التوازن العسكرى فى الشرق الاوسط وقالت جولدا مائير رئيسة الوزراء الاسرائيلية فى الكنيست أنه اذا احترم المصريون وقف اطلاق النار فسوف تفعل اسرائيل نفس الشىء ، والا فان اسرائيـــل سوف « تضرب فى العمق » ٠

لقد كان الهدف من غارات القصف الاستراتيجية الاسرائيلية هو اشعار شعب مصر فى الداخل بنتائج حرب الاستنزاف التى شنها عبد الناصر ٠ ولكن هذه الغارات أحدثت عكس هذا الى حد ما ، حيث زادت من حب الجماهير لعبد الناصر أكثر من أى وقت مضى لأن الجماهير روعت بقتل المدنيين الأبرياء ٠٠ ونتيجة لهذا ، تزايدت المطالبة بالضغط على أمريكا لتوقف امداد اسرائيـــل بالطائرات ٠ وبحث الاتحاد السوفيتى على تزويد مصر بالمزيد من الطـــائرات والمعدات الالكترونية الحديثة٠وقال الرئيس عبد الناصر أن اسرائيل لاتستطيع الحصول على السلام الا بعد جلائها عن جميع المناطق المحتلة ، بما فيها القدس

وسماحها بعودة اللاجئين الفلسطينيين ، واقامة دولة لمختلف الاجناس ، لا دولة يهودية ، ويتبع هذا عندئذ اعتراف العرب باسرائيل وكفالة حرية الملاحة في قناة السويس ٠وحذر الرئيس نيكسون- في تقريره الى الكونجرس في ١٨ فبراير - من أن محاولات السيطرة السوفيتية على الشرق الاوسط ستصبح مصدر قلق بالغ ٠٠ وفي ٢٠ فبراير ، رفض المندوب السوفيتي لدى الأمم المتحدة مقترحات التسوية في الشرق الاوسط التي تقدمت بها أمريكا وبريطانيا وفرنسا ٠ كما رفض الاقتراح الامريكي ببدء محادثات تستهدف وضع قيود على ارسال الاسلحة للشرق الاوسط ٠ فقد كان الاتحاد السوفيتي يخشى من أن اسرائيل ربما كانت تحاول عن عمد اسقاط عبد الناصر بسبب موقفه المتصلب ازاء التسوية السلمية وأن أمريكا تؤيد اسرائيل في محاولتها هذه ٠

واستؤنفت غارات اسرائيل في العمق يوم ١٤ فبراير ، وهو اليوم الذي أسقطت فيه المدفعية الاسرائيلية المضادة للطائرات طائرة مصرية من طراز (اس - يو ٧) فوق القناة ، وادعت اسرائيل أن هذه الطائرة كانت الطائرة رقم ٦٨ التي أسقطت لمصر منذ حرب يونيو ٠٠ ووقعت خلال الايام التالية غارات أخرى على موقع الرادار ومواقع الصواريخ والمنشآت العسكرية وفي ١٩ فبراير ، بينما كان المصريون يقصفون المواقع الاسرائيلية على الضفة الشرقية من القناة بالقرب من القنطرة وبالقرب من البحيرات المرة ، أسقطت طائرة اسرائيلية اعترفت اسرائيل بأنها الطائرة التاسعة عشرة التي أسقطت على جميع الجبهات من حرب يونيو ٠ وفي اليوم التالي ، ادعى المصريون أنهم أسقطوا منذ حرب يونيو مائة وأربعين طائرة اسرائيلية ، منها اثنتان « خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية ٠

وقالت هيئة الاذاعة الكندية يوم ٢٥ فبراير أن الاسرائيليين كانوا يتلقون أربع طائرات فانتوم شهريا حتى يستكملوا الخمسين طائرة المقرر حصولهم عليها قبل يونيو ١٩٧٠ وأن أمريكا سبق أن وافقت على منح اسرائيل خمسا وعشرين طائرة فانتوم أخرى اذا لم يوقف سباق التسلح في المنطقة ٠

وفي يوم ٢٦ فبراير ، أغار الاسرائيليون على قاعدة لصواريخ سام لاتبعد غير ثلاثة أميال الى الجنوب الغربي من القاهرة وعلى أهداف أخرى في الدلتا٠ وعندما اندفعت الطائرات المصرية لاعتراض الطائرات الاسرائيلية نشبت عدة معارك عنيفة ٠ وادعى الاسرائيليون أنهم أسقطوا ثلاث طائرات ميج مصرية باستخدام نيران المدافع ، أثناء هجومهم على قاعدة الصواريخ في دخميس على بعد حوالي سبعين ميلا شمالي القاهرة ٠

واستمر الصراع في الجو خلال شهر مارس ، فلم يكد يوم يمر دون معارك ضارية فوق القناة أو غارات جوية اسرائيلية ٠ ففي أول مارس على سبيل المثال - ادعى المصريون أن اثنين وثلاثين من الجنود والمدنيين لقوا مصرعهم نتيجة غارات جوية اسرائيلية ٠ وفي يوم ٦ مارس ، وعندما ضرب

الاسرائيليون موقعا للرادار قرب دمياط ، ادعى الاسرائيليون أنهم اسقطوا طائرتي ميج مصريتين كانتا قد هاجمتهم • وفي الثـــاني عشر من مارس ، ضربت الطائرات الاسرائيلية مواقع الرادار في أبو صوير على بعد ٨ أميال من الاسماعيلية • كما ضربت مرة أخرى جبل على طـــريق الاسماعيلية ـ القـــاهرة •

وقال الاسرائيليون أنهم أسقطوا في نفس اليوم طائرة (اس يو ـ ٧) مصرية فوق سيناء ، الأمر الذى أظهر أن الطيارين المصريين كانوا يخترقون المجال الجوى الاسرائيلي •• وفي اليوم التالى أعلن المصريون أن خمسة مدنيين قد لقوا مصرعهم وأصيب ستة وثلاثون آخرون نتيجة انفجار قنابل زمنيـــة ألقيت أثناء غارة على قرية (سرسك) بالقرب من المنصورة •

وأعلنت مصادر أمريكية فجأة يوم ١٨ مارس أن الاتحاد السوفيتي كان قد بدأ في تسليم صواريخ سام ـ ٣ لمصر بأعداد ضخمة •• وقالت صحيفة نيويورك تايمز في اليوم التالى أن ألفا وخمسمائة من الافراد السوفيت ـ منهم ألف فتي وخمسمائة جندى لحراستهم ـ قد وصلوا الى مصر مع صـــواريخ سام ـ ٣ • وكان قد تم بالكامل تقريبا تدمير جميع مواقع صواريخ سام ـ ٢ على طول جبهة القناة وفي أماكن أخرى من مصر •• ورغم أن المصريين كانوا يبنون مواقع جديدة مكان التى تدمر ، فان الاجهـزة الالكترونية المضـــادة للصواريخ كانت تمكن الطيارين الاسرائيليين من الهرب من صواريخ سام ـ ٢ دون جهد يذكر بالطيران على ارتفاعات منخفضة ، حيث تقل فعالية صواريخ سام ـ ٢ عند الارتفاعات الاقل من الفى قدم •• وخـــلال أيام ، رصـــد الاسرائيليون حـــوالى ١٥ موقعا لصـــواريخ ســـــام ـ ٣ حـــول القاهرة والاسكندرية وسد أســـوان وقواعـد جوية معينة •• وكان يصـــل لمصر المزيد من صواريخ سام ـ ٢ التى كان يتم تشكيلها في شبكة صواريخ سام وتم أيضا تسليم مصر مدافع مضادة للطائرت توجه بالرادار • لقد ظهـــر صاروخ سام ـ ٣ للمرة الاولى في القوات السوفيتية ١٩٦٤ حيث يوضع فوق السفن الحربية السوفيتية •• وقد كان سلاحا يصل أيضـــا الى ارتفاعات عالية « ومدى الميل » له هو حوالى ٣٣ ميلا ، وأقصى ارتفاع له ٤٠ ألف قدم ، بينما لم يعرف أقل ارتفاع له • وكان الصاروخ مزودا برادار متقدم ومعدات الكترونية أقل تأثرا للتشويش من تلك المزود بها صاروخ سام ـ ٢ • وكان الصاروخ سام ـ ٣ يحمل على قاذفة صواريخ متحركة ، ولكن كان من الضرورى ايقاف القاذفة لاطلاق الصاروخ الذى كان مكونا من مرحلتين ومزودا بوقود صلب طوله حوالى ١٨ قدما • ورغم أنه يعد أكثر تطورا من صاروخ هوك الامريكي ، فانه كان يعاني هو الاخر من نفس المشكلة المعتادة ، مشكلة التعرف على الهدف •

عمل المصريون تحت اشراف الروس وبتوجيههم على اقامة حزام دفاعي صلب بعرض حوالى ١٦ ميلا ويزيد طوله على خمسين ميلا في المنطقة الموازية لقناة السويس بعمق مابين ٢٠ ، ٣٠ ميلا على ضفتها الغربية وهي المنطقة التي تم فيها ربط صواريخ سام ـ ٢ والمدفعية المضادة ـ للطائرات بمواقع الرادار • وكان تكوين حائط صد كامل في مواجهة الهجوم الجوى الاسرائيلى يعنى تمركز عديد من بطاريات صواريخ سام في مواقع متقاربة الى درجة كبيرة بهدف أن تتداخل مساراتها بحيث تغطى بالكامل المجال الجوى للمنطقة المواجهة لها • وكان الاسرائيليون يخشون من أن تتمكن مصر من اقامة شبكة قوية لصواريخ سام ، حيث سيحد هذا من حريتهم في الحركة في الجو ••

ولهذا حاولت القوات الجوية الاسرائيلية ـ في فورة غضب جامح أن تدمر هذه الشبكة خلال الايام العشرة الاخيرة من مارس ، واستمرت بعض الغارات أربع ساعات كاملة للغارة الواحدة •• ورغم تدمير كثير من مواقع صواريخ سام ، فقد أقيم المزيد من هذه المواقع •• وبالرغم من هذا الضغط الاسرائيلى المكثف ، فقد تكونت شبكة صواريخ سام ، لكنها لم تكن تمثل حائط صد طالما لدى الطيارين الاسرائيليين الأجهزة الالكترونية المضادة للصواريخ التي كانت تمكنهم من تجنب الصواريخ • وفي نفس الوقت وقعت غارات أخرى في العمق • وتعرضت مواقع الرادار بصفة خاصة للهجوم • وكثيرا ما خرجت الطائرات المصرية لصد الطائرات الاسرائيلية المهاجمة • ففي السابع والعشرين من مارس على سبيل المثال ، ادعى الاسرائيليون أن مصر خسرت خمس طائرات ميج في معركة شمال السويس ، أسقطت ثلاث منها ، وانفجرت واحدة في الجو ، واصطدمت الخامسة بالأرض ، مما جعل اجمالى الطائرات المصرية التي ادعى الاسرائيليون أنهم أسقطوا على الجبهة المصرية منذ الحرب خمسا وثمانين طائرة ، بينما اعترفوا بأن خسائرهم على الجبهة المصرية وصلت الى احدى عشرة طائرة •

وفي اليوم الاخير من مارس ، قال المصريون ان ١٢ مدنيا لقوا مصرعهم وأصيب خمسة وثلاثون آخرون في غارة جوية اسرائيلية على المنصورة •

وبينما كان كل هذا النشاط يجرى في الجو ، واصلت المدفعية على جانبى القناة تبادل القصف دون توقف تقريبا ، بينما كان رجال الكوماندوز يقومون بنشاط متقطع • وكان لدى المصريين خمس عشر وحدة قوية من «القوات الخاصة» بينما كان الاسرائيليون يستخدمون في مثل هذه العمليات رجال الكوماندوز البحريين (وعددهم حوالى خمسمائة) والمظليين • وفي ٥ فبراير دخل رجال الضفادع البشرية المصريون ميناء ايلات ووضعوا متفجرات أدت الى تدمير سفينتين صغيرتين غرقت احداهما وتم سحب الأخرى الى الشاطىء لانقاذها من الغرق •

وفى اليوم التالى ، قامت الطائرات الاسرائيلية بعملية انتقامية أغرقت خلالها كاسحة ألغام سوفيتية الصنع قرب الغردقة المصرى . وفى ٥ فبراير أيضا ، عبر رجال الكوماندوز المصريون القناة بالقرب من « اللسان » على بعد نحو عشرين ميلا الى الجنوب من بور سعيد .. وادعوا انهم دمروا دبابتين اسرائيليتين ومركبتين مدرعتين وسيارة جيب اسرائيلية وذلك فى كمين نصبوه هناك . واعترف الجنرال بارليف يوم ٧ فبراير بأن المصريين أحرزوا نجاحا فى عملية ايلات « وبعض عمليات عبور القناة » كما تحدث عن « بضعة مئات من الجنود المقاتلين المصريين المدربين تدريبا جيدا » .. وأظهر اعتراف الاسرائيليين بالمشكلة مدى ما سببته لهم من ضيق .

وقال المصريون يوم ١١ فبراير أن وحدة كوماندوز ، مصرية عبرت القناة والحقت بالاسرائيليين خسائر عشرين فردا ، ونفى الاسرائيليون هذا قائلين أن ثلاثة فقط من جنودهم قد اصيبوا فى العملية . وقبلها يوم ٢٧ يناير ، كان المصريون قد أعلنوا أن رجال الكوماندوز قد تسللوا خلف المواقع الاسرائيلية فى سيناء وأغاروا على مواقع اسرائيلية فى غزة ، ونفى الاسرائيليون وقوع مثل هذه الغارة . فقد كانت حرب البلاغات والدعاية ماتزال مستمرة بعنف .

وفى ١٤ مارس ، عبر الاسرائيليون الممر المائى فى قوارب من المطاط وشنوا أثناء النهار هجوما على أربعة مواقع مصرية متقدمة احتلوها لفترة قصيرة وخسروا فى العملية قتيلين وأربعة جرحى ، بينما ادعوا أنهم قتلوا ثمانية مصريين . ودمرت فى العملية بعض المبانى ، **وأكد الاسرائيليون أن العملية أثبتت قدرة اسرائيل على اقامة رأس جسر على الضفة الغربية للقناة . لكن المصريون ادعوا أن رجال المدفعية المصرية أحبطوا الغارة وأغرقوا عدة قوارب ومنعوا نزول الاسرائيليين الى الشاطىء . وفى ٢٢ مارس** ، لقى اسرائيليان مصرعهما وأصيب أحد عشر آخرون عندما أصيبت سيارة النقل التى أقلتهم بلغم أرضى على بعض نحو خمسين ميلا الى الجنوب من العريش ، الأمر الذى بين أن رجال الكوماندوز المصريين أو الفدائيين كانوا يتسللون الى صحراء سيناء رغم نفى اسرائيل المتكرر . وفى ٢٦ مارس ، عبر رجال الكومانوز المصريون القناة قرب الطرف الشمالى لسيناء فى وضح النهار ، ونصبوا كمينا لداورية اسرائيلية فقتلوا ضابطا واحدا وأصابوا ثلاثة جنود بجراح واستمرت العمليات على هذا المنوال .

وعلى المسرح السياسى ، تردد أن العقيد القذافى سحب يوم ١٥ مارس ١٩٧٠ الكتيبة الليبية القوية المكونة من ٨٠٠ جندى من جبهة القناة . وكانت هذه الكتيبة ــ التى أرسلها فى الأصل الملك ادريس قد ظلت هناك منذ حرب يونيه ١٩٦٧ ، وكان هذا التحرك فى الواقع مجرد تغيير سياسى لأفراد الكتيبة وأرسل جنودا ليبية آخرين ليحلوا محل من تم سحبهم . وبعد هذا ، وصل

أمل بعث شيء من حسن النوايا الى شعور روسيا • أعلن ويليام روجرز وزير الخارجية الأمريكي يوم ٢٣ مارس أن الرئيس نيكسون قرر أن يؤجل مؤقتا النظر في طلب اسرائيل امدادها بخمس وعشرين طائرة فانتوم و ٨٠ طائرة سكاي هوك اضافية • لكن هذا لم يؤد الى أي رد فعل روسي • بل على العكس من هذا ، أفادت الانباء بعدها بثلاثة أيام ــ يوم ٢٦ مارس ــ بأنه تم تدعيم الأسطول السوفيتي في البحر المتوسط بحاملتي طائرات هليكوبتر مما جعل عدد قطع الاسطول هناك نحو خمسين قطعة منها حوالى ١٣ غواصة •

واستمرت الغارات الاسرائيليـــة الاستراتيجية • ففي ٨ أبريل ادعى المصريون أن الاسرائيليين قصفوا بقنابلهم مدرسة في قرية بحر البقر التى تبعد حوالى عشرين ميلا غربى القنطرة • وجاء في التقارير الاولية أن ثلاثين طفلا قتلوا وأصيب أكثر من خمسين • ولكن أعيد تصحيح الأرقام ، فأصبح عدد القتلى ٤٦ طفلا بعد وفاة عـــدد من الجرحى • وفي اليوم التـــالى ، شـــاهد الصحفيون جثث الاطفال القتلى ، ولكن لم يسمح لهم بمشاهدة المبنى الذىادعى الاسرائيليون أنه كان يستخدم لأغراض عسكرية • وعرض ديان على الصحفيين صور مبني أشبه بقلاع وتوجد في فنائه مركبات عسكرية ، وقال أنه اذا كان جزء منه يستخدم كمدرسة فأن هذا دليل على « عـــدم احساس اجـــرامى بالمسئولية » • وفي ١٥ أبريل ، أعلن الاسرائيليون أن لديهم «دليلا لايدحض» على أن المصريين أمضوا خمسة أيام في ازالة آثار الوجود العسكرى من المبنى •• واستؤنفت غارات القصف الاسرائيلية الاستراتيجية يوم ١٣ ابريل حيث ضربت الطائرات الاسرائيلية أهدافا في منطقة حلوان • وفي منتصف أبريل ، قام جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية بزيارة للشرق الأوسط • وفي ١٤ أبريل ، أشار الى خلافات كبيرة في وجهات النظر بين مصر واسرائيل • وفي اليوم التالى تحدث موشى ديان عن السياسات الروسية والامريكية ، فقال ان اسرائيل ربما تضطر الى خوض القتال من أجل البقاء وحدها اذا تخلى الغرب عنها • وقال ان الروس قد أصبحوا يمثـــلون مشكلة عسكرية أســـاسية للاسرائيليين ، حيث أنه اذا لم يقصروا عملهم على تشغيل صواريخ (سام-٣) التى لم تكن أهدافا حيوية للدفاع الاسرائيلي ــ فلن يمكن تجنب الحرب •• ومن الواضح أنه كان يشير الى احتمال استخدام طيارين سوفيت ضد اسرائيل، وأضاف : « اننا سوف نضطر الى تحقيق تعايش مع فكرة وجود الروس في أجواء مصر ، لا أجواء اسرائيل ، وآمل أن نحقق هذا بالفعل » لكن آماله كانت تتسم بمغالاة شديدة في التفاؤل •

وسبق عندما طلب الرئيس عبد الناصر الى الروس امداده بطـــائرات الميج ٢٣ ان قال أنه اذا لم يحصل على هذه الطائرات فسوف يضطر أما الى ارسال طياريه الذين يفتقرون الى الخبرة لمواجهة الطائرات الاسرائيلية ، بما يعانيه هذا من خسائر فادحة أو الى أن يظل صامتا ليشهد تدمير شبكة صواريخ سام المصرية • وكان رد السوفيت على مطالب عبد الناصر مكونا جزئـــين

أولهما ارســـال صواريخ سام ـ ٣ التى وصلت الى مصر فى مارس والتى استخدمت فى الدفاع عن مدن ومطارات معينة وعن سد أسوان .. ولم يأت منتصف أبريل الا وكان قد أقيم فى مصر أكثر من عشرين من بطاريات الصواريخ فى مصر يديرها أفراد سوفيت ، الامر لذى حد بصفة متزايدة من حـــرية اسرائيل فى الحركة فى المجال الجوى المصرى . فلم يكن بمقدور الاسرائيليين أن يخاطروا بأن يحدثوا عمدا خسائر بين الافراد السوفييت ، لأنهـــم لـــم يكونوا يعرفون بالتحديد كيف يمكن أن يكون رد فعل الحكومة السوفيتية فى مثل هذه الحالة وكان الجزء الثانى من الرد السوفيتى هو ارسال طـــائرات (ميج ـ ٢١ ج) جديدة وصلت الى مصر فى أوائل أبريل ومعها طيـــارون وملاحون أرضيون سوفيت . ووضعت هذه الطائرات فى قواعد جوية خاصة كانت خاضعة بالكامل للسيطرة السوفيتية .وكانت طائرة الميـــج ـ ٢١ ج عبارة عن ميج ـ ٢١ معدلة تحمل أجهزة رادار أفضل ، وأجهزة أكثر فعالية للتحكم فى اطلاق النيران وتســـتطيع حمل خزانات اضـــافية للوقود فى أجنحتها ، الأمر الذى يعطيها مدى كافيا لنضرب داخل اسرائيل . وسرعان ما وصل عدد طائرات (الميج ـ ٢١ ج) التى يقوم بتشغيلها طيارون سوفيت فى مصر الى حوالى مائة وخمسين طائرة . وفى منتصف أبريل ، كانت هذه الطائرات قد تحملت مسئولية الدفاع عن وادى النيل والدلتا ، مما أدى على الفور الى انهاء مرحلة القصف الاستراتيجى الاسرائيلى فى العمق . فكانت آخر غارة هى التى تمت يوم ١٧ أبريل . فقد أدى هذا التحرك أذن الى حرمان القوات الجـــوية الاسرائيلية فجأة من هذا البـــديل الذى يتمتع بقيمة عالية للغـــاية . وقد وصف البريجادير هود قائد القـــوات الجـــوية الاسرائيلية الموقف فيما بعد بأن هناك « قبضة روسية فى قفاز مصرى » ..

وكان معنى هذا أنه لم يعد ، بمقدور موشى ديان أن يفاخر كما فعل قبلها فى يناير ـ بأن « مصر كلها هى ميدان قتال لنا » .

٨ ـ المعركة الالكترونية

« سيكون هذا الصيف مكهربا .. صيفا الكترونيا »

موشى ديان

اضطرت اسرائيل لوقف غارتها الاستراتيجية فى العمق بمجرد أن اتضح أن الطيارين السوفيت قد تولوا مسئولية الدفاع الجوى عن وادى النيل والدلتا ، وأن أطقما سوفيتية تقوم بتشغيل بطاريات صواريخ سام ـ ٣ . وبهذا فرغ الطيارون المصريون لمنطقة القناة ، وتحول تركيز القوات الجوية المصرية الى خط بارليف . وعلى الأرض ، تزايد أيضا نشاط المدفعية ، وقتل حوالى ٢٧ ـ اسرائيليا فى شهر أبريل . صحيح أن أكثر من مائتى سوفيتى ظلوا يقومون بطلعات تدريبية فى مصر لأكثر من سنتين قبلها .. لكن هذه كانت مسألة مختلفة .

وأخذت الطائرات المقاتلة المصرية تضرب المواقع الاسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة بصفة مستمرة تقريبا طيلة الفترة من ١٩ الى ٢١ أبريل وادعى الاسرائيليون أنهم اسقطوا طائرتين مصريتين فى هذه المعارك . وفى ٢٣ أبريل ، تسللت الطائرات المصرية عبر سيناء لتضرب مستوطنة ناحال يام العسكرية الاسرائيلية ، الا أن الاسرائيليين قالوا ان الغارة لم تسفر عن أية خسائر . شنت الطائرات الاسرائيلية فى اليوم التالى هجوما انتقاميا على المواقع المصرية على الضفة الغربية للقناة . ووقعت اشتباكات عنيفة بالمدفعية يوم ٢٨ أبريل وذكر الاسرائيليون ان المصريين أطلقوا فيها ألف قذيفة خلال أربع وعشرين ساعة وشهد يوما ٢٨ ـ ٢٩ أبريل نشاطا جويا مكثفا من الجانبين فوق القناة . وادعى الاسرائيليون أنهم اسقطوا وقتها طائرتين من طراز (س يو ـ ٧) فوق سيناء .

وقال الرئيس عبد الناصر يوم ٢١ ابريل أن الغارات الاسرائيلية لم تؤد الا الى تعزيز الوحدة الوطنية للمصريين ، وتقوية اصرارهم على الاستمرار فى القتال حتى النصر . وأضاف (لقد أعدنا بناء قوتنا الدفاعية بالكامل، ونحن قادرون على الرد على أى اعتداءات اسرائيلية بهجمات مضادة على نطاق واسع) .. وفى ٢٦ أبريل ، عين محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام وزيرا للارشاد القومى .. وكان من بين مهام منصبه الجديد الرقابة على التليفزيون والصحافة ووسائل الاعلام المصرية ، بما فيها وكالة أنباء الشرق الاوسط ..

واحتفظ هيكل بمنصبه كرئيس لتحرير الاهرام ، وأصبح سلفه في وزارة الارشاد محمد فايق وزيرا للخارجية ·· وفي نفس الوقت ، استمرت غارات الكوماندوز عبر القناة ·· وادعى المصريون يوم ٢٦ ابريل أنهم قاموا بعمليتين وادعوا أن العملية الاولى قام بها مائتان من رجال الكوماندوز عند الشط في القطاع الجنوبي ، حيث أبادوا ٣٥ اسرائيليا ·· كما دمروا عددا من الدبابات وسيارات النقل ، بينما لم يفقدوا غير « عدد قليل من الجنود المصريين » ·· وأصدر الاسرائيليون تكذيبا لهذا ، الا أنهم اعترفوا بأن خمسة من جنودهم أصيبوا بجراح في كمين تعرضت له داورية ميكانيكية اسرائيلية ·· ووقعت الغارة الاخرى قرب البلاح ، لكن الاسرائيليون ادعوا أنهم أغرقوا أثناءها عدة زوارق كان كل منهما يحمل ثمانية جنود مصريين ·

وأعلن المصريون يوم ٢٩ أبريل أن ستمائة جندي مصري قد عبروا القناة على جبهة بطول ١٥ ميلا من البلاح والاسماعيلية ، وأن الجنود انسحبوا بعد معركة استمرت اثنتي عشرة ساعة قتلوا وجرحوا أثناءها « عشرات » من الاسرائيليين ودمروا ٩ دبابات ومركبات بينما كانت خسائرهم ثلاثة جنود مصريين فقط بين قتيل وجريح ·· وادعى المصريون أن هذه كانت ثاني ضربة قوية يوجهونها للمواقع الاسرائيلية خلال أسبوع واحد ، وأن الاسرائيليين اضطروا الى استخدام المدرعات لاجبار القوة المصرية على الانسحاب ·· وعلى الجانب الآخر ، أعلن الاسرائيليون أن ما بين ٤٠ ، ٥٠ جنديا مصريا فقط قد عبروا القناة لمهاجمة موقع اسرائيلي واحد · لكن القوات الجوية والبرية صدت الهجوم ، وأنهم أغرقوا في نفس الوقت أربعة قوارب مطاط مصرية كان كل منها يحمل ثمانية جنود · وأن شوهدت بعد هذا حوالى ٤٦ جثة طافية على سطح القناة ·· وفي ٣ مايو ، عبر الكوماندوز المصريون خليج السويس وأطلقوا صواريخ الكاتيوشا على معسكر اسرائيلي من موقع اتخذوه وسط مخلفات حرب يونيو على بعد حوالى ثمانمائة ياردة من الطور ·· لكن الاسرائيليين أعلنوا أنه لم تلحق بالمعسكرات أية خسائر ومن المؤكد أن الجيش المصري كان يقاتل بقدر أكبر من الثقة خلال النصف الثاني من أبريل · وجاء في بيان أصدرته الحكومة الاسرائيلية في ٢٩ أبريل أن طيارين سوفيت كانوا يقومون بطلعات قتالية من القواعد المصرية ، الا أنهم لم يصلوا بعد في عملياتهم الى منطقة القناة · كما لم يشتبكوا بعد في معارك مع الطيارين الاسرائيليين · وقال متحدث عسكري ان عشرات من الطيارين السوفيت كانوا يقومون بطائرات ميج — ٢١ بداوريات في مناطق معينة وبعمليات اعتراضية في مواجهة الطائرات الاسرائيلية · وذكر المتحدث أيضا أن للمصريين على جبهة القناة ما يقدر ما بين ٨٠٠ ، ٩٠٠ ، مدفع و ٧٠٠ دبابة · وكان الجنرال بارليف قد قال قبل هذا — يوم ٦ ابريل أن الطيارين

السوفييت يشكلون الحلقة الاخيرة فى نظام صواريخ سام ـ ٣ المضـــادة للطائرات وأنه أصبح بمقدور المصريين مرة أخرى أن يشنوا اعتداءات على طول القناة نتيجة الدور الذى يلعبـــه الروس فى أجواء مصر ، وأعلن بارليف أنه ينوى ضرب بطاريات صواريخ سام ـ ٣ بالرغم من وجود أطقم روسية فيها ، الا انه أشار الى أن الطيارين الاسرائيليين « سيراعون عدم ضرب بور سعيد أو الاسكندرية لوجود سفن سوفيتية فيها ٠٠ وأوضـــح الجنرال بارليف أن الطيارين المصريين بدأوا آنئذ يستخدمون أساليب القصف الفنية السوفيتية ، حيث يعبرون القناة على ارتفاعات منخفضة ، وقبل الوصول الى أهدافهـــم مباشرة ، يرتفعون بطائراتهم فجأة الى ارتفاع يتراوح بين ١٥٠٠ ، ٢٠٠٠ قدم حتى يكونوا على ارتفاع كاف للانقضاض والقاء القنابل على الهدف ، أى باختصار نفس التكتيكات التى استخدمها الاسرائيليون فى ضربتهم الوقائية فى يونيو ١٩٦٧ ٠

كان خطاب عبد الناصر فى حلوان يوم أول مايو ايذانا بعودة الزعيم الواثق الذى سبق أن أقنع السوفييت بدعم سياسته فى الشرق الاوسط ٠٠ فقد قال « ان تغيرا قد حدث فقد استعادت قواتنا المسلحة زمام المبادأة بعمليات عسكرية جريئة فى الجو وعلى الارض » ، وأضاف أن الطائرات المصرية قد تضرب المدنيين الاسرائيليين وذكر بأنه (لولا المساعدات السوفيتية لكـــان موشى ديان يجلس فى القاهرة الان » ٠٠ فقد أصبح بمقدور عبد النـــاصر آنئذ ـ بعد أن صار فى موقف داخلى أقوى كثيرا من ذى قبل ـ أن يدعم مركزه فى مواجهة تحدى الفدائيين كما أصبح المصريون أكثر استخداما للتخطيـــط الاستراتيجى وتخطيط العمليات ٠٠ واعترف عبد الناصر يوم ٤ مايو بأن الغارات الاستراتيجية الاسرائيلية فى العمق المصرى كانت قد انتزعت منـــه زمام المبادأة العسكرية ، واضطرت جيشه الى التفوق فى وضع دفاعى مشتت ٠٠ لكن قلقا عميقا أصاب الاسرائيليين بسبب ما أسموه « العدوان الروسى الوشيك » كما أنهم كانوا يتســاءلون عن المدى الذى يمكن أن يذهب اليه الروس ٠ فقد تم بالفعل دفع الحرب بعيدا عن وادى النيل والدلتا الى منطقة القناة ، وأصبح نشاط الاسرائيليين محصورا فى منطقة لاتبعد عن القنـــاة أكثر من ٢٥ ميلا ٠ وتنبأ ديان « بصيف الكترونى » تحدث فيه المواجهة بين الطائرات التى تحمل وسائل الكترونية مضادة للصواريخ وبين صـــواريخ سام ـ ٢ وسام ـ ٣ السوفيتية ٠

وتجدد جو الثقة فى القاهرة فى أوائل مايو ، وعادت الاضـــواء الى الظهور ليلا فى القاهرة والمدن الاخرى ٠٠ واستمر العمل فى بنـــاء شبكة صواريخ سام طيلة شهر مايو ٠ ولم ينتصف شهر مايو الا وكان قد تم تنظيم الطيارين السوفييت وتقسيمهم على ٢٤ سربا عاملا اتخذت قواعدها فى أربعة

مطارات قريبة من القاهرة ومطار بني سويف على بعد حوالى ستين ميلا الى الجنوب من القاهرة ٠٠ وأصبح هؤلاء الطيارون جزءا من النظـــام الدفاعى المصرى بالفعل وتم الربط بينهم وبين بطاريات صواريخ سام ــ ٣ العشرين التى كان يوجد فى كل منهما خمسون من العسكريين السوفيت لحمايتها ٠ ولم تكن شبكة صواريخ سام تتضمن صواريخ سام ــ ٣ حتى ذلك الحين ٠ وقال موشى ديان يوم ٩ مايو أن الطيارين السوفيت وصواريخ ســام ــ ٣ قد خلقوا موقفا حرجا ، وكرر مرة أخرى قوله أنه على اسرائيل أن تسعى الى « التعايش » مع الروس فى أجواء مصر ، مما يعد اشارة الى أنه بدأ عاقدا العزم على قبول نطاق الـ ٢٥ ميلا غرب القناة ، وهو المدى الذى بـدا أن الروس سمحوا به للاسرائيليين ضـــمنا ٠ وأعلن يوم ١٩ مايو عن تخصيص ٤٣ ٪ من الميزانية العـامة لمصر لأغراض الدفاع ، أى حوالى ٥٥٣ مليون جنيـــه استرلينى (وهى الميزانية التى تم اقرارها رسميا بعد هذا يوم ٩ يونيه) ٠ وقال عبد النـــاصر فى حديث الى صحيفة داى فيلت يوم ٢١ مايو : « أن الطيارين السوفيت العاملين على طائرات القوات الجوية المصرية كان يمكن أن يخوضوا معارك عنيفة ضد الاسرائيليين » ولكن لم يكن من المعتقد أن هـذا قد حدث حتى ذلك الحين٠وفى اليوم التالى ، طلب أبا ايبان وزير خارجيـة اسرائيل فى مقابلته مع الرئيس نيكسون ــ امداد اسرئيل من الطـــائرات ولكن قيل له أنه لم يتخذ أى قرار بهذا الشأن ٠

وفى أوائل مايو ، وبالتحديد يوم ٤ مايو ، أغارت الطائرات المصرية على مشارف العريش ٠ وادعى الاسرائيليون أنهم أسقطوا فى هذه الغـــارة طائرتين مصريتين من طـــــراز اليوش ــ ٢٨ الا أن المصريين لم يعترفوا الا بخسارتهم طائرة واحدة ٠ وقد انشغل الاسرائيليون خلال النصف الاول من الشهر بالموقف على حدودهم مع لبنان ٠ ولم يبدأ الهجوم الاسرائيلى على منطقة القناة الا يوم ١٤ مايو ٠٠ وبدأ لمدة يومين أن الهجـوم الاسرائيلى لا يقابل الا بمقاومة ضئيلة حيث بدا أن الاسرائيليين تمكنوا من شن هجمات عـلى المواقع القوية على طول القناة لخمس ساعات كاملة فى المـــرة الواحدة ٠٠ وبدأت الطائرات المصرية فى التدخل تدريجيا ، فدارت عدة معارك جوية فى المنطقة الواقعة بين القناة وشبكة صواريخ سام ٠ وادعى المصريون يوم ١٦ مايو أنهم أسقطو طائرتين اسرائيليتين بينما ادعى الاسرائيليون أنهم دمروا خلال يومين خمس طائرات مصرية أسقطت أربع منهـــا ٠ بينمـا انفجرت الخامسة ــ وهى من طراز ميج ــ ٢١ فى الجو ٠ وفى ١٩ مايو ، تحــــولت الغارات الاسرائيلية عن الدفاعات المتقدمة على القناة الى شبكة الصواريخ لمنع أعمال البناء فى الشبكة ٠ وأعلن الاسرائيليون يوم ٣١ مايو أن عدد القتلى منذ حرب يونيو ١٩٦٧ بلغ ٥٤٣ جنديا و ١١٦ مدنيا وأن عدد الجرحى بلغ ١٧٦٣ جنديا و ٦٢٩ مدنيا ٠ وأن القتال البرى فى منطقة القناة خلال شهر مايو سفر عن مصرع ٤٢ جنديا اسرائيليا واصابة ١٠٦ آخرين ، الأمر الذى يدل على مدى كثافة القتال ٠

وكان من الواضح أن الجانبين قد أردوا استعراض عضـــلاتهما بعض الشيء ٠٠ ففى يوم ٥ مايو عرضت اسرائيل على الصحفيين بعض معداتهـــا الحربية الجديدة التى كان من بينها زورقان فرنسيان الصنع مزودين بصواريخ جابرييل ، ومدفع مضاد للدبابات عيار ٩٠ مم محمول على عربة نصف جنزير من طراز (أم ـ ٣ ويمكنه التحرك والدوران ، ودبابة معـدلة من طـراز باتون مزودة بمدفع عيار ١٠٥ مم ومضاف اليها محرك ديزل أمريكى يعطيها القدرة على التحرك لعشر ساعات متواصلة دون التزود بالوقود وقيل ان هذه الدبابة تعادل الدبابة (تى ـ ٥٥) السوفيتية الصنع ٠ وعلى الجانب الآخر من القناة ، وفى نفس الاسبوع ، أشرف الروس على مناورات مصرية قام خلالها تشكيل مدرع مصرى بشن هجمات عبر عوائق مائية على بحيرة قرب الفيوم جنوب القاهرة ، وترد وقتها أن الروس خرجوا بانطباع طيب للغـــاية عن المناورات ٠

وأكدت جولدا مائير رئيسة الوزراء الاسرائيلية للكنيست يوم ٢٦ مايو أن اسرائيل سبق أن وافقت على قرار نوفمبر ٠ وقالت آنه كان من المفترض أن الاتحاد السوفيتى يرغب فى استمرار التوتر ونزاعات الحدود بين العرب واسرائيل ، الا أنه لايريد حربا شـــاملة ٠ وأكدت مائير صـــحة التقديرات القائلة بوجود عشرين قاعدة لصـــواريخ ســـام ـ ٣ فى قلب مصر ، وبأن الاتحاد السوفيتى أمد مصر منذ حرب يونيه بستمائة وخمسين دبابة ومائتين وستين طائرة ٠

وفى ٢٤ مايو التقى الرئيس الليبى العقيد القذافى والرئيس عبد الناصر بالرئيس نميرى فى الخرطوم بمناسبة الذكرى الاولى للانقلاب الذى وقع هناك وذلك بهدف وضع سياسة مشتركة فى مواجهة اسرائيل ، والتوصـــل الى اتفاق بزيادة مساهمات الدول العربية ٠ وعند انتهاء المؤتمر يوم ٢٨ مايو ، قال عبد الناصر أن الفضل يرجع للروس فى اجبار اسرائيل على وقف غاراتها فى عمق مصر ٠ وأعلن أنه أصبح على استعداد الآن لمحاولة التوصل الى حل سلمى (وهو الشيء الذى لم يقله لشهور قبلها) ٠ وأكـــد على أن الروس سيبقون فى الشرق الاوسط الى أن يجلوا الاسرائيليون عن الاراضى المحتلة ٠

وشهد شهر مايو نشاطا فى البحر ٠ ففى ١٣ مايو ، غرق قارب صيد اسرائيلى حمولته ٧٠ طنا بعد اصابته بصاروخ أطلق من زورق صواريخ مصرى على بعد نحو ١١ ميلا من الساحل الشمالى لسيناء ٠ ولم ينج الا اثنـــان من أفراد طاقم القارب الاربعة ٠ وفى ١٦ مايو أغرقت الطائرات الاسرائيلية مدمرة مصرية وزورق صواريخ من طراز كومار قرب رأس بناس على البحر الاحمر ٠ واضطرت الطائرات الاسرائيلية فى هذه العملية للطيران مسافة ٦٥٠ ميـــلا والعودة ٠ واعترف المصريون بفقدهم هاتين القطعتين ، وقال الاسرائيليون أن عمليتهم هذه كانت انتقاما لاغراق قارب الصيد ٠ ولحادث قتل اسرائيلى كان

يعمل في حطام سفينة ميناء ايلات عندما انفجر فيه لغم كان قد وضعهالضفادع البشرية المصريون .

وهناك حقيقة مثيرة وان لم تكن تلقى تقديرا كبيرا وهى أنه بالرغم من ان الاسرائيليين كانوا يستخرجون الملايين من براميل البترول من حقول البترول المصرية فى خليج السويس ، فان المصريين لم يحاولوا قصف هـذه الحقول ..والسبب فى هذا بسيط ، وهو أن المصريين لديهم هم الآخرون آبار للبترول أكثر تعرضا للخطر جنوبى خليج السويس وعلى الجانب الغربى منه .. لقد كانت مسألة « عش ودع غيرك يعيش » وكان من المثير أيضا ملاحظة أن السفن الاسرائيلية والمصرية كانت تمر بعضها بالبعض دون أى اهتمام فى خليج السويس .

وكان رجال الكوماندوز نشطين أيضا . ففى ١٩ مايو أعلن المصريون أن قوة من تسعين رجلا قد عبرت القنـــاة وهاجمت وحدة اسرائيلية قرب الشلوفة فى القطاع الجنوبى وألحقت بها خسائر جسيمة ودمرت ثلاث عربات مدرعة . وقال الاسرائيليون أن عدد القوة المصرية كان ١٥ جنديا فقط وأنها اضطرت للانسحاب بعد قتال استمر ثلاث ساعات فقد فيه المصريون سبعة قتلى بينما لم تقع خسائر بين الاسرائيليين .. وادعى المصريون أن أكبـر نجاح لرجال الكوماندوز يوم ٣٠ مايو عندما قاموا بغارتين فى وضح النهار .. وكانت الاولى حين نصبت قوة مصرية كمينا لطابور اسرائيلى على بعد حوالى سبعة أميال الى الجنوب من بور فؤاد ، مما أسفر عن « عشرات » القتـلى والجرحى من الاسرائيليين وتدمير عدة مركبات مدرعة اسرائيلية .. واعترف الاسرائيليون بأن ١٥ جنديا اسرائيليا قتلوا وأصيب ثمانية بجراح وأن هناك اثنين مفقودين . ووقعت الغارة الثانية فى القطاع الاوسط ، وكانت هناك ادعاءات متضاربة بشأنها هى الاخرى . وادعت صحيفة الاهرام أن هــذا « بداية مرحلة جديدة فى المواجهة مع اسرائيل » .

ان اعادة بناء شبكة صواريخ سام لتقديم الحماية للمواقع الاماميـة المصرية التى دمرت فى حرب يونيه كانت بصفة عامة انجازا مصريا ، الا أنها لم تحقق تقدما كبيرا ، حيث لم تمثل الا مقاومة ضئيلة غير فعالة للطـائرات الاسرائيلية المهاجمة .. وكانت معظم التقارير تشير الى أن بطاريات صواريخ سام قد وضعت على مسافة عشرة كيلو مترات (حوالى ٦ر٢ ميل) من بعضها البعض حتى يكون هناك تداخل فى مداها المؤثر . وفى النصف الثـانى من مايو فرض الروس رقابة أكثر احكاما ، وأتوا أيضا ببضع بطاريات خاصة بهم لتقوية الدفاعات المصرية .

وكانت تقديرات الاسرائيليين تفيد بأنه فى أول يونيو كـان فى مصر نحو ٢٥٠ طيارا سوفيتيا يعملون على طائرات (الميج - ٢١ ج) التى كانت

توضع كل منها فى حظيرة محصنة ، وبما أن الروس نفوا أن لهم طيــــارين يعملون في مصر ، فلم يكن عليهم أى التزام بالاعتراف بحدوث اشتباكات أو بوقوع خسائر لهم ، كما أن الامريكيين والاسرائيليين كانوا يواجهون نقطة فى غير صالحهم هي وجود الافراد السوفيت في مصر يؤدون ادوارا دفاعية وذلك باعتبار أن صواريخ سام ينظر اليها بصفة عامة على أنها أسلحة دفاعيــــة بالتأكيـــد ٠٠

وقد أقيمت خمس بطاريات اضافية من صواريخ ســام ــ ٣ مما رفع عددها فى مصر الى خمس وعشرين بطارية ، وان لم يوضع أى منها حتى ذلك الحين فى منطقة القناة ٠ وتبين فيما بعد أن السبب فى هذا أن الروس لاقوا صعوبة فى ضبطها كما يجب حيث لم يسبق لهم اطلاقها فى ظروف القتال ٠٠ وكان الاسرائيليون يتمتعون بميزة هي امكان رصد مواقع صواريخ سام ــ ٣ وسام ــ ٢ باستخدام وسائل الاستطلاع الالكترونية ٠ فقد كان من المعتـاد وضع صواريخ سام ــ ٣ فى مبنيين منخفضين مستطيلين يبلغ طولهما أربعين قدما وتوضع بها الصواريخ والحاسبات الالكترونية وأجهزة الرادار وغيرها من المعدات الالكترونية اللازمة ٠٠ وكان أحد نظم الرادار يتطلب برجا ارتفاعه ٦٥ قدما ، ومن هنا جاء ما يتردد الان من روايات أنه كان يتـــم التمويه على وجوده بجعل البرج مثل المسجد ٠

وقام الاسرائيليون بمحاولتين فى الجــو على سبيل التجربة فى وادى النيل ، ولكن فى كل منهما كان الطيارون السوفيت يعترضونهم ، وكــــانوا يضطرون للانسحاب ٠ فقد أصبح المجال الجوى المصرى فيما يجاوز حـــدود الخمسة وعشرين ميلا من القناة مغلقا أمامهم ٠ ولهذا عمــد الاسرائيليون الى تدمير المواقع القوية التى كان يتم بناؤها فى شبكة سام ، وذلــك لعلمهم أن تشغيل عدد كاف منها سيحرم خط بارليف ــ الذى كان على « مرمى البصر » من هذه المواقع ــ من الغطاء الجوى ، الامر الذى سيجعله تعرضا للخطر عند وقوع هجوم برمائى عليه ٠ ومنذ ١٨ ابريل ، ركزت الطائرات الاسرائيلية أيضا هجومها على المواقع الامامية المصرية ، ولم يأت أول يونيو الا وكــــان المصريون قد خفضوا بنسبة كبيرة عـــدد جنودهم فى منطقة القناة ٠٠ لكن مدافعهم احتفظت بفعاليتها ، لكن كل زيادة فى القصف المدفعى المصرى كانت تقابلها زيادة فى القصف الجوى الاسرائيلى ٠

وقد ادعى الاسرائيليون أنهم أسقطوا ثلاث طائرات ميج دون خسائر من جانبهم فى المعركة الجوية التى وقعت فوق القناة يوم ٣ يونيو ، بينمـــا اعترف المصريون بخسارة طائرة واحدة ، بينما ادعوا انهم أسقطوا طـــائرتى ميراج وأصابوا طائرة ثالثة ٠ وفى ٥ يونيـــو ، الغى موقع آخر من مواقع مراقبى الأمم المتحدة ، ليصبح عدد هذه المواقع على الجانب المصرى الى أحد عشر موقعا فقط بعد أن كانت ثمانية عشر موقعـــا ٠٠ وأغارت مجموعة من

الطائرات الاسرائيلية يوم ٩ يونيو على القصاصين التى تبعد أكثر قليلا من ٢٥ ميلا عن القناة ، أى على الطرف الغربى لشبكة صواريخ سام • وكان هذا أبعد موقع عن القناة أغار عليه الاسرائيليون منذ منتصف أبريل •• وبالرغم من كثرة الغارات الاسرائيلية على شبكة صواريخ سام ، فان الطيارين الاسرائيليين ذكروا أن المصريين استمروا فى بناء المواقع والملاجىء بنفس سرعة تدميرها •

وشن الاسرائيليون هجوماً مكثفاً على بور سعيد ، وقد بدأت هذه العمليات يوم ٢٨ مايو واستمرت ثمانية أيام شهدت مائة ساعة من القصف العنيف ألقيت خلالها على حد قول الاسرائيليين ـ نحو ٤٢٠٠ قنبلة • واعتبارا من ٤ مايو ، بدأت بور سعيد تعانى نقصاً فى الغذاء والماء اللذين اقتضت الحال نقلهما بالقوارب الى المدينة لعدم امكان المرور على الطريق البرى الضيق الذى يربط بور سعيد بداخل البلاد والذى يبلغ عرضه ١٥٠ ياردة ، وذلك بعد أن انتشرت الحفر فيه نتيجة القصف • وكان السبب فى هذا الهجوم هو اعتقاد الاسرائيليين أن القوات والمعدات البرمائية ربما تكون قد ركزت فى بور سعيد لتكون رأس جسر على الجانب الشرقى للقناة فى المنطقة التى كانت دفاعات اسرائيل فيها أضعف من أى منطقة أخرى • وكان محمد فوزى وزير الحربية قد تفاخر قبلها مباشرة بأن القوات المصرية كانت تستعد لمعركة ضخمة مع اسرائيل • وفى ١٢ يونيو ، عبرت القناة شمالى القنطرة قوة اسرائيلية صغيرة من الكوماندوز ودمرت المواقع الحصينة فى منطقة بطول ميلين ، وهى المنطقة التى كانت هدف الهجوم الجوى الاسرائيلى منذ ٢٨ مايو باعتبارها نقطة الانطلاق المتوقعة لأى هجوم مصرى •• وادعى الاسرائيليون أنهم قتلوا فى هذه العملية خمسين مصريا بينما فقدوا أربعة قتلى وخمسة عشر جريحا ••

توجد مستنقعات واسعة الانتشار على جانبى القناة شمالى القنطرة كما توجد فى بعض الاماكن بحيرات متقاربة لا تفصل بينها الا شرائط ضيقة من الأرض • وكان أفضل مكان للقيام بعملية العبور هو الشريط الواقع بين القنطرة والاسماعيلية لمسافة عشرين ميلا ، وهو المكان الذى كانت توجد به بطبيعة الحال ـ مواقع اسرائيلية أقوى • وربما تكون نقطة العبور على بعد عشرين ميلا الى الشمال من القنطرة حيث لم يكن الاسرائيليون يسيطرون الا على مساحات ضئيلة من الارض بسبب المستنقعات •• لكن كلا من الموقعين له مشكلاته الكبيرة التى كان على المصريين أن يواجهوها عند التفكير فى القيام بعمليات انزال هجومية واسعة النطاق لقواتهم •

وفى ١٤ يونيو ، قال عبد الناصر ان المواجهة على جبهة القناة « حرب حقيقية » وانه بعد حرب الاستنزاف ستبدأ حرب التحرير التى يأمل أن تشترك فيها الامة العربية جمعاء •• وفى اليوم التالى ، ذكر الجنرال بارليف أن سياسة اسرائيل لم تعد قائمة على الانتقام ، بل على النشاط المستمر « لمواجهة

الحرب بالحرب » • وأراد الاسرائيليون اختبار رد الفعل السوفيتي ، فأغارت قوة كوماندوز اسرائيلية صغيرة محمولة بطائرات الهيليكوبتر ـ يوم ٢٣ يونيو على معسكر مصري في بير ، واستخدمت الصواريخ في الهجوم • وتقع بير على حوالي بعد خمسين ميلا من خليج السويس وعلى بعد خمسين ميلا جنوبي القاهرة ، وكانت قريبة من القاعدة الجوية التي كان يديرها السوفيت في بني سويف •• ولم تتكرر هذه الغارة •

وأعلن وليام روجرز وزير الخارجية الامريكي ـ يوم ٢٥ يونيو ١٩٧٠ـ مبادرة أمريكية لاقرار السلام في الشرق الاوسط ، الا انه رفض الادلاء بأية تفصيلات ، ورفض مناقشة الدعم الجديد لاسرائيل • وقال روجرز ان الهدف من مبادرته هو « التوقف عن اطلاق النار وبدء المحادثات » وفي ٢٩ يونيو حذرت جولدا مائير رئيسة الوزراء الاسرائيلية من حظر التوصل الى وقف لاطلاق النار يستمرلفترة قصيرة • وفي نفس ذلك اليوم (٢٩ يونيو) ، طار عبد الناصر الى موسكو حيث التقى بالرئيس بودجورني ورئيس الوزراء كوسيجين اللذين قالا انهما يؤيدان تسوية أزمة الشرق الاوسط على أساس قرار نوفمبر •

وكان يوم ٣٠ يونيو ١٩٧٠ يوما حاسما للاسرائيليين ، ليس فقط لأنهم أسقطوا فيه أربع طائرات ميج ـ ٢١ يعتقد أن طياريها كانوا من الروس (وأحيط هذا الأمر بالتكتم من الجانبين في نفس الوقت) • وانما اكتسب هذا اليوم صفة الحسم أيضا من أن الاسرائيليين فقدوا فيه فجأة ثلاث طائرات في المعركة الجوية التي دارت فوق منطقة القناة ، فقد أسقطت طائرتا فانتوم وطائرة سكاي هوك ، واحدة بنيران المدفعية المضادة للطائرات وحدها ، والأخريان أسقطتهما الصواريخ • وأسقطت طائرة فانتوم أخرى بصاروخ من طراز سام ـ ٢ بعدها ببضعة أيام • وقد كان الطيارون الاسرائيليون يفترضون أن المعدات الالكترونية المضادة للصواريخ والموجودة بطائراتهم ستتمكن من تحويل اتجاه الصاروخ عند اقترابه من الطائرة ، لكن هذا لم يحدث تلك المرة • واسقطت الطائرات الاسرائيلية بصواريخ من طراز (سام ـ ٢) الجديد الذي زود بجهاز « رادار للتوجيه الأخير » يقوم بتوجيه الصاروخ الى هدفه ويتميز بمدى أكبر من الترددات التي لاتستطيع الأجهزة الالكترونية المضادة للصواريخ التقاطها • وبالرغم من الشائعات والتكهنات التي ترددت ، فان المصريين لم يقيموا حتى ذلك الحين مواقع لصواريخ سام ـ ٣ في منطقة تمتد بعمق خمسة وعشرين ميلا غرب القناة • وكان المصريون قد حققوا تفوقا محددا ، اضطر الاسرائيليون رغم ما يتسمون به من عناد ـ الى التوقف بعض الوقت الى أن يمدهم الأمريكيون بأسلحة مضادة أحدث ••

وكانت أمريكا تقوم فى ذلك الوقت بتطوير جيل جديد من النظم الالكترونية المصغرة ذات الأداء العالى ، وأرسلت أمريكا الى الاسرائيليين خلال بضعة أيام نحو مائة من أحدث الأجهزة الالكترونية المضادة للصواريخ التى كانت مزودة بمدى أكبر من الترددات وبأجهزة حساسة اضافية • وكانت هذه الاجهزة المضادة للصواريخ ـ التى تحملها طائرات الفانتوم على أطراف أجنحتها ـ تحتوى على « أجهزة تشويش » تنتج موجات كهرومغناطيسية لها نفس تردد نظم التوجيه وتتبع الهدف الموجود بالصاروخ المهاجم للطائرة (وهذه النظم عبارة عن أجهزة رادار تحدد مكان الطائرة وتوجه الصاروخ اليها) •• وعند تشغيل الاجهزة الالكترونية المضادة للصواريخ تتداخل موجات أجهزة التشويش مع تردد موجات الصاروخ المهاجم فينحرف عن مساره •• وكان صاروخ سام ـ ٢ المعدل يحمل ترددات أكثر بكثير مما كانت تحمله الاجهزة الالكترونية المضادة للصواريخ التى كان يستخدمها الاسرائيليون ، لكن الأجهزة الاحدث كانت بها ترددات أكثر كثيرا •• ومن الوسائل التى استخدمت لتلافى آثار التشويش على الصواريخ أن تقوم أجهزة التوجيه الأرضى بسرعة بتغيير تردد الموجات اللاسلكية التى تبعث بها لنظام الرادار الذى يحمله الصاروخ ، الامر الذى يمكن الصاروخ من الاستمرار فى تتبع الطائرة المستهدفة بالرغم من عملية التشويش • وحملت الاجهزة الالكترونية الجديدة المضادة للصواريخ أجهزة حساسة جديدة تمكن الطيار من اكتشاف هذا التغير فى الترددات فور حدوثه ، فيستطيع بدوره الاستمرار فى التشويش على الصاروخ بتغيير ترددات الاجهزة المضادة التى تحملها الطائرة • وسرعان مادخل الطيارون ورجال المراقبة الأرضية لعبة «التشويش» والتشويش المضاد ، واقتناص ثانية ليتجنب كل منهما الآخر عن طريق تغيير الترددات • وكانت الاجهزة الاسرائيلية بما تحمله من معدات الكترونية تحوم خلف كل طائرة تشترك فى العمليات • وعندما تم فيما بعد اسقاط أحد هذه الطائرات ، وصفها عبد الناصر فى فرح بأنها « فريسة سمينة » • فقد بدأت بحق الحرب الالكترونية التى كان يخشاها الى حد بعيد لخوفه من أن يتفوق الامريكيون على الروس فى هذا المجال •

وكانت الطائرات الاسرائيلية تغير على شبكة صواريخ سام يوميا ، فكان يتم اطلاق صواريخ سام ـ ٢ على الطائرات المهاجمة فى «تموجات كبيرة» أو « تموجات صغيرة » مما يجعل من الصعب على الطائرة أن تناور للهرب من الصواريخ ، لكن الاسرائيليين فقدوا عددا قليلا من الطائرات بالطيران على ارتفاع منخفض وباستخدام مهاراتهم الالكترونية • وكان تسلسل الهجوم الجوى هو أن المصريين كانوا ينتظرون الى أن تهاجمهم الطائرات الاسرائيلية فيتم على الفور اطلاق الصواريخ ، ثم تفتح نيران المدفعية المضادة للطائرات عندما تبدأ الطائرات المهاجمة فى الطيران على ارتفاعات منخفضة • وكانت

الطائرات المصرية تقف مستعدة أثناء المعركة ـ فى الهواء غالبـــا ـ بحيث تتمكن من الاندفاع والاشتباك مع الطائرات الاسرائيلية عند محاولتها العودة •• وعند ذلك كانت جميع نيران المدفعية والصـــواريخ المصرية تتوقف على الفور • ونتيجة الدفعة المعنوية التى حصلت عليها القوات الجـــوية المصرية حوالى مائتى طيار مصرى من الاتحاد السوفيتى بعد أن قضوا سنة للتدريب هناك ليعودوا مشوقين لاظهار قيمتهم ، فانها بدأت تظهر روحا عدوانية جديدة •• وأبدى المصريون مهارة أكبر فى المعارك الجوية المباشرة ففقدوا من الطائرات عدد أقل بكثير مما كانوا يفقدونه من قبل فى هـــذا النـــوع من المعارك مع الاسرائيليين •

وقام الاسرائيليون بمحاولات عنيفة يائسة للقضاء على شبكة صواريخ سام • ورغم أنهم دمروا كثيرا من مواقع الصواريخ ، كان يظهر عدد أكبر من المواقع يحل محل المواقع المدمرة • ومن الغريب أنه بالرغم من عمليات القصف والهجمات الاسرئيلية التى استخدم فيها النابالم ، وصلوا فى عناد أعمال البناء والاصلاح فى المنطقة الامامية وشبكة صواريخ سام • وأنتج الروس منصة متحركة لقاذفات الصواريخ ، مما أتاح امكانية نقلها بسرعة من موقع لآخر أو نقلها من المواقع المعدة لهـــا واخفائها فى تلال الرمل • وبدأ المصريون أيضا فى تحريك صواريخ سام ـ ٢ الى الامام أثناء الليـــل واقامتهـــا دون استعداد سابق ليفاجئوا بها الاسرائيليين عند بدئهم الهجـــوم اليومى الذى تخصصوا فى شنه عند الفجر حيث كانت الشمس التى تبزغ من الشرق تعمى عيون المصريين الذين يواجهونها • وكان يتم عادة ـ ولكن ليس دائمـــا ـ اكتشاف هذه التحركات السرية عن طريق أجهزة الكشف التى تعمل بالأشعة تحت الحمراء والتى كانت الطـــائرات الاسرائيلية تحملهـــا فى طلعاتهـــا الاستطلاعية الليلية • وقد اعترف الجنرال بارليف بخســـائر اسرائيل من الطائرات فى الفترة السابقة فى مؤتمر صحفى يوم ٦ يوليـــو • وقال انه تم بين يوم وليلة (٢٩/٣٠ يونيو) اقامة نظام جديد للصواريخ مكون من عشر بطاريات سام ـ ٢ مع المدفعية لمعاونة المدفعية المضادة للطائرات التى توجـــه بالرادار ، مكونة « حزاما » أو (شبكة) طولها نحو ٤٥ ميلا • وأكد أنه ثبت أن الروس قاموا بالتخطيط والتوجيه والتنفيذ عند اقامة هذه الشبكة • وقال انه تم أكتشاف طائرتى فانتوم ونصب كمين لها بعد الفجر مباشرة • وأعلن بارليف أيضا أن المعركة للسيطرة على الضفة الغربية للقناة بدأت يوم أول يوليو • وخلال الايام القليلة التالية ، تم تدعيم شبكة صواريخ سام لتمتد فى قطاع عمق حوالى ١٧ ميلا من القنـــاة ، وكان مركزها على طريق القـــاهرة الاسماعيلية •

وتحدث ديان هو الآخر عن صاروخ سام ـ ٢ الجديد ، فقـــال انه به حاسبا الكترونيا أسرع كفاءة أفضل فى مواجهة الطائرات التى تطير عـــلى ارتفاع منخفض ، رغم قدرتها على المناورة • وتحدث ديان أيضا على التكتيك الجديد الخاص باطلاق الصواريخ فى « تموجات » صغيرة بحيث تطلق بطارية

كاملة من ستة صواريخ في تتابع زمني قصير متكامل ، مما يزيد من صعوبة عملية المراوغة التي يقوم بها الطيار ..

وكانت بطاريات صواريخ سام ــ ٢ تطلق في فيتنام الشمالية صاروخا واحدا و اثنين في كل مرة ، وكانت تسقط للامريكيين طائرة واحدة كل ألف طلعة جوية . كذلك فان المصريين أطلقوا ــ حتى ٣٠ يونيو ــ مئات الصواريخ فلم ينجحوا الا في اسقاط طائرة اسرائيلية واحدة من طراز (بايبركب) ..

وفي ٢٩ يونيو ، طار عبد الناصر الى الاتحاد السوفيتي ، وبقي هناك حوالي ثلاثة أسابيع . وفي أول يوليو ، أعلن الرئيس نيكسون أن الموقف في الشرق الاوسط اكثر خطورة من الموقف في جنوب شرق آسيا ، حيث أن هناك احتمال حدوث مواجهة بين القوتين الأعظم ، وقال ان تجنب نشوب حرب يتطلب المحافظة على التوازن بين اسرائيل والدول العربية ، ومن ثم فان أمريكا ستعمل على ابقاء هذا التوازن . لكن الضغط على مصر كان ثقيلا حيث كانت القوات الجوية الاسرائيلية تضرب بعنف المدفعية وخطوط الامداد المصرية ، وكانت الروح المعنوية المصرية آخذة في الانخفاض .

وكان هناك اعتراف شبه رسمي بأن المصريين فقدوا على جبهة القناة خلال شهر يونيو ما تراوح بين ألف وخمسمائة وألفي شخص .

وفي ١٩ يوليو ، الذى كان اليوم التاسع والخمسين في الهجوم الاسرائيلي على شبكة صواريخ سام ، اعترف الاسرائيليون أن النيران ــ الصواريخ أسقطت لهم طائرة فانتوم أخرى ، الا أنهم ادعوا في اليوم التالي اسقاطهم أربع طائرات (ميج ــ ٢١) . وبالرغم من الهجوم الاسرائيلي العنيف المتصل ، كان يتم بين يوم وليلة اعادة تشغيل مواقع الصواريخ والرادار التي يلحق بها التدمير أو الاصابة أو كان يتم اعادة توزيعها على مواقع جديدة متفرقة . وبدا أن ثمة امدادات لاتنتهي من الصواريخ وقاذفات الصواريخ وأجهزة الرادار والاجهزة المساعدة وكان المعتقد أنها صارت مسألة كرامة بالنسبة للسوفيت الذين أرادو اثبات فعالية أسلحتهم في مواجهة الطائرات الاسرائيلية . وكان هناك تكهنات مستمرة حول عدد الروس الموجودين بالفعل مع بطاريات سام والذين كانوا يقومون بتقوية وتوجيه نظم الدفاع الجوي ، كما استمر استخدام تكتيك «الموجات الصغيرة» في اطلاق الصواريخ خلاصة القول أن الاسرائيليين لم يتمكنوا من تحييد شبكة صواريخ سام ، وأن هذا الصراع اليأس ، الذى ضم العديد من الاسلحة والاسلحة المضادة المتطورة للغاية ، استمر حتى نهاية يوليو وخلال الاسبوع الاول من أغسطس دون توقف تقريبا . ولابد أن نذكر أيضا أنه بدا أن الاسرائيليين كانوا يحصلون على كميات وفيرة من الذخيرة والاجهزة الالكترونية المضادة للصواريخ . ومع وجود الطيارين السوفييت في المواقع الخلفية ووجود شبكة صواريخ سام التي يكاد يستحيل تدميرها ، بدا أن البدائل العسكرية المتاحة

امام اسرائيل والتى كان هناك العديد منها قبل ذلك بعام واحد ـ قد تناقصت حتى أصبحت تنحصر فى بلدين ، هما شن حرب شـــاملة أو الانسحاب من الضفة الشرقية للقناة ٠

وفى ١٢ يوليو ، كشف جوزيف سيسكو مســاعد وزير الخارجيـــة الامريكى عن أن الاتحاد السوفيتى كان يقوم فى الفترة الســـابقة بشـحن معدات بر مائية لمصر ، وأن توازن القوى فى المنطقة قد تأثر نتيجـــة تورط سوفيتى بصورة مباشرة أكثر من ذى قبل ، لكنه امتنع عن الاجابة عمـــا اذا كانت أمريكا ستزود اسرائيل بالطائرات التى طلبتها ٠ وقال موشى ديان ـ فى حديثه للكنيست يوم ١٥ يوليو ـ ان الاتحاد السوفيتى قد زاد من درجة مشاركته فى نظام الدفاع الجوى المصرى ٠ وأكـــــد أن الطيارين السوفيت مستمرون فى التحليق فى أجواء مصر ٠ وفى ٣١ يوليو ، ترددت أنـباء عن ظهور وباء الكوليرا فى مصر وأوقفت جميع تحركات القوات بين القـــاهرة والاسكندرية ، حيث تأكد وجود نحو ألف وخمسمائة حالة كوليرا ٠

وكان الرئيس عبد الناصر قد عاد من الاتحاد السوفيتى يوم ١٧ يوليو بعد أن تم اقناعه بقبول المخاطر التى تحف بتأييده لمبادرة روجرز الثانيـــة للسلام ، الا أن البيان السوفيتى المصرى المشترك ذكر أن الحكومتين اتفقـــا الرأى على أنه لا يمكن اقرار السلام الا بانسحاب الاسرائيليين من الاراضى المحتلة ٠ وبرغم استمرار تصاعد أصوات المدافع والقنابل دون انقطاع ، فقد كان وقف اطلاق النار على جبهة القناة يقترب بسرعة ٠

قبل محمود رياض وزير الخارجية المصرى مبادرة روجرز من حيث المبدأ وفى اليوم التالى (٢٣ يوليو) ، أعلن عبد الناصر فى خطاب أذيع بالراديو والتليفزيون موافقته هو الآخر على المبادرة ٠ وكان مشروع روجرز للســلام يقوم على أساس قرار نوفمبر ، بما فى هذا انســحاب اسرائيل من الاراضى المحتلة واعتراف العرب باسرائيل كما تضمن وقف اطلاق النار لثلاثة أشهر ٠ ولم يأت قبول اسرائيل للمبادرة بنفس هذه السرعة والسهولة ٠٠ فقد تسببت المبادرة فى حدوث تصدع وشقاق داخل الحكومة الائتلافية يوم ٢٨ يوليو ، حتى رغم قول ديان أن اسرائيل تتمتع بالقوة الكافية التى تجعلهـــا مستعدة لقبول حلول وسط ، طالما انها لا تقدم تنازلات تضر بمصالح أمنها القومى ٠٠ ووافقت اسرائيل على برنامج روجرز للسلام من حيث المبدأ يوم ٣١ يوليو ، ثم قام اسحق رابين السفير الاسرائيلى فى واشنطن بتسليم موافقة اسرائيل الرسمية على المبادرة لجوزيف سيسكو يوم ٤ أغسطس ٠ وكانت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل قد قالت أن اسرائيل ستشارك فى المناقشات دون أية شروط مسبقة ، الأمر الذى أدى الى انسحاب ستة من الوزراء من حزب جحال من الحـكومة ٠

وفى اليوم السابق على قبول اسرائيل المبادرة الرسمية (٣ اغسطس) كان يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة ووليام روجرز وزير الخارجية

الأمريكي قد أجريا محادثات مع جونار يارنج الذى أعيد للاشتراك فى مفاوضات الشرق الاوسط • وفى أغسطس أعلن مندوبو الدول الاربع الكبرى فى الأمم المتحدة موافقة هذه الدول على مهمة يارنج السلمية • وأصبح وقف اطلاق النار سارى المفعول فى منطقة القناة فى العاشرة من مساء ٧ أغسطس ١٩٧٠ (بالتوقيت المحلى) ، لكن العمليات العسكرية العنيفة استمرت حتى اللحظات الأخيرة • فقد ادعى الاسرائيليون — على سبيل المثال — أن الاسبوع الأخير من الحرب الالكترونية شهد ١٩٤ « حادثا » • وكان من المفروض أن يتوقف تماما جميع تحركات الاسلحة والقوات فى منطقة تمتد لخمسين كيلو مترا على جانبى القناة ، حيث وافق كل من الجانبين على عدم الدفع بأسلحة أو قوات اضافية الى هذه المنطقة •

ويقول الاسرائيليون أن خسائرهم أثناء الحرب الالكترونية كانت ٣٤٦ قتيلا وحوالى ٣ آلاف جريح ، لكن هناك بين سجلاتهم العديدة لأرقام الخسائر •• وتقديرات الاسرائيليين هى أن خسائر المصريين كانت عشرة آلاف شخص، منهم ألفا قتيل • وهم يقولون أن مصر كانت تعانى من مشكلة تهجير ٧٥٠ ألف نسمة •• ولم يكن المصريون (حتى ذلك الحين) قد أعلنوا أية أرقام معقولة • ويدعى الاسرائيليون أن مصر فقدت فى الفترة من يونيو ١٩٦٧ حتى ٧ أغسطس ١٩٧٠ ، ١١٠ طائرات ، بينما يعترفون بخسارة ١٦ طائرة اسرائيلية أسقطت الصواريخ ستا منها على الاقل • ولم يكن من الممكن حساب عدد مواقع صواريخ سام التى دمرت نظرا لما كان يتم من عمل جديد فى بناء واصلاح المواقع وفى اقامة مواقع زائفة للتمويه ولالغاء بعض المواقع ، وينطبق نفس الشىء على عدد القذائف التى أطلقت والقنابل التى أسقطت •

وخلال الاسابيع الستة الاخيرة من القتال فى ذلك «الصيف الالكترونى» القصير هناك قدر أكبر من التوازن والتعادل بين الجانبين المتحاربين اللذين فقدوا نفس العدد تقريبا من الطائرات (نحو خمس طائرات) ••

٩ ــ لقد جاءت الحرب الالكترونية لكى تستمر

عندما أصبح وقف اطلاق النار سارى المفعول يوم ٧ أغسطس فجأة وعلى غير توقع بالنسبة للبعض ، كان كلا الجانبين على حالة التوتر والاستعداد لخوض « الجولة الثانية » بعد أن تلقيا أحدث وأكثر الاسلحة والاسلحة المضادة تطورا ، وكان كل منهما واثقا أن النصر سيدين له فى هذه الجولة • فقد كان المصريون قد تلقوا صواريخ أكثر تطورا من طراز سام ــ ٢ وسام ــ ٣ مع أجهزة الرادار المساعدة لها التى كان كثير منها جديدا تماما لم تتم بعد تجربته فى ميدان المعركة • وكان يتم اقامة مواقع لهذه الصواريخ فى المواقع الامامية كما كانت مجموعة أخرى من الطيارين المصريين قد عادوا لتوهم من الاتحاد السوفيتى بعد أن تلقوا تدريبا هناك • كذلك كانت أمريكا قد بعثت لاسرائيل بمائتين على الأقل من الاجهزة الالكترونية المضادة للصواريخ من أحدث طراز • وكانت هذه الاجهزة تضىء نورا فى كابينة الطيار لتنبيهه الى أن صاروخا معاديا قد انطلق موجها اليه ، مما يمكن الطيار من التشويش على الصاروخ والمناورة للهرب منه • كما كان الرادار يرسل اتوماتيكيا مجموعة من الاشارات المضادة « المضبوطة على الترددات الروسية بهدف التشويش على توجيهات الرادار للصاروخ •

وبالرغم من أن وقف اطلاق النار أدى الى تأجيل « الجولة الثانية » ، فان المصريين تجاهلوا حالة « الجمود العسكرى » تجاهلا صارخا ، وبدءوا على الفور يحركون بطاريات صواريخ سام صوب القناة حتى يحرم «المدى المؤثر» للصاروخ خط بارليف من أى غطاء جوى •• وكان هناك ١٦ بطارية عاملة من صواريخ سام فى شبكة سام يوم ٧ أغسطس ، منها بطارية واحدة فقط لصواريخ سام ــ ٣ • وسرعان ما بدا واضحا أن هناك تحركا كبيرا لصواريخ سام فى منطقة وقف اطلاق النار • وبالرغم من شكاوى اسرائيل المهتاجة من أن المصريين كانوا يتنقلون الاسلحة الى المنطقة المحرمة ، فقد كانت الامم المتحدة والولايات المتحدة تأملان فى أن يكون كل ما هنالك هو تعديل أو اعادة تنظيم لمواقع بطاريات سام التى كانت موجودة بالفعل فى المنطقة •

وبعد خمسة أيام فقط من وقف اطلاق النار ، أى فى يوم ١٢ أغسطس تقدمت حكومة اسرائيل الى يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة بشكوى حول الانتهاكات المصرية لوقف اطلاق النار • وفى ٢٣ أغسطس ، قال موشى ديان ــ فى حديثه أمام الكنيست ــ ان ستا على الاقل من قاذفات صواريخ سام قد نقلت الى منطقة « الجمود العسكرى » • وقال ميلفين ليرد وزير الدفاع الامريكى يوم ١٦ أغسطس أنه كان من الصعب اثبات صحة الادعاءات الاسرائيلية من عدمه لكن المتحدث باسم وزارة الدفاع الامريكية اعترف يوم

١٧ أغسطس بأن الطائرات الامريكية كانت تقوم بطلعات استطلاعية على طول القناة • وفي ١٩ أغسطس ، اعترف الامريكيون بأن المصريين « حـركوا الصواريخ المصرية الى الامام » • ولم تبدأ محادثات السلام في الشرق الاوسط بمقر الأمم المتحدة بنيويورك بين جونار يارنج ومنـــدوبي مصر والاردن واسرائيل الا يوم ٢٥ أغسطس • وسرعان ما انهارت هذه المحادثات بانسحاب أمريكا واسرائيل منها •

وفي أول سبتمبر ، أعلن المسئولون الأمريكيون أن لديهم معلومات غير مرضية ان المصريين يخرقون شروط وقف أطلاق النار • وقالت رئيسة الوزراء جولدا مائير يوم ٣ سبتمبر ان حكومتها ستجرى « مناقشة صـــعبة » مع الولايات المتحدة حول الحقائق المتعلقة بانتهاكات وقف اطلاق النار • وكان في اسرائيل شعور عام بأن اسرائيل كانت على خطـــأ في وثوقها بالضمانات الامريكية تلك الثقة المطلقة ، وفي قبولها مبادرة روجرز للسلام • وأصـبح واضحا بدرجة متزايدة أن المصريين كانوا يدفعون بصواريخ سام الى منطقة وقف اطلاق النار بهدف بناء شبكة صلبة من صواريخ سام تشكل حاجزا قويا كان يزحف ببطء صوب القناة •• وتأكد هذا في تقرير لمعهـــد الدراسات الاستراتيجية صدر يوم ٥ سبتمبر وجاء فيه أنه أقيمت في منطقة وقف اطلاق النار منذ ٧ أغسطس ٤٥ موقعا للصواريخ تم تسليح ثلاثين منها خلال الفترة المنقضية منذ وقف أطلاق النار ، مما جعل في المنطقة نحو ٢٧٠ قاذفة صواريخ •• وادعى متحدث اسرائيلي يوم ١١ سبتمبر أن في منطقة وقف اطلاق النار ٩٠ موقعا للصواريخ ، وأنه تم نقل أول مجموعة من صواريخ سام ــ ٣ الى المنطقـــة •

وخلال الاسابيع التالية مباشرة لوقف أطلاق النار ، تدفقت على مصر كميات من الاسلحة الحديثة كان من بينها المدفع المضاد للطائرات من طـراز (زد اس يو ٢٣ × ٤) الجديد المزود بأربعة مواسير لاطلاق النار والذى يتم توجيهه بالرادار ، والذى يحمل على مركبة مجنزرة ويستطيع اطلاق ٤ آلاف دفعة من الطلقات في الدقيقة •• ولم يكن هذا المدفع قد شوهد قبلها الا في الاتحاد السوفيتي وبولندا ، فكان يعد أفضل المدافع السوفيتية في مواجهة الطائرات التى تطير على ارتفاع منخفض • وقد اعترف متحدث عسكرى مصرى يوم ٢٨ أغسطس بأن الاتحاد السوفيتى قد زود مصر بالمدافع (زد اس يو ٢٣ × ٤) وغيره من الاسلحة • وكان ضمن هذه الاسلحة الاخرى عدد قليل من صواريخ سام ــ ٤ ذات القاذفات المزدوجة المحمولة على عربات مجنزرة ، وكانت هذه هي المرة الاولى أيضا التى تظهر فيها هذه الصواريخ خارج دول حلف وارسو •• وكان بين الاسلحة الاخرى كذلك المدفع السوفيتي عيـــار ٢٠٣ مم ، الى جانب معدات أخرى منها مركبات وطائرات بر مائية • واندلعت الحرب الاهلية في سبتمبر ١٩٧٠ في الاردن بين حكـــومة الملك حسين والفدائيين لتستمر من ١٧ الى ٢٧ سبتمبر •

وتدخل عبد الناصر ، فتوسط شخصيا لابرام اتفاق القاهرة الذى جاء في وقته تماما لانقاذ الفدائيين مؤقتا من الابادة فى الاردن ٠٠ وتوفى عبد الناصر فجأة اثر لأزمة قلبية ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، ليكون آخر دور سياسى لعبه هو دور صانع السلام ٠ وفى ٥ اكتوبر اختارت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى بالاجماع أنور السادات مرشحا لرياسة الجمهورية ٠ وأيد مجلس الامة هذا الترشيح يوم ٧ آكتوبر ، ليتم رئيسا لمصر يوم ٢٢ آكتوبر ٠ وأصبح محمود فوزى رئيسا للوزراء في ٢٣ آكتوبر ٠ وقد قال محمود رياض وزير الخارجية المصرى يوم ٦ أكتوبر ان مصر لن تقبل وقف اطلاق النار مؤقتا حتى لا يتحول الى وقف دائم لاطلاق النار ٠ لكن الرئيس السادات أعلن يوم ١٩ أكتوبر قبوله مد وقف اطلاق النار لفترة ٩٠ يوما محددة ونهائية شريطة استئناف محادثات يارنج ، الا أن الاسرائيليين رفضوا العودة لهذه المحادثات ٠٠ وحتى والحل كذلك ، فقد بدأت فترة ثانية مدتها تسعون يوما لوقف اطلاق النار اعتبارا من ٦ نوفمبر ٠

وزاد الاتحاد السوفيتى من الدعم العسكرى لمصر ، فقد أعلن متحدث عسكرى اسرائيلى يو ١٠ آكتوبر أن هنـاك أكثـر من ألف من العسكريين السوفيت يعملون ضمن أطقم بطاريات سام ــ ٣ داخل منطقة وقف اطلاق النار ، وأن هناك ٥ مواقع لصواريخ سام ــ ٣ بين مواقع صواريخ سام العشرين التى أقيمت منذ ٧ أغسطس ، وأن كلا من هذه المواقع الخمسة يتطلب مائتى رجل على الأقل لحراسته ٠ وفى ٢٦ اكتوبر ، قال الماجور جنرال أهارون ياريف مدير المخابرات العسكرية الاسرئيلية ان الدفاعات السوفيتية والمصرية على طول القناة تشكل « واحدا من أكثر نظم الصواريخ تقدما فى العالم » وأضاف ان على الضفة الغربية للقناة مابين خمسمائة وستمائة صاروخ ٠ وفى نفس اليوم ، أعلنت جولدا مائير رئيسة الوزراء الاسرائيلية أن الاسرائيليين أسقطوا أربع طائرات يقودها طيارون سوفيت قبل بدء وقف اطلاق النار مباشرة ٠٠

وقال متحدث عسكرى اسرائيلى يوم ٣ ديسمبر أنـه بالاضـافة الى وجود ١٣ ألف خبير سوفيتى فى مصر ، ووجود ٣ آلاف منهم فى منطقة القناة، هناك « عشرات » من الجنرالات الروس فى مصر أقاموا مقر قيادة قادرا على القيام بعملية عسكرية محدودة دون استشارة موسكو ، وأن معاونيهم أقاموا نظام قيادة قادرا على توجيه قوات سوفيتية ضخمة فى حالة نقل مثل هذه القوات جوا الى مصر ٠ وعند نهاية السنة ، كانت التقارير تجمع على أنه لازال فى مصر مائتا طيار سوفيتى يعملون على طائرات (الميج ــ ٢١) وأن الاتحاد السوفيتى حصل على سيطرة كاملة على ستة قواعد جوية مصرية ، وأن فى مصر ما بين ١٢ ألفا و ١٥ الفا من الأفراد السوفيت يعملون فيما بين ٧٥ ، ٨٥ من مواقع صواريخ سام ، بالاضافة الى ٤ آلاف فنى سوفيتى يعمـلون فى صيانة المعدات ، وأن لدى مصر حوالى ١٥٠ من صواريخ بحر/بحر السوفيتية من طراز لونا التى يصل مداها الى ٤٠ ميلا ٠

وكان من نتيجة التجاهل الصارخ لوقف اطـــلاق النار أن استأنفت أمريكا امداداتها العسكرية لاسرائيل · فقد قالت صحيفة نيويورك تايمز يوم ٢٤ أكتوبر أن الولايات المتحدة قد وافقت على أن ترسل لاسرائيل ١٨٠ دبابة من طراز (باتون ام ــ ٤٨) كجزء من برنامج يتضمن صفقات أسلحة قيمتها خمسمائة مليون دولار · وأكد متحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية يوم ١٥ نوفمبر أن اسرائيل ستحصل على ١٨ طائرة سكاى هوك اضافية ، وأن اسرائيل تلقت حتى ذلك الحين ٨٨ طائرة سكاى هوك و ٧٠ طائرة فانتوم ·

ورغم عدم اطلاق النار عبر القناة بصفة عامة ، فقـــد وقعت حوادث عرضية من الاشتباكات الصغيرة التى كانت تميل للزيادة ·· ففى ٢٣ نوفمبر على سبيل المثال ، اتهم الاسرائيليون المصريين بالقيام بثلاث طلعات بطائرات سوخوى ــ ٧ فوق الضفة الشرقية للقناة ·· وفى أول ديسمبر أغرق قارب داورية تابع للأسطول الاسرائيلى زورقا مصريا فى خليج السويس بدعوى أن الزورق كان يقوم بأعمال المخابرات وبتهريب الحشيش · وفى ٤ ديسمبر ، وقع أول اشتباك مسلح منذ ٧ أغسطس حيث قتل الاسرائيليون جنديا مصريا كان ضمن داورية عبرت القناة الى الضفة الشرقية فى القطاع الجنوبى ، وفى آخر أيام السنة الالكترونية (١٩٧٠) أعلن المصريون أن قواتهم المسلحة قد انتهت لتوها من تدريبات استمرت سبعة أيام تم خلالها تمثيل عملية عبـور القناة والاندفاع الى داخل سيناء ·

لقد كانت حرب الاستنزاف التى بدأها عبد الناصر آخر حروبه ، وقد أرادها حربا تقليدية ، الا أنها خرجت عن مدى سيطرته وتطورت الى الحرب الالكترونية التى كان يهابها لخشيته أن يتفـــوق الامريكيون على الروس فى هذا المجال · وقد بدأت مصر حربا تقليدية غير ناجحة ، ولكن بمجرد تغـــير طبيعة الحرب فجأة ١٩٧٠ أصبح عبد الناصر أكثر نجاحا فى الميدان العسكرى من أى وقت مضى ، حيث أجبر القوات الجوية الاسرائيلية على الابتعـــاد عن أجواء مصر وجعل نطاق عملياتها محدودا بمنطقة القناة · وعند الوصول لهذه النقطة ، أصبح عبد الناصر يستطيع كما قال مفاخرا أن يفـــاوض من موقع القوة ، فوافق على وقف اطلاق النار بالرغم من الرفض الذى ساد العالم العربى الذى كان يطالب فى صخب باستمرار العمليات العسكرية ضد اسرائيل ·

لان كيفية سير « الجولة الثانية » من الحرب لو لم يوقف اطلاق النـــار مسألة تخضع للتكهن المحض · فبالنظر الى الثقل الكبير للأسلحة السوفيتية واعداد الأفراد السوفييت الذين كانوا فى مصر ، واذا لم يواصل الأمريكيون ويزيدوا مساعدتهم العسكرية لاسرائيل ، فربما كان الاسرائيليون سيضطرون الى الانسحاب من خط بارليف الذى كان سيتعرض بعد حرمانه من التغطية الجوية لعمليات قصف ثقيلة من جانب الطـائرات والصواريخ والمدفعية ·· وفى مثل هذه الظروف ، كان سيصبح أمام الاسرائيليين اما أن يبنوا خطأ على غرار خط ماجينو لتحمل القصف ، وهو يمكن بطبيعة الحال الالتفاف حوله ،

أو أن ينسحبوا الى داخل سيناء .. وكان من شأن هذا أن يكون لدى جنرالات هيئة الاركان سؤال مطروح دائما عن أفضل موعد للانسحاب الى جبل بير جفجافة المنحدر ، حيث يمكن التخلي عن استخدام الخطوط الصلبة الحصينة في الدفاع ، مما يجعل بمقدور الاسرائيليين أن يعودوا الى اسلوب حرب الحركة الذى برعوا فيه . ومن الواضح أنه اذا كانت الجولة الثانية قد وقعت لتورط الافراد السوفيت فيها بدرجة كبيرة ، ولا يمكن — الاعتراض الا عن طريق الحرص — والتخمين — تحديد ما اذا كان تورطهم سيؤدى الى اشعال نيران الحرب العالمية الثالثة ام لا . ويستطيع المرء الى حد ما القول بأن هذا لم يكن ليحدث حيث لم تكن الحكومة السوفيتية لتذهب الى هذا المدى بما هو معروف عنها من ذكاء عملي ورغبة في جنى ثمار الحرب لا في خوض الحرب ذاتها ..

وعند محاولة الخروج بدروس مستفادة من الحرب ، نجد أنه باستثناء دروس الحرب الالكترونية ، يبدوا ألا دروس هناك . وباستثناء استخدام الأسمنت مكان أكياس الرمل بشكل أكثر تحررا ، فان المشهد يذكرنا بحرب الخنادق فى الحرب العالمية الأولى ، بما كان يضمنه من خطوط دفاعية على جانبى القناة دفعات من طلقات الأسلحة الثقيلة عبر الممر المائى الدولى الضيق .. وفيما يتصل بموقف الدفاعات التقليدية في مواجهة غارات الطائرات . وفى المراحل الأولية لهجمات الطائرات لم يزد الأمر كثيرا على ما ظهر ابان الحرب العالمية الثانية . كذلك باستثناء استخدام الاسرائيليين لطائرات الهليوكبتر فان هجمات الكوماندوز (بما فيها الغارات فى العمق) أستخدمت فيها مفاهيم تكتيكية ظهرت فى الحرب العالمية الثانية .. وكانت قناة السويس تفصل بين القوتين البريتين المتحاربتين ، وكانت فى معظم الجوانب تشكل عقبة دموية ، وهو نفس الموقف الذى كان قائما فى الفلاندروز منذ نحو خمسين سنة ، ولكن بصورة مصغرة .

لقد كانت السياسة العسكرية المصرية — التى وضعها عبد الناصر بصورة غامضة في الكثير من الأحوال — هى الاعداد لليوم الذى تجتاح فيه القوات المسلحة المصرية خط بارليف ، وتتقدم فيه تشكيلاتها المدرعة عبر سيناء ليتقهقر الاسرائيليون أمامها الى أن تستولى على تل أبيب وتحتلها ، وهى نفس السياسة التى استمر الرئيس السادات فى اتباعها . وخلف حاجز الأمن النسبى الذى شكله الممر المائى ، تمكن عبد الناصر (بمساعدةالسوفيت) من اعادة بناء جيشه الذى وصل عدده عند وقف اطلاق النار الى ٦٥٠ ألف رجل ، وكان يتكون من ثلاث فرق مدرعة وأربع فرق مشاة ميكانيكية وخمس فرق مشاة . وكانت الكفاءة العالية هى سمة الألوية المدفعية المصرية الستة عشر التى كانت مشتركة فى عمليات شبه مستمرة . لكن كون معظم المدافع المصرية « مقطورة » وليست على عجلات تجعلها قادرة على الحركة ووضعها فى ملاجىء من الأسمنت لحمايتها من الغارات الجوية الاسرائيلية ، كل هذا جعل رجال المدفعية المصريين يواجهون مشكلة عدم القدرة على الحركة

وكان الطرف الحاد الحقيقي « للحربة » المصرية الرخوة هو وحدات الكوماندوز المشرون التي تميزت برجال تلقوا تدريبا جيدا ويتسمون بالكفاءة والقدرة على النضال ، مما جعل هذه الوحدات تحقق من النجاح أكثر بكثير مما اعترف بـه الاسرائيليون ·

وقد ارتفعت الروح المعنوية للقوات المسلحة المصرية ببطء بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ · وخلال سنتين من الهزيمة ، وصلت الى مستوى عال بدأت تتذبذب بعده ارتفاعا وانخفاضا بالتناسب مع الموقف السياسي عادة ، ونتيجة لانعدام النشاط العسكري الموعود · وعادت الروح المعنوية المصرية الى الارتفاع بصفة عامة خلال ١٩٧٠ · وطيلة هذه الفترة ، كان هناك عنصر جديد يتمثل في الضباط صغار السن المتعطش لدخول الحرب ، والذين نفذ صبرهم عندما تزايدت كفاءة وقدرة وحداتهم ، لكن الجانب الاساسي من الجيش المصري ظل لم يختبر في ميدان القتال · أما شجاعة أولئك الذين خاضوا غمار الحرب ، مثل رجال المدفعية والمشاة ، فكانت جديرة بالثناء الى أقصى حد · وعندما كان الطيارون الاسرائيليون يقومون بمحاولتهم اليائسة ١٩٧٠ لتدمير شبكة صواريخ سام ، لم يكن هناك اعتراف صريح بشجاعة وجلد المصريين (وربما الروس أيضا) الذين كانوا يعيدون على الفور بناء مواقع الصواريخ والرادارا بين يوم وليلة ·

وقد تحدثت الصحافة الاسرائيلية والغربية في استخفاف عن الطيارين المصريين وعن تفوق الاسرائيليين عليهم مشيرة الى أن المصريين فقدوا مائة وعشرة طائرات مقابل ست عشرة طائرة اسرائيلية فقط · لكن هذا لا يحكي القصة كاملة · فقد ظل الطيارون المصريون لفترة طويلة أقل مستوى من الطيارين الاسرائيليين من حيث التنظيم والمهارة والخبرة لكن معرفتهم بهذا لم تمنع كثيرا منهم من مواجهة الاسرائيليون في القتال بغض النظر عن الظروف غير المواتية أو الخسائر · وقد شاهدنا الطيارين المصريين يقومون باضراب احتجاجا على عدم السماح لهم بالاقلاع للقتال في الوقت الذي كانت السياسة المصرية فيه هي التحفظ وعدم المخاطرة بالطائرات · ونتيجة للموقف الالكتروني خلال الاسابيع الاخيرة من الحرب ، كان هناك قدر أكبر من التعادل والتوازن بين الطيارين المصريين والطيارين الاسرائيليين حيث فقد كلا الجانبين نفس العدد من الطائرات تقريبا · لقد كانت هناك تعليقات كثيرة على المهارة والاقدام والكفاءة التي تتسم بها القوات المسلحة الاسرائيلية وهي تتمتع بالفعل بمستوى عال من التنظيم لكن الروح المعنوية ـ لجنود المشاة بصفة خاصة ـ كانت تميل الى التقلب خاصة أثناء أدائهم لواجباتهم في داوريات خط بارليف · فقد كان دور الدفاع الثابت الجديد بالنسبة لجيش ظل الشكل الوحيد للدفاع بالنسبة له حتى سنة ١٩٦٧ هو العمليات الهجومية المتحركة ، هذا الدور الاستاتيكي عمل روتيني ممل على افضل تقدير · وكانت سياسة الاسرائيليين في زمن الحرب هي : أن يدفعوا الى القتال بأفضل تشكيلاتهم أولا ، ثم يبدأون تباعا في استخدام الالوية التي

حصلت على تدريب أقل أو المزودة بمعدات أقل ، كل فى الوقت الذى يتطلب مستواه من الكفاءة • وفى حرب يونيـــو ١٩٦٧ ، لم تشترك بعض الالوية ـ خاصة من المشاة ـ فى العمليات على الاطلاق ، لكن الالوية الممتازة شاركت فى كثير من العمليات • وكانت حراسة خط بارليف مهمـة القيت على عاتق المشاة ، وشارك فيها لواءان واحيانا ثلاثة ألوية من المشاة • وكانت التشكيلات المدرعة الى الخلف على بعد عدة أميال من القناة مستعدة لصد أى محـــاولة للنزول على شاطىء القناة • وكذلك كان الحال بالنسبة لرجال المدفعية الذين كانوا يتقدمون باستخدام مدافعهم المتحركة ـ ليطلقوا النـار وينسحبوا من حين لآخر • ومن ثم نجد أنه بينما قد لايشك المرء فى احتفاظ الالوية المدرعة بقدرتهم على شن هجوم متحرك وبمعنوياتهم المرتفعة ، وكذلك المظليين الذين استخدموا أساسا فى غارات الكوماندوز •• فان المرء ربما يتساءل عن الاثر الذى خلفته هذه الحرب على رجال المشاة الاسرائيليين الذين يشكلون ما بين ٢٢ ، ٣١ لواء تستطيع اسرائيل تجميعها فى حالات الطوارىء •

لقد كانت الحرب جوهرها حربا سوفيتية مصرية ، فبينما قدم المصريون ميدان المعركة ومعظم الموارد والقوة البشرية ، فقد كانت المساهمة السوفيتية ضخمة ممثلة فى الطائرات والصواريخ والأسلحة والفنيين والجنود والطيارين ورغم أن الدول العربية كانت تطالب فى صـخب بشن حرب شاملة ضـد اسرائيل وتحث عبد الناصر على التقدم ، فان عددا قليلا منها هو الذى قـدم له أى مساعدة عملية ، وعددا أقل هو الذى بعث بجنود ليقاتلوا معـه • فليبيا والسودان والجزائر والكويت هى فقط التى أرسلت كتائب من قواتها الى منطقة قناة السويس • وربما تكون هناك أسـباب سياسية جعلت لواء جيش التحرير الفلسطينى المتمركز فى منطقة القناة يبـدو غير نشط • واحتفظت اسرائيل بميزة أنها تقاتل تحالفا من الدول العربية قلقا منقسما مترددا يفتقر الى الثقة بين أطرافه •

ونأتى أخيرا الى الجانب الالكترونى من هذه الحرب ، وهو الذى يكسبها اهميتها فى التاريخ ، ويرفعها من هوة العسكرية التقليدية فنقول انه لاخلاف على أن القوتين الاعظم قد استخدمتا ميدان القتال الصغير فى الشرق الاوسط لاختبار أداء معداتهما الالكترونية فى المعركة • فلو أن كلا القوتين امتنعـا عن امداد المتحاربين بالطائرات والاسلحة وكافة المساعدات العسكرية ، لما كانت الحرب الالكترونية ولما أمكن خوضها • وقد حصل كـل من أمريكا والاتحاد السوفيتى على خبرة وتجربة الكترونية عظيمتين الى جانب معلومات هامة للغاية للبحث ستسهم فى تطوير قدراتهما العسكرية ، وهى مكاسب لم تكونا لتحصلا عليها دون هذه الحرب • والصحف العلمية حافلة بكثير من المعلومات الالكترونية ذات الطبيعة العسكرية التى تتسم بطبيعة فنية خالصة تجعل من الصعب نقلها أو شرحها للقارىء العادى ، ولكن يبقى ـ بطبيعـة الحال ـ كم هائل من المعلومات المحظور نشرها •

وتتبقى لى فى دراسة الحرب الالكترونية ـ التى كانت بحق الاولى من نوعها فى التاريخ ـ أربعة استنتاجات • الاول : هو أنه فى الحرب الالكترونية ـ كما هو الحال بالنسبة لأى شكل من أشكال الحرب ـ يعــد تطور درجة تعقيد الاسلحة والمعدات حتميا ، وأنه فى مقابل كل تقدم الكترونى يحقق ميزة لأحد الجانبين ، سيتم السعى الى تحقيق تقدم مضاد » سيتم تحقيقه آخــر الأمر • ونحن قد رأينا التطورات المتعاقبة التى حدثت فى فعــالية الاجهــزة الأمريكية الالكترونية المضادة للصواريخ ••

الاستنتاج الثانى هو أن الحرب الالكترونية موضــــوع يتطلب درجة عالية من التخصص ، فيتطلب تدريبا متخصصا ومهارات خاصة للتوصل الى الأساليب الفنية المطلوبة لادارة المعركة من تشويش مضاد وخداع ومراوغة ، وهذا يعنى ضرورة أن يضاف الى الجيوش عنصر آخــر متخصص يزيد من تعقيدها أكثر مما هى •

والاستنتاج الثالث هو أن أحزمة أو شبكات الصواريخ لم يعــد ينبغى أن تكون ثابتة » كما كان الحال غالبا عندما كانت المدافع المضــادة للطائرات تدافع عن مواقع ثابتة ، بل يمكن لها أن تتحرك الى الامام مما يجعلها (ان لم تتمكن الاجهزة الالكترونية المضادة للصواريخ من تحييدها) قادرة « بمداها المؤثر المائل » على حرمان العدو الذى تواجهه من الغطاء أو الدعم الجوى • ويمكن أن يكون للتشكيلات الكبيرة أحزمة للصواريخ الخاصة بها التى تؤدى مهمة حماية التشكيلات الى جانب المساعدة فى الهجوم ، وهــــذا ممكن حيث يمكن حمل صواريخ سام على مركبات مجنزرة لتوفير حرية الحركة لهــا •• وقد دخل المصريون الى هذه المرحلة • فبعد أن ظلوا يعتمدون على اقامة مواقع ثابتة لقاذفات الصواريخ فى شبكة قوية حتى وقف اطلاق النار تقريبا ، بعد هذا مباشرة « تقدمت » شبكة صواريخ سام صوب قناة السويس ولم يعــد باستطاعة الاسرائيليين أن يفعلوا شيئا بالنسبة لها •

أما الاستنتاج الرابع فهو أن الالكترونيات لا يمكن حتى الان أن تحــل محل الرجال بالكامل فهى ـ على سبيل المثال ـ لاتستطيع التفــرقة بدرجة كافية بين الطائرات الصديقة والطائرات المعـــادية المرصودة على شاشــات الرادار • فالطائرات المصرية كانت تبقى على ارتفاعات عالية ولا تنقض لمهاجمة الطائرات الاسرائيلية الا بعد توقف نظام الصواريخ عن العمل ، وتشغيل أو وقف نظام الصواريخ يتطلب حساب التوقيت بكسور الثانية ، ونظن أن المصريين ـ وربما ـ الاسرائيليين ـ أيضا لابد قد فقدوا طائرات أسقطتها نيران صواريخهم أو مدفعيتهم المضادة للطائرات ، كما حدث لدول كثيرة من قبل أثناء الحرب ••

لقد أحرزت الحرب الالكترونية تقدما هائلا فى حرب الاستنزاف التى شنها عبد الناصر ، وضمنت لنفسها مكانا ثابتا على الخريطة ، وأصبح محتما حدوث تطورات جديدة • ولن يمر وقت طويل قبل أن ندخل عصر « الحرب بالالكترونيات » وهى الحرب التى ستقوم فيها طائرات بدون طيارين بمهاجمة نظم صواريخ تعمل أتوماتيكيا ، دون أن يوجد فى ميدان المعركة أى فرد •• وربما نتطلع الى حرب تكون الخسائر الاساسية فيها من الآلات والمعدات الالكترونية لا الافراد ، حيث قد يقوم بتشغيل الاجهزة الالكترونية المتحاربة فنيون بزيهم التقليدى يوجهون الاجهزة عن بعد بدلا من الجنود بزيهم العسكرى ولابد للمرء أن ينتهى الى القول بأن استخدام الالكترونيات فى الحرب قد جاء ليبقى • وأن درجة اشتراك الالكترونيات لن يحد منها الا حجم الثروة والموارد والقدرة الفنية المتاحة للدول المعنية ، أو قدرتها على اغراء دول أكبر بامدادها بالوسائل العسكرية الالكترونية ، كما هو الحال بالنسبة لمصر واسرائيل •

محاولة ضرب قلب مصر

وهو قد وضع رأيه هذا فى غاية الدقة والاحكام • وفى ٢٥ يناير ذكر الرئيس نيكسون أن الامريكيين لن يفرضوا السلام فى الشرق الاوسط ولن يتفاوضوا نيابة عن دول المنطقة ، الا أنهم على استعداد « لتقديم المعــدات العسكرية اللازمة لدعم جهود الحكومات الصديقة ــ مثل حكومة اسرائيل ــ للدفاع عن سلامة شعوبها » • وطلبت اسرائيل على الفــور خمسا وعشرين طائرة فانتوم وثمانين طائرة سكاى هوك أخرى • وأثار هذا استجابة روسية فورية • ففى ٣ فبراير ، بعث كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتى بمذكرة شخصية الى الرئيس نيكسون عرض فيها وجهة النظر السوفيتية التى كانت تبدى أن أمريكا تضمن تفوق اسرائيل ، وأن مصر تكاد تكون دون أى دفاع فى مواجهة الطائرات الاسرائيلية التى تهاجم حسبما تريد وأن أمريكــا التى بدأت تصعيد الحرب بامدادها اسرائيل بطائرات الفانتوم المــزودة بأسلحة الكترونية مضادة للصواريخ تتطلب أسلحة الكترونية مضادة مماثلة لمواجهتها •• ولم يكن للروس رغبة كبيرة فى أن يبعثوا الى مصر بمعداتهم الالكترونية المتطــورة ••

وكان هذا راجعا ــ فى جانب منه ــ الى رغبتهم فى ألا يطلع العــالم على أسرار هذه المعدات وهو ما كان سيحدث فى حالة اســتيلاء اسرائيل على أى منها ، كما كان يرجع أيضا الى أنه اذا وضعت هذه المعدات فى أيد غير خبيرة ثم ثبت عدم فعاليتها (كما فى حالة صواريخ سام ــ ٢ فى فيتنام) فان هذا من شأنه أن يسىء الى مظهرهم •

ملحق (أ)

عام ١٩٦٧

٥ ـ ١٠ يونيــو : الحرب العربية ـ الاسرائيلية الثالثة التى تسمى أيضا حرب الأيام الستة ، والتى هزم فيها الاسرائيليون المصريين واضطروهم للانسحاب حتى قناة السويس ٠

٢٠ يونيــو : زيارة رئيس الأركان السوفيتى لمصر ٠

٢١ يونيــو : الرئيس السوفيتى يزور مصر ٠

٢٥ يونيــو : أول شحنة من الاسلحة السوفيتية تصل الى مصر جوا ٠

أول يوليــو : رجال الكوماندوز المصريون يحاولون عبور القناة ٠

٣ يوليــو : الاسرائيليون يعترفون بوقوع أول عملية تخريبية فى سيناء

٥ يوليــو : مصرع ضابطين اسرائيليين بنيران مدافع المورتار المصرية ٠

٨ يوليــو : القصف المصرى يؤدى الى مصرع ٥ اسرائيليين واصــابة ٣١ آخــرين ٠

١٢ يوليــو : الاسرائيليون يغرقون زورقى طوربيد مصريين ٠

١٤ يوليــو : أول قصف للمدفعية المصرية الثقيلة عبر القناة ٠

٣٠ أغسطس : بدء مؤتمر الخرطوم (الذى استمر حتى ٣ سبتمبر) ٠

١٤ سبتمبر : انتحار المشير عبد الحكيم عامر ٠

٢١ أكتــوبر : المصريون يغرقون المدمرة الاسرائيلية (ايلات) ٠

٢٤ أكتــوبر : تدمير معملين لتكرير البترول فى ســيناء السويس نتيجة القصف الاسرائيلى بالمدفعية الثقيلة ومدافع المورتار ٠

٢٢ نوفمبــر : الامم المتحدة تصدر « قرار نوفمبر » رقم ٢٤٢ ٠

٢٣ نوفمبــر : خطــاب نارى لعبد النــاصر ٠

٣ ديســمبر : تعيين الجنرال بارليف قائدا لأركان الجيش الاسرائيلى ٠

عـــام ١٩٦٨

فـبراير : الاضطرابات الطلابية فى القاهرة وحلوان ٠

يونيـو : سفر عبد الناصر الى موسكو ليطلب المزيد من الاسلحة ٠

أكتـــوبر : الاسرائيليون يبدأون فى تحصين خط بارليف ٠

٨ أكتـوبر : اسرائيل تتقدم بمشروع سلام للأمم المتحدة ٠

٢٦ أكتـوبر : « عملية ممر متلا » المصرية ، التى كانت أقـوى عملية قصف حتى ذلك الوقت ٠

٣٠ أكتـوبر : غارة نجع حمادى التى كانت أول عملية لرجال الكوماندوز الاسرائيليين فى عمق مصر ٠

نوفمبـــر : اضطرابات طلابية فى مصر ٠

١٦ نوفمبـر : انشاء مجلس الدفاع القومى فى مصر ٠

٢٨ ديسمبر : الكوماندوز الاسرائيليون يغيرون على مطار بيروت ٠

عـــام ١٩٦٩

٤ فبـــراير : تعيين ياسر عرفات رئيسا لمنظمة التحرير الفلسطينية ٠

٢٤ فبـراير : اعلان حالة الطوارىء فى مصر ٠

٢٦ فبـراير : وفاة ليفى أشكول رئيس الوزراء الاسرائيلى ٠

٢٧ فبـراير : عبد الناصر يزور القوات المصرية فى منطقة القناة ٠

٦ مـارس : تعيين جولدا مائير رئيسة لوزراء اسرائيل ٠

٩ مـارس : مصرع الفريق عبد المنعم رياض بقذيفة اسرائيلية على جبهـــة القناة فرض الاظلام الكامل فى مصر ٠
صاروخ سام ـ ٢ يسقط طائرة اسرائيلية (بايبركب) ٠

٢٧ مارس : عبد الناصر يعلن بدء حرب الاستنزاف فى خطابه بالاتحـــاد الاشتراكى العربى ٠

٢٩ مارس : الغارة الانتقامية الاسرائيلية الثانية على الصعيد ٠

٢٤ مايو : صاروخ هوك اسرائيلى يسقط طـــائرة ميج ـ ٢١ مصرية للمرة الأولى ٠

٢٩ يوليو : ثالث غارة لقوات الكوماندوز الاسرائيلية على الصعيد ٠

أول يوليو : جولدا مائير رئيسة الوزراء الاسرائيلية توجه تهديدات مستمدة من التـــوراة .

٧ **يوليـــو** : يوثانت يتحدث عن « الحرب العلنية على طول القناة »

١٩ **يوليـــو** : الاسرائيليون يغيرون على الجزيرة الخضراء .

٢٠ **يوليـــو** : أول غارات مصرية على المناطق التى تحتلها اسرائيل ، وأول معارك جوية هناك . واستمر هذا التحدى المصرى للقـــوات الجوية الاسرائيلية أسبوعين .

٢٧ **يوليـــو** : مصرع المراقب السويدى عضو مجموعة المراقبين التابعين للامم المتحـــدة .

٩ **ســبتمبر** : الاسرائيليون يشنون « حرب الساعات العشر » .
ـ مصرع احد كبار المستشارين العسكريين السوفيت .

١١ **ســبتمبر** : ١٠٢ طائرة مصرية تغير على سيناء .

ســبتمبر : القوات الجـوية الاسرائيلية تقصف مواقع صواريخ سام ومواقع الرادار .

٢٨ **أكتـــوبر** : روجرز يتقدم بمبادرته للســلام (وتم الاعـــلان عنها يوم ٩ ديسمبر) .

أكتـــوبر : القوات الجوية الاسرائيلية تبدأ تدمير نظم الانـــذار المبـــكر المصرية .

٨ **نوفمبـــر** : غارة بحرية مصرية على رمانة .

٦ **ديســـمبر** : تبادل الاسرى ٢ اسرائيليان مقابل ٥٨ مصريا .

١٨ **ديسمبر** : وزير الحربية المصرية يزور موسكو ليطلب المزيد من الاسلحة .

٢٢ **ديسمبر** : اسرائيل ترفض مبادرة روجرز .

٢٣ **ديسمبر** : الاتحاد السوفيتى يرفض مبادرة روجرز .

٢٥ **ديسمبر** : خمس زوارق حربية فرنسية الصنع يهرب بها افراد اسرائيليون من ميناء شيربورج « ووصلت الزوارق الى اسرائيل يوم ٣١ ديسمبر »

٢٧ **ديسمبر** : رجال الـــكوماندوز الاسرائيليون يغيرون على رأس غـــارب ويستولون على جهاز رادار سوفيتى جديد من طـــراز (بى ـ ١٢) .

٧ ينـــاير : أول غارة اسرائيلية فى عمق مصر .

٢٢ ينـــاير : الاسرائيليون يغيرون على جزيرة شدوان .
– زيارة عبد الناصر لموسكو لطلب أسلحة أكثر تطورا .

٥ فبرايـر : الضفادع البشرية المصريون يدمرون سفينتين اسرائيليتين فى ميناء ايلات .

٦ فبرايــر : الطائرات الاسرائيلية تغرق سفينة مصرية لزرع الالغـام .

١٢ فبرايـر : الاسرائيليون يقصفون مصنعا فى (أبو زعبل) .

١٤ مــارس : الكوماندوز الاسرائيليون يهبطون على الضفة الغربية للقناة .

١٨ مــارس : انباء عن صواريخ سام ـ ٣ لمصر .

٢٣ مــارس : الاسرائيليون يبدأون مهاجمة شبكة سام من الجو .

آخـر مـارس : انباء عن وصول طائرات (ميج ـ ٢١ ج) السوفيتية الجديدة الى مصر ومعها طيارون سوفيت .

أوائل ابريـل : الطيارون السوفيت يقومون بطلعات دفاعية فوق وادى النيل

٨ أبريـل : الاسرائيليون يقصفون مدرسة مصرية .

١٣ ابريـل : آخر غارة اسرائيلية فى العمق المصرى .
مايــو : المصريون يبنون شبكة جديدة من صواريخ سام .

أول مايــو : خطاب لعبد الناصر يؤذن بعودته كزعيم واثق بنفسه .

٣ مايــو : رجال الكوماندوز المصريون يطلقون الصواريخ على منطقة الطور التى تحتلها اسرائيل .

٤ مايــو : الطائرات المصرية تغير على العريش .

١٣ مايــو : المصريون يغرقون قارب صيد مصريا .

١٦ مايــو : الطائرات الاسرائيلية تغرق مدمرة مصرية وزورق صواريخ من طـراز كومار .

١٩ مايــو : غارة للكوماندوز المصريين عبر القنـــاة .

٢٨ مايـو : بدء هجمات جوية اسرائيلية على بور سعيد استمرت ثمانية ايام .

٢٥ يونيـو : وزير الخارجية الامريكى روجرز يعلن مبادرته الثانية للسلام .

٢٩ يونيــو : عبد الناصر يطير الى موسكو . (وظل بها حتى ١٧ يوليو) .

٢٩ ـ ٣٠ يونيو : صواريخ ســـام ـ ٢ المعدلة تتحرك صوب القنـــاة ـ الاسرائيليون يفقدون فجأة ثلاث طائرات .

١٩ يوليـو : صواريخ سام تسقط طائرة اسرائيلية رابعة ·

٢٣ يوليـو : عبد الناصر يقبل مبادرة روجرز للسلام ·

٤ أغسطس : اسرائيل تقبل مبادرة روجرز للسلام ·

٥ أغسطس : الدول الاربع الكبرى بالامم المتحدة تقر مهمة يارنج للسلام ·

٧ أغسطس : وقف اطلاق النار عبر القناة على « وقف العمليات العسكرية » في منطقة تمتد خمسين كيلو مترا على جانبي القناة ·

ملحق (ب)

قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧

مجلس الأمن :

اذ يعبر عن قلقه المستمر ازاء الموقف الخطير فى الشرق الأوسط ، واذ يؤكد على عدم جواز حيازة الأراضي عن طريق الحرب ، وعلى الحاجة للعمل لاقرار سلام عادل ودائم تستطيع في ظله جميع دول المنطقة أن تتمتع بالأمن ، واذ يؤكد مرة أخرى على أن جميع الاعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالعمل بمقتضى المادة الثانية من الميثاق ، يقرر :

مادة ١ — يؤكد المجلس على أن تطبيق مبادىء الميثاق يتطلب اقرار سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط على ان يتضمن هذا السلام تطبيق المبادىء التالية : —

أولا : انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من أراضى احتلت خلال النزاع الأخير ..

ثانيا : انهاء حالة الحرب ، واحترام ، والاعتراف بسيادة وتكامل أراضى جميع دول المنطقة واستقلالها السياسى وحقها فى العيش فى سلام داخل حدود آمنة معترف بها دون تعرض للتهديدات أو أعمال العنف .

مادة ٢ — يؤكد المجلس من جديد على ضرورة :

(أ) ضمان حرية الملاحة فى المجارى المائية فى المنطقة .

(ب) التوصل الى تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين ..

(ج) ضمان عدم امكان انتهاك أراضى جميع دول المنطقة واستقلالها السياسى عن طريق اجراءات من بينها اقامة مناطق منزوعة السلاح .

مادة ٣ — يطلب المجلس الى السكرتير العام تعيين ممثل خاص يتوجه الى الشرق الأوسط البدء والاستمرار فى الاتصالات مع الدول المعينة بهدف التوصل الى اتفاق ومساعدة الجهود التى تستهدف التوصل الى تسوية سلمية ومقبولة وفق مواد ومبادىء هذا القرار ..

مادة ٤ — يطلب المجلس الى السكرتير العام أن يقدم فى أسرع وقت ممكن تقريرا الى مجلس الأمن عن مدى تقدم جهود — الممثل الخاص .

فهرس